سلسلة قراءات معاصرة ( 9 )

محمد رباعـة

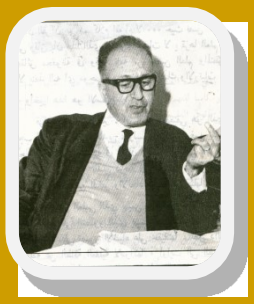

# الحراك الإسلامي في الجزائر

## من 1962 الى 2012


دار القبس للنشر الإلكتروني

ص ب: 42 أولاد موسى / 350211 بومرداس

الهاتف: 78 ـ 73 ـ 20 ـ 0662

رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } البقرة 286

الطبعة الإلكترونية الأولى : ديسمبر 2021

# المقدمة

الحمد لله و كفى ، و صل الله على النبي المصطفى ، خير البرية و سيد الآنام ، و رضي الله عن زوجاته أمهات المؤمنين ، و الصحابة الكرام الميامين ، و كل الصالحين و التابعين ، و بعد ( الحراك الإسلامي في الجزائر ، من سنة 1962 الى سنة 2012 ) هو عنوان الكتاب التاسع ( 9 ) في سلسلة قراءات معاصرة التي سعينا الى طبعها و نشرها بصيغة ال ( PDF ) منذ سنوات ، وربما هو آخر عنوان في هذه السلسلة المباركة ، و الكتاب كما يدل عليه عنوانه هو محاولة بسيطة لتوثيق العمل الإسلامي التطوعي و الرسمي في الجزائر ، منذ الإستقلال الى غاية سنة 2012 ، حيث يغطي مدة نصف قرن كاملة ، و يركز على تقديم السيرة الذاتية لكل الذين ساهموا في النشاط الإسلامي ، مع التوقف أحيانا مع شخصيات بارزة أثبتت قدرات و مهارات غير عادية ، لتقديم و تحليل نشاطها و أفكارها ، حيث سنقف وقفة إحترام و تقدير أمام شخصيات رائدة و مبتكرة و فاعلة على المستويين المحلي و الدولي ، كالشيخ البشير الإبراهيمي الذي يعتبر رائد و مؤسس العمل الإسلامي في الجزائر ، في فترتي الإحتلال و ما بعد الإستقلال ، و الأستاذ مالك بن نبي فيلسوف الحضارة و أحد العشرة الكبار الذين أنجبتهم الأمة الإسلامية خلال القرن الماضي ، و بالنسبة للعمل الإسلامي المنظم سنتوقف لحظات مع جمعية القيم و ندرس طبيعتها و نقدم الكثير من نشاطاتها و مواقفها ، و نعرض جانبا مهما من سيرة أحد مؤسسيها و رئيسها الأول السيد الهاشمي التيجاني ، و نعرج على جماعة الدعوة و التبليغ التي كانت أول جمعية إسلامية عالمية تدق أبواب الجزائر لنشر الخير و البركة و الدعوة الإسلامية ، و في الفصول الأخرى من الكتاب نقدم عددا لابأس به من الشخصيات الجزائرية التي ساهمت من قريب أو من بعيد في العمل الإسلامي الرسمي المرتبط بوظيفتها ، أو الشعبي التطوعي ، و لا نستطيع ان ندعي أننا في هذا الكتاب صغير الحجم قليل الصفحات ، سنلم بحيثييات النشاط الإسلامي في الجزائر خلال نصف قرن ، من الألف الى الياء ، لكن حسبنا أننا وضعنا لبنة صغيرة ، ونواة أولى ، و عبدنا الطريق لطلاب العلم و الثقافة العامة ليطلعوا على جزء بسيط من تاريخ الحراك الإسلامي في الجزائر ، منذ الإستقلال الى غاية سنة 2012 ، و من جهة أخرى فهذا الكتاب هو عربون محبة و إجلال و إعتراف لهذه الكوكبة المباركة من شباب و رجال الجزائر الذين عملوا كل ما في وسعهم و في ظروف سياسية و ثقافية و إجتماعية غريبة عن الواقع الإسلامي ، ، نسأل الله ان يتقبله منا و يجعله صدقة جارية . و علما ينتفع به ، يوم لا ينفع مال و لا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، و للتذكير فقد تمت صياغة الكتاب سنة 2014 في عز ثورات الربيع العربي .

**محمد رباعــة** **بومرداس في: 16 ـ سبتمبر ـ 2021**

# الفصل الأول ( 1 )

## المؤسسات الإسلامية الرسمية و الشعبية
## التعليم الأصلي
## الزوايا و المدارس الحرة

الرئيس أحمد بن بلة الذي كان يقود الجهاز التنفيذي للحكومة قدم برنامج الحكومة مباشرة بعد انتخابه رئيسا للجمهورية ، حدد فيه رؤيته لتصنيف نوعية التعليم الذي تحتاجه جزائر ما بعد الاستقلال و يتضمن عدة آفاق ، منها التعليم الاسلامي المستقل والموازي للتعليم العام وحاول نقل التجربة المصرية في هذا المجال بحذافيرها ، واستعان بهيئة تدريس علماء الأزهر الشريف ووقف بالمرصاد لكل الاتجاهات التي حاولت عرقلة مشروع "التعليم الأصلي" كما يطلق عليه في ذلك الوقت أو معارضته على الأقل ، محدد قلة الامكانات المادية والبشرية ومبدأ الأولوية التي يجب ان تخصص للتعليم العام والتقني ، وحسبما تروي بعض المصادر على سبيل النكتة فقد سئل الرئيس أحمد بن بلة عندما كان يروج لمشروع التعليم الأصلي عن جدوى هذا النمط من التعليم في الوقت الذي تحتاج البلاد إلى إطارات في الإدارة والمالية والمهندسين فقال بأن أهداف التعليم الأصلي على المديين المتوسط و البعيد هو تكوين علماء جزائرين يفسرون لنا تفسير سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومعلوم أن سيدي عبد الرحمن قدس الله سره أحد أقطاب الصوفية بالجزائر وله جهود عظيمة في مجال التربية والتعليم وهو صاحب تفسير القرآن "اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن" قدم فيه خلاصة أهل الطريقة ورجال التصوف في تفسيرهم للقرآن الكريم وأفهامهم واستعمالاتهم للمصطلحات الصوفية، وتاويلاتهم لبعض الآيات تأويلات صوفية تختلف كثير على التفاسير العادية ، وبالتالي فإنه يصعب على القارئ البسيط والعادي وحتى النخبة فهم واستيعاب التفاسير الصوفية قبل التوغل في علم التصوف والاخذ منه بسهم كبير ، ولذلك تحتاج تفاسير السادة الصوفية قدس الله سرهم وهي كثيرة كتفسير العلامة الألوسي مثلا أو تفسير اللؤلؤ والمرجان إلى شرح وتبسيط وهوامش وحواشي تقرب المعاني الصوفية إلى العامة وتبسيطها ، ومن دون مجاملة فقد كانت نظرة الرئيس أحمد بن بلة في هذا المجال جد صائبة ، و هو الذي حاول خلال الفترة القصيرة التي حكم فيها البلاد تبني نظاما سياسيا واقتصاديا يجمع بين الاشتراكية كخيار اقتصادي واجتماعي وبين الاسلام ، وتبلور هذا المفهوم وفي صورة حقيقية في نظام هواري بومدين الذي حاول أنصاره ترويج مشروع الاشتراكية الاسلامية وهذا المصطلح كما ذكرنا في مناسبات أخرى ظهر سنة 49-50 في كتابات العديد من مفكري الاسلام السياسي.

## التعليم الاسلامي بعد الاستقلال

للتاريخ فقط فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائرين لم تكن وحدها في ساحة النضال الثقافي والتربوي والفكري أثناء الاحتلال، وكانت هناك جهود ثقافية تربوية ونشاط مواز ومتماثل لنشاطها، تقوم به الزوايا والمدارس الحديثة التابعة لها ، وكان لحزب الشعب هو الآخر نشاط مماثل والذي يعرفه الجميع أن الادارة الفرنسية قامت بحل جمعية العلماء بصفة رسمية سنة 1956 أي بعد سنيتن من إندلاع ثورة أول نوفمبر ، وأن الشيخ العربي التبسي الذي كان يشرف على إدارة شؤونها بعد وفاة مؤسسها الاول الشيخ عبد الحميد بن باديس اختطفته أيادي الاستعمار وقامت باغتياله ودفنه في قبر لا يزال مجهولا حتى الأن بعد سلسلة من الضغوطات والإغراءات لم تجد نفعا ، ورغم توقف نشاط الجمعية على المستوى المحلي فإن بعثتها بمصر ممثلة بالشيخين البشير الإبراهيمي والفضيل الورثلاني واصلت نشاطها من خلال توجيه و متابعة الطلبة الجزائرين المتمدرسين في عدة جامعات عربية واسلامية (مصر، سوريا، الكويت، السعودية...إلخ ) و أثناء وبعد اندلاع الثورة وربما قبل ذلك بقليل حصل سوء تفاهم ايديولوجي بين الشيخ الابراهيمي وقيادة الثورة بوضياف وبن بلة على وجه الخصوص واستمر الخلاف وامتد إلى غاية الاستقلال وتجسد في رفض الشيخ الابراهيمي تزكية احمد بن بلة كمترشح محتمل لرئاسة الجمهورية، ثم في نقده الشديد اللهجة لنظام بن بلة عبر بيان 16 أفريل 1964 وانعكست بطبيعة الحال توتر العلاقة بين الرجلين على علاقة نظام بن بلة بـ: جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين كمؤسسة تربوية وثقافية وفكرية كان لها دور كبير في تحضير الإطارات التي أخذت على عاتقها تحرير البلاد من المستعمر وإدارة شؤونها بعد الاستقلال ، ونتيجة لهذه العلاقات التاريخية التي ليس هنا مجال التفصيل فيها وتحليلها، رفض الرئيس أحمد بن بلة الترخيص لجمعية العلماء المسلمين باستئناف نشاطاتها من جديد وقام بتأميم كل ممتلكاتها العقارية على وجه الخصوص ووضعها تحت وصاية وزارتي التربية والشؤون الدينية حيث ان معظم التراث العقاري للجمعية هو عبارة عن مساجد ومدارس ابتدائية وسكنات وظيفية ملحقة بها ونوادي وكما ذكرنا في الجزء 1 من هذه السلسة فإن موقف الرئيس بن بلة من جمعية العلماء كان متأثرا إلى حد كبير بعلاقات تاريخية وبموقف الشيخ البشير الابراهيمي الشخصي منه ، ولم يكن بالضرورة موقف من الاسلام أو من التعليم الاسلامي في العصر الحديث ، و كما تحتاج البلاد إلى كوادر عليا في الادارة والتسير و أطباء ومهندسين في مختلف المجالات ، تحتاج كذلك إلى نخبة اسلامية ذات تكوين أكاديمي عالي تسعى بدورها إلى تكوين أجيال جديدة وتحافظ على المرجعية الفكرية الاسلامية.

## التعليم الأَصلي

التعليم الأصلي هي التسمية التي أطلقت بعد الاستقلال مباشرة على نمط من التعليم الاسلامي الذي كان مفتوحا لمساهمه القطاع الخيري الخاص ، وبغض النظر عن كون التجربة منقولة حرفيا عن مصر ، فان المفكر أحمد توفيق المدني هو صاحب الفكرة و المشروع دون منازع ن كما كان لتبنتي الرئيس احمد بن بلة المشروع و الدفاع عته ، دور في تثبيته على الأرض ، و قد ذكر الشيخ توفيق المدني أنه ( جاهد هو ورفاقه ) ضد النخب العلمانية المعربة و المفرنسة التي وقفت في وجه هذا المشروع الاستراتيجي الذي يعتبر أكثر حصن لصد الهجمات الفكرية والغزو الثقافي والمحافظة على المرجعية الدينية الأشعرية المالكية ، التي تواجه اليوم خطر المرجعيات الاسلامية الوافدة التي توشك على تهديد الوحدة الوطنية ، وقد استفاد هذا القطاع من تجربتي الزوايا وجمعية العلماء وحاول الجمع بين مختلف الطرق التعليمية القديمة والحديثة في ، والتعليم الأصلي بتفصيل أكثر هو عبارة عن مؤسسات تربوية وتعليمية في مستوى الطورين المتوسط والثانوي تسمى الأولى "إكماليات" أي متوسطات بالتعبير الحالي والأخرى معاهد ثانوية أو ثانويات ، تضمن الاكماليات تعليما اسلاميا مدته أربع سنوات يتوجه بعده التلاميذ إلى المعاهد الثانوية أو الثاويات لاستكمال التعليم الاسلامي في مدة ثلاث سنوات ....باجتياز شهادة البكالوريا تعليم أصلي ، من ناحية التوزيع الجغرافي نلاحظ تمركز اكماليات التعليم الأصلي في البلديات النائية لاستعاب تلاميذ المدارس والقرى النائية عبر نظام داخلي ، يدخل التلاميذ المؤسسة يوم الاثنين وتستمر الدراسة والمبيت في المؤسسة مع ضمان الوجبات الثلاث فطور الصباح الغذاء واالعشاء ، ومساء السبت ويوم الأحد و هي العطلة الأسبوعية ( قبل إعتماد مساء الخميس و يوم الجمعة ) يعود التلاميذ و الطلاب الى بيوتهم للإستراحة ، كما تضمن أغلب المعاهد والثانويات نظام الفصل بين الذكور والإناث و أول ثانوية للتعليم الأصلي في الجزائر المستقلة دشنها الرئيس أحمد بن بلة هي ثانوية عائشة أم المؤمنين للبنات بالجزائر العاصمة وقد أخذت الحكومة الجزائرية بعين الاعتبار مبدأ التوازن الجهوي وحاولت انجاز وفتح إكماليات ومعاهد التعليم الاسلامي عبر جهات الوطن الأربعة.

## المنهج الدراسي

في بداية الاستقلال ومع قلة الامكانيات المادية والبشرية لجأت جكومة الرئيس أحمد بن بلة إلى الاستعانة بالاخوة المصريين الذين كانوا في الموعد ، وتم تزويد الجزائر بنخبة من الشيوخ والمدرسين المصرين في مختلف علوم الدين وتم اعتماد البرنامج التربوي والتعليمي الأزهري بكل حذافره ، كما تم استبعاب معظم تلاميذ جمعية العلماء وتعيينهم كأساتذة ومعلمين باكماليات ومعاهد التعليم الاسلامي ، ويقوم المنهج الدراسي المعتمد في التعليم الاسلامي على تدريس "علوم الدين" وهو مجه بالأساس لكبار السن من حفاظ القرآن الكريم من الذين لم يسعفهم الحظ والظروف في الالتحاق بمدارس التعليم العام بسبب السن او عوامل أخرى ، و يتم تدريس المواد التالية :

- اللغة و الادب العربي (النحو والصرف والبلاغة الدراسات القرآنية، الشعر والنثر وتاريخ الادب العربي )

- العقيدة الاسلامية الأشعرية.

- الفقه الاسلامي على المذهب المالكي.

- الحديث النبوي.

التاريخ الاسلامي ، تاريخ الجزائر.

تفسير القرآن الكريم.

## أهم المراجع المعتمدة

المراجع التي اعتمدت في صياغة البرنامج التدريسي هي بطبيعة الحال أهم المراجع المعتمدة في الفضاء التعليمي الأندلسي المغاربي الأفريقي وهو كتب تبسط العقيدة الاسلامية وفق المنظور الأشعري وكتب الفقه المالكي وفي التصوف طريقة الجنيد وشروح ابن عاشر، الرسالة، مختصر خليل ، أقرب المسالك وشروحه للشيخ الدردير، وتفسير القرطبي وشروحات الموطأ في الحديث.

## الأهداف الرئيسة

- تكوين الاطارات الدينية ( أئمة ، مدرسين ، معلمي القرآن الكريم )

- تكوين نخبة اسلامية محلية متحكمة في العلوم الاسلامية.

- تكوين نخب متخصصة في مختلف العلوم الاسلامية.

- المحافظة على المرجعية الدينية المحلية وضمان انتقالها من جيل إلى جيل.

### وهناك أهداف اخرى وهي أساسية

- غرس العقيدة الاسلامية السليمة في نفوس التلاميذ والطلبة باعتبار ان مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي ( 12-15-18 سنة ) هي أهم مراحل نمو وتطور شخصية الان سان ، وهي أفضل مراحل الاستيعاب وتفتح المواهب .

- نشر المرجعية الدينية على أوسع نطاق باعتبارها أهم مقومات الوحدة الوطنية ، وأحد أسس تقوية الجدار الوطني ، حيث أن اعتماد العقيدة الاسلامية وفق الأسس التي توصل اليها منظور المدرسة الأشعرية والمذهب المالكي سلسلته الذهبية (سحنون عبن ابن القاسم عن مالك) والطريق الحنيدية في التصوف السني تحمي البلاد من الصراع الديني والجدل العقيم الذي يؤدي إلى خصومات عنيفة .

هذا وان كانت حكومة الرئيس أحمد بن بلة قد وضعت النواة الأولى لنظام التعليم الاسلامي في السنوات الأولى لاسترجاع السيادة الوطنية واعتمدت في البداية على ماكان متوفر من هياكل ومؤسسات أغلبيتها من التراث العقاري لجمعية العلماء المسلمين ، كما اعتمدت بشكل كلي على البرنامج والاطارات المصرية بالنظر إلى قلة الامكانيات وحالة الاستعجال التي يتطلبها هذا المشروع الاستراتيجي ، ومن دون شك فقد كان في ذهنها أفكار ومشاريع تطوير التعليم الأصلي وتكيفه مع التطورات التي حصلت في العالم لكن عزل الرئيس أحمد بن بلة في 19 جوان 1965 بحركة تصحيحية نفذها الجيش الوطني الشعبي بقيادة العقيد هواري بومدين، لم يوقف المشروع أو يجمده.

## التعليم الأصلي في عهد العقيد بومدين

أولت حكومة العقيد هواري بومدين عناية كبيرة لقطاع التعليم الأصلي وأدمجت مشاريعه ضمن مخططات التنمية الوطنية ، وفي هذه الفترة شهد القطاع قفزة نوعية في الهياكل الجديدة وعدد المتمدرسين وفي نوعية المؤطرين وتعديل جذري في المنهج الدراسي ويمكن ان نلخص أهم الأفكار الجديدة التي تم تحويلها إلى واقع ملموس في النقاط التالية:

- استفادة القطاع من استقلالية مالية وتنضيمه عن وزارة التربية.

وتحويل وحداته إلى وزارة قائمة بذاتها هي وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

- جزأرة كلية للتأطير والمناهج ، ثم الاستغناء بصفة تدريجية عن المؤطرين المصريين واستحداث منهج دراسي تم صياغته وفق المرجعية الدينية والفكرية الجزائرية.

- تعديل محتوى المنهج: إضافة عدة مواد تعليمية حديثة، كالرياضيات والعلوم الطبيعية والجغرافيا والفيزياء بالنسبة للتعليم الثانوي الأصلي وعدم الاكتفاء بتدريس علوم الدين بعمق وتركيز.

## المؤسسات الجديدة

استفاد قطاع التعليم الأصلي منذ سنة 1967 على الأقل من عدة مشاريع لانجاز هياكل استقبال جيدية (اكماليات، وثانويات) روعي في توزيعها الجغرافي في طبيعة الحال ، جانب التوازن الجهوي كما تم تركيز مؤسسات التعليم المتوسك في عدة مناطق نائية ومعزولة، وفي الجانب الشكلي وبالنسبة للثانويات أعتمدت الهندسية الاسلامية الاندلسية المغاربية ،الرائعة ، وحسب الدراسة التي قدمها الأستاذ محمد درار في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة التلعليم الأصلي والشؤون الدينية عدد 8 شهر ماي / جوان 1972م وهي الدراسة الوحيدة التي تناولت موضوع التعليم الأصلي في الجزائر حسب علمنا ، فقد تم برمجة عدة ثناويات في قسنطينة ووهران و تيزي وزو سطيف ، بجاية ، معسكر ، على ان تكون جاهزة لاستقبال الطلبة في الموسم الدراسي 1973/1972 مع اعتماد النظام الداخلي بطبيعة الحال كما برمجت الحكومة مشاريع انجاز ثانويات أخرى بسكرة ، تيارت ، سعيدة ، أدرار ، تكون جاهزة في الموسم

الدراسي 1973/ 1974 بالاضافة إلى مشاريع أخرى قيد الانجاز وهي ثانوية الذكور بالعاصمة وأخرى بتلمسان وتحويل دار الحديث وهي من تراث جمعية العلماء الى ثانوية للبنات بعد اجراء تعديلات طفيفة عليها وتزويدها بالنظام الداخلي . ثانويات للبنات بمدينة أقبو ولاية بجاية و المدينة والأصنام ( الشلف حاليا ) وتامنراست . كما تم انجاز عدة اكماليات في تلمسان . المسيلة . سطيف . و قنزاة وهي منطقة جبلية معزولة بأعالي سطيف . و البيض، المشرية" ونلاحظ أن التعليم الأصلي شهد في فترة حكم الرئيس هواري بومدين و إشراف الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم على وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية . قفزة نوعية في الشكل و المضمون واستفاد من عدة هياكل جديدة مزودة بالنظام الداخلي وكل المرافق الضرورية، حيث تم انجاز اكماليات في المناطق النائية والمعزولة وعلى سبيل المثال فإن مدن . أقبو والمشرية لم تكن في ذلك الوقت (73/72) سوى عبارة عن مداشر أو قرى صغيرة نائية . أما مؤسسات التعليم الثانوي فقد تم توزيعها على اهم الولايات والمدن الكبرى لتغطي مختلف مناطق الوطن وجبهاته الأربع .

## التعليم الاسلامي العالي

وجود إكماليات للتعليم المتوسط . في عدة مناطق من الوطن استدعى بالضرورة انشاء مؤسسات للتعليم الثانوي التي تسمح باستيعاب التلاميذ الناجحين في امتحانات التعليم المتوسط لمواصلة مشوار التعليم في مرحلته الثانوية . الأمر الذي يستدعي بالضرورة وجود معاهد وكليات أو جامعات للتعليم الاسلامي يمكنها استعاب حاملي شهادة البكالوريا شعبة التعليم الأصلي . فليس من المعقول أن يتوقف قطار التعليم الاسلامي عند المرحلة الثانوية فقط ويتم توجيه الحائزين على شهادة البكالوريا تعليم أصلي " علوم اسلامية" إلى كليات أخرى للعلوم الانسانية " الأدب . الفلسفة . التاريخ . الحقوق . التربية" صحيح انه بالامكان أن يتم توجيه عدد من الطلبة للدراسة في هذه الكليات ولا حرج في ذلك بل الأمر جد مطلوب . ولكن لابد من وجود كليات للتعليم الاسلامي العالي ولا يظن عاقل مثل هذه الأفكار والمشاريع كانت غائبة عن أذهان المسؤولين الجزائريين والخبراء . حيث أن فكرة أو مشروع كلية التعليم الاسلامي كانت ضمن اهتمامات الأستاذ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الفكرية الإصلاحية الاسلامية في الجزائر، وربما كانت مبرمجة بعد انجاز "معاهد او ثناويات" ولكن وفاته في سن مبكرة والظروف السياسية والتطورات التي حصلت على الأرض حالت من دون شك دون تجسيد هذه الفكرة .

## أربع ( 4 ) كليات للتعليم الإسلامي

حسب المصادر العلمية التي اعتمدنا عليها فإن حكومة الرئيس هواري بومدين وبعد وصول الطلائع الأولى من حاملي شهادة البكالوريا تعليم أصلي . كنت تفكر في فتح أو انجاز أربع كليات لعلوم الدين تغطي الجهات الأربع للوطن . الجزائر، قسنطينة . ورقلة . وهران . حيث يتم في البداية استغلال بعض الفضاءات أو الهياكل الجاهزة على ان يشرع في الإنجاز في أقرب وقت . وحول موضوع التعليم الأصلي العالي تتضارب الآراء وتتدخل حول صاحب الفكرة وحول أسباب تجاهل الموضوع . بعض المصادر تتحدث عن برمجة الحكومة باقتراح من وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية مولود قاسم نايت بلقاسم في البداية افتتاح كليتين وكانت منطقة الخروبة بالعاصمة مؤهلة لاختطاف أحدى الكليتين . وهناك رأي آخر يشير إلى أن الرئيس هواري بومدين تردد في احتضان الفكرة أو المشروع بايعاز من أطراف وشخصيات داخل النظام، واقترح توسيع مشروع مسجد الأمير عبد القادر بقسنطينة بعد ما تبنته الحكومة . ليشمل بناء جامعة لعلوم الدين تتكفل باسقبال الطلبة الناجحين في شهادة البكالوريا كشعبة للتعليم الأصلي

من جميع الوطن ، والمشروع من الناحية النظرية جيد وقابل للتصديق وهو بمعنى اختصار وجمع الكليات الثلاث الذي اقترحها مولود قاسم في جامعة واحدة تظم بطبيعة الحال أربع كليات أو اكثر، ففي مصر على سبيل المثال توجد جامعة كبيرة واحدة للعلوم الاسلامية هي جامعة الأزهر، وفي تونس جامع الزيتونة ، لكن المشكلة تتمثل في تردد حكومة الرئيس هواري بومدين في فتح كليات لعلوم الدين وفي نفس الوقت تردد في الاهتمام بمشروع الجامعة الاسلامية بقسنطينة بعد وضع حجر الأساس .. حيث أصبح المشروع مجرد ورشة مهملة، فلماذا؟ وكيف حصل ذلك رغم ان الرئيس هو راي بومدين نفسه قام باصدار وتوقيع مرسوم رئاسي يعترف بشهادة البكالوريا شعبة التعليم الأصلي وترسيمها ومعادلتها مع بقية الشعب ، وتم ذلك في 13 ماي 1973 قبل شهر تقريبا من اجتياز أول كوكبة من طلبة التلعيم الأصلي لامتحان شهادة البكالوريا ، إذا اتفقنا أن مشروع التعليم الأصلي انطلق في الموسم الدراسي (63 / 64) فمشروع الجامعة الاسلامية بقسنطينة تم وضع حجر أساسه من طرف الرئيس هواري بومدين أواخر سنة 1970 ولكن الأشغال بدأت بوتيرة صعبة وتحول المشروع إلى مجرد ورشة مهملة في احدى هضاب مدينة قسنطينة ، كما لم يتم الوفاء بوعد فتح كليات لتعليم الشريعة وأصول الدين ، والأدهى والأمر أن الحكومة الجزائرية في ذلك الوقت تجاهلت وجود كليات وجامعات اسلامية عريقة في مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية وقامت بارسال بعثات من الناجحين في البكالوريا شعبة أصول الدين لاتمام دراساتهم العليا بجامعات اسلامية في "فرنسا وبلجيكا" فأي اسلام يمكن دراسته في مثل هذه الجامعات العلمانية إذا علمنا أن نظرة الغرب إلى الاسلام هي نظرة متأثرة بالمستشرقين والقساوسة المتعصبين ، في الوقت الذي كان الامل معقودا على تجاوز مشروع التعليم الديني الصرف في جميع مستوياته إلى التعليم الاسلامي بمفهومه الشامل وهي نظرة كان يحملها نخبة من المفكرين الجزائرين المرتبطين بنظام الرئيس الراحل هواري بومدين نذكر منهم/ مالك بن نبي، مولود قاسم، احمد الطالب الابراهيمي، عبد الرحمن شيبان، احمد حماني، بحيث كان مشروع التعليم الاسلامي طموحا واستراتيجيا يتطلب السعي في تطبيقه القليل من التدرج والكثير من الصبر والوقت، وهو من الناحية النظرية كان جد متلائم مع روح المشروع الوطني الاستراتيجي الكبير والشامل الذي تبناه الرئيس هواري بومدين وشرع في انجازه على مراحل ، وكان المشروع في تقديرنا يتطلب المرور عبر عدة محطات لترسيمها وتأسيسها انطلاقا من مرحلتي التعليم المتوسط والتعليم الثانوي وقد تعرضنا لها في الفقرات السابقة ، اما بالنسبة لمرحة التعليم الاسلامي العالي فقد كان الاهتمام منصبا في البداية على فتح ثم انجاز كليات لعلوم الدين ( العقيدة ، الفقه، التفسير، الحديث ، التاريخ الاسلامي ، اللغة والأدب ) على أن تتم في مرحلة ثانية إدراج شعب جديدة تدرس لمختلف العلوم الاسلامية (الاقتصاد الاسلامي ، التربية الاسلامية، وعلم النفس ) وهي خطوة جريئة نحو الشروع في أسلمة مختلف العلوم الانسانية لكن مشروع التعليم الاسلامي في الجزائر توقف في المرحلة الاولى عند محطة البكالوريا بحيث لم يجد حاملي شهادة البكالوريا شعبة تعليم أصلي في الجزائر ولو حتى كلية واحدة لعلوم الدين تستقبلهم لمواصلة مشوار التعليم الاسلامي العالي ، وتم توجيه طلبة الشعبة إلى كليات العلوم الانسانية الأخرى، الاداب واللغة والفلسفة، الحقوق العلوم الادارية والتاريخ .." وفي تقديري أن هذه الضربة الأولى التي وجهت لقطاع التعليم الاسلامي كانت جد قاسية مؤثرة على نفسية طلبة التعليم الأصلي الذين سيشعرون بالاقصاء والتهميش وعدم الاهتمام ، خاصة عندما يروا بأعينهم أن طلبة كل الشعب الناجحين في امتحان شهادة البكالويا وجدوا مقاعد مناسبة لهم ومتطابقة مع شعبهم في الجامعات الجزائرية باستثناء "طلبة التعليم الأصلي" وبعيدا عن نظرية المؤامرة ودور خصوم العروبة والاسلام من التيارات العلمانية في عرقلة نمو وتطور

مشروع التعليم الاسلامي في الجزائر؟ يمكن أن يشير إلى عدة أسباب حالت دون وصول المشروع إلى محطاته النهائية بسلام .

- إن تعطل مشروع فتح كليات علوم الدين ولو باستغلال بعض الهياكل المتوفرة في ذلك الوقت وهي كثيرة ، لم يكن له أي مبرر سوى عدم توفر الارادة السياسة الجادة وتراجع الرئيس هواري بومدين خطوات إلى الوراء.

- بقاء مشروع الجامعة الاسلامية بقسنطينة مجرد ورشة مهملة منذ وضع حجر أساسها أواخر سنة 1970 إلى غاية أواخر سنة 1978 تاريخ وفاة الرئيس هواري بومدين ليس له هو الأخر ما يبرره سوى محاولة لغرملة مشروع التعليم الاسلامي وتوقيفه عند مستوياته الأولى في انتظار التراجع عنه في الوقت المناسب.

- وبعض المصادر تشير إلى ان الرئيس هواري بومدين الذي كان يظهر تحمسا كثيرا للإشتراكية يكون قد تنبه إلى أن "الدب الروسي الشيوعي" أحد خصوم الاسلام ، غير راض عن بعض التوجهات غير المعلنة للرئيس هواري بومدين الذي حاول امساك العصا من الوسط والتحالف مع الجميع واحتوائهم حيث كان يريد أن يكون اسلاميا معتدلا يولى اهتماما كبيرا للتعليم الاسلامي بمختلف مراحله وللفكر الاسلامي وفي نفس الوقت يتبنى في خطابه اشتراكية اسلامية غير معلنة لا تعترف بها موسكو.

نسجل فتورا على مستوى الاهتمام بالتعليم الاسلامي العلي بالمقارنة مع الاهتمام الذي كانت تبديه الحكومة بالتعليم الأصلي في مرحلته المتوسطة والثانوية ، بعض ذوي النوايا الحسنة يردون ذلك الى ضخامة حجم الاستثمارات والمشاريع التي تبنتها الحكومة رقضية الأولويات بحيث يمكن القول أن البلاد كانت بحاجة ماسة وبدرجة اولى إلى تكوين أجيال من الإطارات التي ستاخذ على عاتقها تسسير المؤسسات والشركات والإدرات وبالتالي كان التركيز مع البداية (سنوات التسعينيات) على إنجاز جامعات كبرى في كل من الجزائر (جامعة باب الزوار للعلوم والتكنلوجيا) وقسنطينة ووهران ثم عنابة ، وربما كان مشروع الجامعة الاسلامية ضحية أولويات وقلة الموارد اللازمة.

إن فتح عدة ورشات لانجاز جامعات في عدة مدن جزائرية مدينة واحدة في نفس التوقيت تقريبا وفي ظل ظروف إقتصادية تميزت تقدم التوازن بين المداخيل والمصاريف وضخامة المشورع التنموي الذي بادر اليه الرئيس هواري بومدين. مسألة صعبة التحقق (ثم الشروع في إنجاز جامعة قسنطينة والجامعة الاسلامية في نفس الوقت تقريبا) لكن فتح كليات لعلوم الدين لاستقبال الطلبة الناجحين في شهادة البكالوريا شعبة التعليم الأصلي لا يتطلب أموالا كثيرة إذ تم الاعتماد على إعادة تهيئة بعض المؤسسات أو الادارات الموروثة عن الاستعمار أو من تراث جمعية العلماء الذي بلغ 400 مدرسة مبنية حسب الطراز العمراني الحديث وموزعة على مختلف جهات الوطن، وأن اختار 100 مؤسسة فقط من التراث العقاري يكفي لإنشاء سلسلة مؤسسات تغطي التعليم الاسلامي بمختلف مراحله المتوسطة والثانوية، باجراء تعديلات وتسوية على بعض العقارات كما كان يكفي تحويل عدد من ثانويات التعليم الاصلي التي انجزت في عهد الرئيس هواري بومدين كما هي الى كليات للتعليم الاسلامي وكان من المفروض أن تكون كليات علوم الدين الثلاث التي تم برمجتها على الورق جاهزة لاستقبال الطلبة في أول كوكبة من الطلبة الناجحين في شهادة البكالوريا شعبة تعليم أصلي ( جوان 1971) في الموسم الجامعي ( 71 / 1972 ) في انتظار استكمال انجاز الجامعة الاسلامية. وإذا قمنا بعملية حسابية بسيطة نجد أن عدد من حاملي شهادة البكالوريا شعبة تعليم أصلي –

الكوكبة الاولى- وبالنظر إلى ان نسبة النجاح في هذه الشعبة كانت 100 % وبحساب عدد ثانويات التعليم الأصلي التي كانت موزعة في مختلف مناطق الوطن ، تصل الى تحديد رقم لا يقل عن 1000 طالب جامعي تقريبا في شعبة علوم الدين يحتاجون على الاقل الى أربع كليات، بمعدل 250 طالب في كل كلية يوزعون على عدة فروع وشعب أو تخصصات اسلامية وهي كثيرة لايمكن حصرها (الفلسفة الاسلامية والتصوف والعقيدة، الفقه الاسلامي علوم القرآن التفسير والقراءات وعلوم التجويد وعلم الحديث الخ)

نلاحظ ان المجهود المادي والمعنموي الذي بذلته الحكومة منذ الاستقلال ، والمتلعق بإرساء معالم تعليم اسلامي أصيل ومتطور ولتزويد الأمة الجزائرية بإطارات ومفكرين وعلماء وأساتذة في مختلف مجالات العلوم الاسلامية يحافظون على بقاء واستمرارية رسالة الاسلام ونقلها الى الأجيال جيلا بعد جيل ، ذهبت سدى ولم تحقق أهدافها الرئيسية بعد توقف مشروع التعليم الاسلامي في منتصف الطريق ، والحكومة التي سارعت في منتصف الستينات وبداية السبعينات لبناء العديد من اكماليات وثانويات التعليم الأصلي ، توقفت فجأة وعجزت حتى عن تهيئة مؤسسات ثانوية قديمة وتجهزها وتحويلها الى كليات لعلوم الدين ، هذا إذا اعترفنا ان تعطل مشروع الجامعة الاسلامية بقسنطينة كان لأسباب مادية ومبدأ الأولويات وحاجة البلاد ، كما أن المجهود الذي بذله طلاب وطالبات التعليم الأصلي الذين كانوا يأملون من مواصلة التعليم الاسلامي العالمي قد ذهبت في مهب الريح ، والطالب الذي درس مدة سبع سنوات علوم الدين سيجد نفسه في كلية الادب او الحقوق أو التاريخ.

إنّ عدم تحمس حكومة الرئيس هواري بومدين لفتح كليات علوم الدين في تلك السنوات الحاسمة، وتوقيف التعليم الأصلي عند حدود .... مرحلة التعليم الثانوي رغم أن الموضوع لا يتطلب كما ذكرنا سابقا سوى ميزانية بسيطة لتهيئة فضاءات وهياكل قديمة وتجهيزها ، أما بالنسبة للتأطير البيداغوجي فقد كان أمام الحكومة عدة اختيارت كالاستعانة بأساتذة التعليم الأصلي الثانوي الممتازين وترقيتهم إلى أساتذة جامعيين خاصة من خريجي جامعتي الأزهر والزيتونة من تلاميذ جمعية العلماء المسلمين القدامى ، وكذلك الاستعانة بالمؤطرين العرب من مختلف الدول الاسلامية في انتظار جزأرة التعليم الاسلامي العالي بطريقة تدريجية.

إن عدم الاهتمام الرسمي بقطاع التعليم الاسلامي العالي وتوجيه طلبة البكالوريا شعب التعليم الأصلي إلى كليات أخرى في ظل عدم وجود كليات لتدريس علوم الدين، لا يعني في حقيقة الأمر سوى التمهيد والتحضير النفسي لالغاء التعليم الأصلي من أساسه بحجج واهية، وهو ما تم بالفعل بعد صدور الميثاق الوطني لسنة 1976، فما هي خلفيات إلغاء التعليم الأصلي في الجزائر؟ وما هي الحجج التي قدمها "منظروا الحداثة" لاقناع القيادة أو الحكومة والرأي العام؟ وهل تتحمل الحكومة بقيادة الرئيس هوراي بومدين المسؤولية في ذلك؟ أم أن الرئيس هواري بومدين وهو الذي حفظ القرآن الكريم في زاوية و واصل تعليمه المتوسط بمؤسسة بمدرسة الكتانية بقسنطينة ، وقطع مسافة 4000 كلم مشيا على قدميه من أجل مواصلة التعليم العالي بالأزهر الشريف ( القاهرة – مصر ) كان ضحية معلومات وأفكار خاصة ومضللة أو نوع من الاحتيال الذكي ، من طرف بعض مستشاريه و مقربيه من دعاة الحداثة الشيوعين الفرنكوفون .

## قصة إلغاء التعليم الأصلي

هذا التعليم هو ما يسميه الفقهاء بالضروري من علوم الدين وهو " العقيدة ، فقه العبادات، وبعض المعاملات" هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، سواء كان متعلما يجيد القراءة

والكتابة أم لا فيتلقى هذه المبادئ عن طريق السمع بالاضافة إلى حفظ ما تيسر من القرآن الكريم من السور القصيرة وسورة الفاتحة ، لتادية الصلوات الخمس وبعض النوافل ، يعني أن تدريس علوم الدين هي مسألة ضرورية ومحسومة واحد اهم حقوق وواجبات المواطن المسلم الذي يعيش في ظل دولة مسلمة ، والمفروض أن مادة التربية الاسلامية هي مادة أساسية تدرس بشمولية وتوسع وتندرج في كل المراحل التعليمية وتغطي على الأقل اهم الجوانب وهي " العقيدة وفقه العبادات وفقه المعاملات خاصة مواضع الزواج والطلاق والاخلاق و الآداب الاسلامية والسيرة النبوية" وكما ذكرنا في الفقرات السابقة فإن الفضل لله الذي هدى أول حكومة جزائرية بعد الاستقلال لتبني مشروع التعليم الاصلي كنظام تعليمي رسمي مستقل ومواز لنظامي التعليم العام والتقني ، والهدف الرئيسي من هذا التعليم هو إحداث نوع من التوازن في المجتمع والمساهمة في تكوين أجيال متعلمة ومثقفة ومتماسكة من الباحثين وقد بادر أول رئيس منتخب وهو احمد بن بلة لتبني هذا المشروع رغم وجود بعد التحفظات والمعارضات الصامتة من تيارات مختلفة فرونكوفون من الخصوم التقليديين للاسلام ، وللأمانة التاريخية وكما يعلم الجميع فإن وصول العقيد هواري بومدين إلى السلطة بعد التصحيح الثوري الذي أزاح بموجبه الرئيس بن بلة في 19 جوان 1965 أعطى دفعا قويا لقطاع التعليم الأصلي وتم اعتماده في مخططات التنمية وضمن المشروع التنموي الكبير يحيث استعاد من عدة هياكل جديدة ( اكماليات وثناويات ) وتم إدخال عدة تعديلات على مناهجه بإضافة مواد جديدة إلى جانب المواد التعليمية ، وجزأرته بصفة تدريجية وتم اصدار مرسوم رئاسي يعترف بشهادة البكالوريا تعليم أصلي كما تم برمجة إنشاء ثلاث كليات لعلوم الدين بالجامعة الاسلامية وقد اعجب الرئيس هواري بومدين بمشروع المسجد الكبير بقسنطينة وتبنى الفكرة وهناك بعض المعلومات تشير إلى أنه صاحب فكرة توسعه مشروع المسجد ليشمل بناء جامعة للعلوم الاسلامية بقسنطينة وبالفعل تم تدشين المشروع وكان الرئيس من المتبرعين الأوائل لفائدة المشروع، لكن فجاة توقف كل شي لا كليات لعلوم الدين ، و مشروع الجامعة الاسلامية تحول الى ورشة مهملة باحدى الهضبات العالية بقسنطينة ، ومباشرة بعد المصادقة على الميثاق الوطني سنة 1976، تقرر إلغاء التعليم الأصلي وتحويل ممتلكاته وكوادره وموظفيه إلى وزارة التربية الوطنية ، وسط ذهول واندهاش وحيرة الطلبة والأساتذة واهاليهم وكل الغيورين على قيم الشعب الجزائري ، فكان مشروع إلغاء التعليم الأصلي فكرة خبيثة إبتدعتها مجموعة من الأشخاص المحسوبين على النخبة الجزائرية الفرنكو شيوعية من خصوم التوجه العربي الاسلامي للجزائر، من بقايا أو ورثة الذين وقفوا غداة الاستقلا ضد دسترة المرجعية الفكرية والدينية للدولة والمجتمع ، وضد مشروع بيان أول نوفمبر الذي حسم شكل وموضوع وأهداف الدولة عندما اكد على ان الهدف الأسمى من إعلان الثورة هو بناء "جمهورية ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة في إطار المبادئ الاسلامية" حسب بعض المعلومات التي نشرت حول هذا الموضوع وهي قليلة ونادرة جدا لدرجة يكاد يصبح من بين الطابوهات أو المواضيع المرتبطة بأسرار الدولة ، فإن عدد من أعضاء اللجنة الوطنية لتنظيم مشروع مناقشة واثراء الميثاق الوطني من النافدين والمرتبطين تشكل أو بآخر بدوائر أجنبية ، قامو بتحريف وتزوير التقارير الولائية والجهوية المتعلقة بمناقشات آراء الميثاق الوطني خاصة في الجانب المتعلق ب نظام التعليم ، وكما تقول المعلومات فإن مناقشات اثراء الميثاق الوطني التي جرت تحت إشراف حزب جبهة التحرير الوطني ، وبمشاركة الإدارة جرت في إحواء ديمقراطية ، وحرص المنظمون على منح الجميع هامش كبير لإبداء الرأي ، وفي الخلاصة ان اتجاهات الرأي العام الجزائري كانت تفضل اعتماد صيغة التعليم الأصلي المعدلة في فترة اشراف الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم على وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، حيث اقترب المنهج المطبق في اكماليات وثانويات التعليم الأصلي من المنهج الدراسي المطبق في مدارس وثانويات التعليم

العام ، فيما يتعلق بالمواد العلمية والعلوم الانسانية مع توسع وتركيز المواد المتعلقة بعلوم الدين، وكان الجزائريون يعتقدون أن هذا هو النموذج الأفضل للتعليم الاسلامي بحيث يجمع بين الأصالة والحداثة ويؤدي إلى تكوين اجيال من التلاميذ والطلبة متحكمة في العلوم والثقافة التقليدية والمعاصرة ، ويتمتعون بتوازن فكري وروحي، وكانت هناك نخبة سياسة وفكرية وربما عسكرية داخل النظام تتبني هذا التوجه وتسعى إلى تدعيمه و تطويره منذ الاستقلال .وكذلك كان الرئيس هواري بومدين الذي تجاوز مجرد التفكير الى التطبيق وشرع فعليا في تعديل المنظومة القانونية الموروثة عت الاستعمال بقوانين وتشريعات مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وأعطى أوامر للجيهات المعنية بالإسراع في العمل للتخلص في اقرب وقت من القوانين الموروثة عن الاستعمار ، لكن وكما ذكرنا آنفا فإن رموز التيار الفنكوشيوعي حراص المصالح الفرنسية في الجزائر كان لهم رأي آخر، ففي الوقت الذي كانت النخبة الوطنية التي تؤمن حقيقة بالتوجه الطبيعي العربي الاسلامي للجزائر وتعمل جاهدة للتمكين له وترسيخه لدى الأجيال الصاعدة انطلاقا من المدرسة والمسجد والاكمالية والثانوية وصولا الى الجامعة ، وقد قطعت بالفعل أشواطا مهمة اقترنت بخطوات عملاقة من خط الوصل ويمكن أن تذكر على سبيل المثال لا للحصر رموز التيار العربي السلامي في الجزائر الذين حاولوا الاصلاح من داخل النظام وتقديم أفكار وطروحات واقتراحات تصب في خدمة المقومات الأساسية للشخصية الوطنية وهي العروبة والاسلام وتحضير الأجواء والظروف للوفاء لرسالة المجاهدين والشهداء، وبناء دولية بيان اول نوفمبر (مالك بن نبي، مولود قاسم نايت بلقاسم، احمد طالب الابراهيمي، عبد الرحمن شيبان، احمد حماني ) وغيرهم كثير بطبيعة الحال من جنود الخفاء ، كان معسكر الفرنكوشيوعي يتابع المشهد عن قرب ولم يتمكن من فعل أي شي لأن الموضوع لم يعد مجرد أفكار أو مشاريع على الورق يقترحه فلان وفلان ، بل أصبح المشروع مشروع الدولة الجزائرية حيث تبناه الرئيس هواري بومدين وأدمجه ضمن المشروع التنموي الاستراتيجي خاصة وأنه لقي تجاوب ودعم الشعب بعدما حقق نجاحا في الميدان واصبح طلبة التعليم الأصلي في مختلف الشعب ينجحون في كل الامتحانات بمعدلات مرتفعة ، وحسب المعلومات القليلة التي بحوزتها وهي على كل حال منشورة في الانترنت فإن عدد من رموز التيار الفرنكوفوني الشيوعي المتطرف والمعادي للعروبة والاسلام تمكنوا من الوصول إلى مواقع مهمة في اللجنة الوطنية لتنظيم مشروع اثراء الميثاق الوطني الذي بادر به الرئيس هواري بومدين لحسم عدة قضايا ظلت عالقة منذ الاستقلال ، نذكر من بينها على سبيل المثال (رضا مالك، مصطفى الأشرف، عبد اللطيف رحال ) وهؤلاء الشخصيات الثلاث بطبيعة الحال هم مجاهدون بالدرجة الاولى وكتاب ومثقفون كانت لديهم اسهامات وأفكار، ولكن عيبهم أنهم منسلخون عن القيم الوطنية التي من اجلها قامت الثورة وهي العروبة والاسلام فما معنى الاستقلال وماهو طعمه إذا كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الأولى في الجزائر في الادارة والتعليم والإعلام ووسيلة التعامل اليومي بين الموظفين؟ وكيف يكون للاستقلال لون إذا كان التلميذ أو الطالب الجزائري محروم من تعلم علوم الدين بكافة تخصاصاتها من حفظ القرآن ومبادئ الشريعة واللغة الى التخصصات المعقدة؟ إذن فليبقى الاستعمار و لتتحول الجزائر الى قطعة من فرنسا كما كان يحلم غلاة الإستعمار والإندماجيون القدامى قبل توبتهم وعودتهم صاغرين إلى الطريق المستقيم ، أين هي اللغة العربية والاسلام ومكانتهما الطبيعية في هذا البلد؟ إذا لم تسترجع اللغة العربية والاسلام موقعهما الإستراتيجي في هذا البلد فلا معنى و لا طعم و لا رائحة و لا لون للإستقلال ؟ عندما تم حوصلة تقارير الندوات الوطنية والجهوية لمناقشة وإثراء محاور الميثاق الوطني في تقرير وطني عام تدخلت أيد عابثة وتلاعبت وزورت الارادة الشعبية وحرفت الاتجاه العام للمناقشات؟ وحاولت اقناع الرئيس هواري بومدين بأن أغلبية الشعب الجزائري قد ايدي رغبة في توحيد التعليم في الجزائر من خلال الجمع بين

التعليم العام والتعليم الأصلي، وتم صاغة الفقرة في الميثاق الوطني (76) بهذا الشكل ( وبهذا الصدد وانطلاقا من المبدأ الثابت لوحدة التعليم ، وتوحيد التوجيه الايديولوجي للشباب وحتى يكفل لجميع الجزائريين في أقرب الآجال نفس التعليم ، فمن الضروري أن يدمج التعليم الأصلي والتعليم العام في تعليم عام موحد وان يدرج النظامان التعليميان في نظام واحد بنفس الروح ونفس البرامج ونفس المواد ، ويدعم فيه تعليم مادة الدين سواء في مرحلة الدارسة الابتدائية او الثانوية ) الميثاق الوطني 76 ص97 وعند قراءة هذه الفقرة قراءة متانية نفيد إلى ما وراء النص وما تحت السطور وتحليلها تحليلا موضوعيا بعيدا عن الذاتية أو نظرية المؤامرة التي تتهم رموز من النخبة الفرنكوفونية التي كانت مقربة من من الرئيس هواري بومدين بالطلوع في جريمة إلغاء التعليم الأصلي في الجزائر بداية من الموسم الدراسي (1978/77) وربما نأخذ بتحفظ كبير بعض الأخبار التي أشارت الى تدخل تلك الأطراف الشيوعية الفرنكوفونية لمنع تعيين الأستاذ مولود قاسم وزيرا للتربية ، و تحويل حقبة التربية من إلى الكاتب الفرنكوشيوعي مصطفى لشرف ، بالنظر إلى عدة اعتبارات منها على وجه الخصوص صعوبة تمرير مثل هذا الأمرحبل على رئيس دولة وعقيد في الجيش متمرس بفنون الكولسة والاعيب السياسة و الدوائر المغلقة ، في تحليل الفقرة المتعلقة بإدماج التعليم الأصلي مع التعليم العام تحدث النص عن توحيد التعليم وادماج ولم ينص على إلغاء التعليم الأصلي، وأكد أن مبدأ توحيد التعليم أصبح ثابتا وقناعة راسخة ومطلب شعبي ورسمي ، والهدف هو ضمان تعليم واحد لجميع الجزائرين وبنفس الدرجة، أي تعليم عاد مدعم بمواد دينية موسعة أو تعليم أصلي متفتح على المواد العلمية التقليدية وبعبارة أدق الجمع بين التعليم التقليدي والتعليم الحديث ، والاشكال يكمن في تاكيد الميثاق الوطني على عدم التضحية بأي من النظامين التعليميين وادماجهما مع بعضهما بنفس الروح وبنفس البرنامج وبنفس المواد ، مؤكدا على تدعيم مادة الدين في جميع مراحل التعليم وهناك عبارة ملفتتة للإنتباه وهي في أقرب الآجال ، القصة هنا وبكل موضوعية هي قضية التفكير في نظام تعليمي جديد يجمع سر النظام الأصلي التقليدي والنظام العصري وهو تقريبا نفس الاتجاه الذي أبداه الشعب الجزائري أثناء مناقشة و أثراء الميثاق الوطني ، والنظام التعليمي الجديد الذي نشر به الميثاق الوطني هو المدرسة الأساسية الذي لم يتحقق في عهد الرئيس هواري بومدين الذي توفى في 27 ديسمبر 1978 ولم يتمكن من تطبيق كل ما جاء في الميثاق الوطني لكنه وقبل وفاته وكما تقول الاخبار ندم على تعيين مصطفى شرف كوزيز للتربية الوطنية وقام بتنحيته بعد سنة و نصف من تعيينه وقد تكون الأسباب بطبيعة الحال ايديولوجية وتنظيميه منها على سبيل المثال موقف مصطفى لشرف من اللغة العربية وعلوم الدين وتماطله في موشوع المدرسة الأساسية ، نعود ونؤكد أنه من الناحية النظرية فان فكرة إدماج التعليم الأصلي مع التعليم العام وستحدات نظام تعليمي واحد موحد بنفس الروح ونفس البرنامج ونفس المواد، مع تدعيم مادة الدين اي علوم الدين او العلوم الاسلامية: هي في حقيقة الأمر عبارات مغرية وفكرة جميلة وجذابة تسحر العقول وربما يكون الرئيس هواري بومدين قد انخدع بهذه الكلمات السحرية التي وردت في الميثاق الوطني؟ لكن هل تحقق في الواقع إدماج فعلي بين التعليم الاصلي والتعليم العام بنفس الروح ونفس البرنامج؟ ونفس المواد مباشرة بعد الغاء التعليم الأصلي؟ واذا كان تحقيق هذا المشروع يتطلب المرور عبر مرحلة انتقالية لماذا تسرعت الحكومة في الغاء التعليم العام؟ لماذا لم يتم الادماج التدريجي بين النظامين في الموسم الدراسي 1978/77 هل كان المنظرون لمشروع الادماج ينتظرون الشروع في تطبيق نظام المدرسة الأساسية الذي كان بطبيعة الحال يتطلب تحضير جيد للمنهاج والهياكل والمؤطرين ليبدأ عليه الادماج بين التعليم الأصلي والتعليم العام بنفس الروح ، وبنفس البرامج والمواد؟ لست مكلفا بالبحث في النوايا وما تخفى الصدور ولكني متأكد أنه من الناحية

النظرية يبدو أن الميثاق الوطني استجاب بشكل من الأشكال إلى مطالب الشارع بتوحيد التعليم واعتمد التعليم الأصلي في شكله المعدل والمجزأ، لكن من الناحية العملية تبدو الامور غير ذلك؟ هل كان مشروع المدرسة الأساسية سيستوعب هذا الاشتغال الأساسي ويجمع بين النظامين التعليميين؟ لماذا تأخر هذا المشروع إلى غاية بداية الثمانينات ؟ لقد حصلت بعض الأحداث المفاجئة واتخذت مواقف وقرارات يمكن من خلال استقراءها استنتاج بعض الحقائق المرتبطة بموضوع التعليم الأصلي في انتظار صدور شهادات حية أو تصريحات أو معلومات جديدة تنير لنا هذا الطريق المظلم المسدود الذي تكتنفه الغموض من كل الجوانب.

تقول المصادر الموثوقة أن بصمات التيار الفرنكو/شيوعي العلماني المتطرف كانت حاضرة بقوة في موضوع الميثاق الوطني من أول خطوة إلى غاية صياغة التقرير النهائي للمحاضر الولائية والجهوية ، وصياغة النسخة الرسمية من الميثاق الوطني رغم وجود شخصية وطنية تاريخية وذات خلفية عسكرية ، لا يشك أحد في انتمائه للعربية والاسلام والدفاع عنها ، على رأس جهاز حزب جبهة التحرير الوطني الذي كان منها من وظائفه تأطير عملية مناقشة واثراء الميثاق الوطني ، وكما تقول المصادر فإن رموز التيار العلماني الفرنكو/شيوعي ، زيادة على دورهما وموقعهم في اللجنة الوطنية المكلفة بالعملية ، أستندت لهما عملية صياغة الجانب الايديولوجي من الميثاق الوطني وهم أهم باب في هذه الوثيقة التي تعتبر مرجعيا وبرنامجا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا يمتد إلى 100 سنة.

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال لماذا وكيف؟ وصل رموز التيار العلماني الفرنكوشيوعي بداية إلى اللجنة الوطنية لإثراء الميثاق الوطني ولماذا لجنة الصياغة؟ وأين كانت رموز الجناح او التيار الاس ؟ لامي ولماذا لم تحاول التأثير والدفاع عن اهم المكتسبات الثقافية والعلمية التي تحققت؟ لقد عرفت فترة ما بعد الميثاق الوطني صعودا لرموز التيار الفرنكوفوني الشيوعي العلماني و استلائهم على 3مناصب وزارية هامة واستراتيجية وهي: (التربية – مصطفى الأشرف، الاعلام والثقافة رضا مال، التعليم العالي عبد اللطيف رحال )

يمكن تبرير تأخر الشروع في اقرار المدرسة الأساسية كنموذج مفضل للتعليم في الجزائر بعدما اجتمعت جميع الآراء على تبني هذا المشروع لاسباب تقنية ومادية وعدم المغامرة أو التسرع و اجراء بعض التجارب من خلال إنشاء مدارس أساسية نموذجية في عدة ولايات ودراسة التجربة وتضمينها من كل الجوانب ثم المبادرة إلى تكميلها إذا كانت ناجحة وهو ما تم بالفعل . فالمعلومات العلمية التي بحوزتنا تؤكد أن القصة من الناحية العلمية تتعلق بإلغاء التعليم الأصلي من أساسه وتحويل ممتلكاته وتراثه العقاري إلى وزارة التربية وليست "إدماج وتوحيد النظامين التعليمين في نظام واحد بنفس الروح وبنفس البرنامج" وأن ما جاء في الميثاق الوطني من عبارات سحرية جميلة ومؤثرة كان هدفه "تخذير الراعي العام وتجنب غضبه وطمأنته بأن التعليم الأصلي سيصبح هو التعليم العام ، و لقد تفطن الأستاذ مولود قاسم للعبة الماكرة... صحيح ان الميثاق الوطني تحدث عن إدماج وتوحيد النظامين التعليميين اللذين كانا سائدين في الجزائر منذ استرجاع السيادة الوطنية إلى غاية 1977م ، وهما التعليم الأصلي الاسلامي والتعليم العام، وتوحيدهما في نظام تعليمي واحد، بنفس الروح وبنفس البرنامج ، لكن بعض المصادر تقول أن الموضوع تحول فجاة إلى إلغاء وتم مناقشته في مجلس الوزراء واختلفت الآراء حوله بين مؤيد ومعارض لالغاء التعليم الأصلي الذي أصبح مشكلة وخطرا على المجتمع ، ولما عرض الرئيس هواري بومدين الموضوع على التصويت داخل مجلس الوزراء وافق أغلبية الوزراء على إلغاء التعليم الأصلي باستثناء الوزيرين مولود قاسم نايت بلقاسم ، وبن حبيليس اللذين إستماتا في الدافاع عن المشروع مؤكدين على ضرورة

الوفاء لروح الميثاق الوطني وللوعود الذي قدمها للشعب من خلال تطبيق فكرة الادماج والتوحيد" لأن مجرد التفكير في منظومة تربوية تستبعد علوم الدين من مناهجها ستؤدي الى تكوين حبل مقطوع الصلة بمرجعيته الدنية الأصلية و المستندة إلى تاريخه المجيد والعريق المترابط الحلقات" وستتحول الأجيال القادمة تلقائيا إلى البحث عن مرجعيات دينية واعتناقها مما يؤدي الى انفصال عميق بين المرجعيات الدينية وصدام فكري بينها . وبطبيعة الحال فإن الرئيس هواري بومدين كان مضطرا للاستجابة لرأي الأغلبية أعضاء مجلس الوزراء "الحكومة" وتم بصفة رسمية إلغاء التعليم الأصلي ومحوه بحذافيره من خارطة التعليم في الجزائر، وتجاهل أصحاب الفكرة ما كتبوه بأيديهم في الميثاق الوطني ، قد يقول قائل لماذ لم يستعمل الرئيس هواري بومدين نفوذه وسلطته للوقوف في صف الداعمين لفكر الادماج والتوحيد ضد المجموعة التي تبنت فكرة الغاء التعليم الأصلي ، بما أن هذا النمط من التعليم الإكمالي والثانوي كانا موجودا في الجزائر منذ استرجاع السيادة الوطنية ولم يتعرض عليه أحد ، لدرجة أن مصطفى الأشرف عندما كان خارج النظام أبدى إعجابه بالتعليم الأصلي وأكد أنه لا يوجد أحسن منه . وكما تقول المصادر فإن الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التلعليم الأصلي والشؤون الدينية هو الذي توسط لدى الرئيس بومدين من أجل توظيف مصطفى لشرف في إحدى المناصب الهامة باعتباره من الطاقات والكفاءات الحية . ولذلك يمكن القول ان الرئيس هواري بومدين وكما يؤكد ذلك عدد من المقربين منه من اهم مميزات شخصيته هي عدم التسرع في ردود الفعل ، او اتخاذ قرارات تحت الضغط او الظروف أو العاطفة . وانه كان يأخذ وقتا طويلا لدراسة الموضوع من جميع جوانبه و يستشير العديد من الشخصيات قبل أن يقرر وعندما يقرر لا يتراجع إلى الوراء. لكن الوفاة المفاجئة للرئيس هواري بومدين قد أخلطت الكثير من الأوراق ورغم ذلك فإنه قا م بعزل مصطفى لشرف من منصبه كوزير للتربية بعد 18 شهرا من تعيينه . وتأتي في مقدمة أسباب العزل بطبيعة الحال عدم الرضا عن أداء الوزير بغض النظر عن تناقص توجهاته السياسية والفكرية مع توجهات النظام وقد عبر الرئيس بومدين عن هذه الفكرة عندما قال للأديبة زهور ونيسي عندما نبهته للأفكار الخطيرة التي يطرحها لشرف في الصحف و المجلات الصادرة باللغة الفرنسية أن الأفكار التي يطرحها مصطفى الأشرف لا تعنينا. إنّ التوجه العربي الاسلامي للرئيس هواري بومدين لا غبار عليه رغم تبنيه للنظام الاشتراكي في بعده الاقتصادي والاجتماعي ومحاولة احتوائه ضمن الإطار الاسلامي ، وتبني مفهوم جزائري خاص للاشتراكية يسميه الاشتراكية الاسلامية بعيدا عن الجذور المادية الالحادية الإباحية للإشتراكية . ويمكن تفسير عزل مصطفى لشرف عن وزارة التربية بعد فوات الأوان بتفطن الرئيس هواري بومدين للمكيدة التي وقعها رموز التيار الفرنكوفوني الشيوعي العلماني ضد التعليم الأصلي في فترته الذهبية التي كانت ستتوج بإنشاء كليات لعلوم الدين أوجامعة إسلامية شاملة بمعنى توقيف مشوار التعليم الأصلي في منتصف الطريق واجهاض تجربة جزائرية رائدة في مجال التعليم الاسلامي.

## المدرسة الأساسية

يمكن القول أن فكرة إدماج التعليم الأصلي مع التعليم العام كانت مرحلة إنتقالية قبل العبور الى نظام المدرسة الأساسية الذي بشر به الميثاق الوطني ، و إعتبرته حكومة الرئيس هواري بومدين مشروعا إستراتيجيا يحمل صفة الأولوية المطلقة ن و قد شرع في تطبيق نظام المزدرسة الأساسية بداية من الموسم الدراسي 80 / 1981 و تم ترسيم شعبة العلوم الإسلامية في مرحلة التعليم الثانوي ، كنعويض عن نظام التعليم الأصلي الملغى

## موقع علوم الدين من منهج المدرسة الأساسية

تعتبر مادة التربية الاسلامية مادة أساسية في برنامج المدرسة الأساسية لكل السنوات التسعة الاجبارية أما بالنسبة للتعليم الثانوي فتم استحداث شعبة العلوم الاسلامية لكن عند مقارنة منهج المدرسة الأساسية والتعليم الثانوي مع التعليم الأصلي نجد أن هناك فوارق شاسعة في الشكل والمضمون بين النظامين التعليميين. فبالنسبة للتعليم الأصلي الإكمالي يعتبر نوعا من التخصص المبكر حيث يستفيد التلميذ من 4 سنوات في دراسة شبه متخصصة في علوم الدين ( اللغة و الأدب ، العقيدة، الفقه ، التفسير، الحديث ، التاريخ ) بالاضافة إلى العلوم الحديثة الرياضيات الفيزياء العلوم الطبيعية، وفي ثانويات التعليم الأصلي يدرس الطالب نفس المواد تقريبا ولكن بتوسع وعمق ، بحيث يتم تعميق فكرة التخصص المبكر وتدعيمها اكثر فأكثر. فاهم خصائص التعليم الاسلامي هي الاعتماد على الحفظ الضروري للقرآن الكريم واهم المتون في الفقه واللغة والقراءات ، بخلاف التعليم الأساسي الذي اهمل هذا الجانب في الطورين الاول والثاني ( الابتدائي والمتوسط ) واكتفى بادراج مادة التربية الاسلامية ثم اقترح شعبة العلوم الاسلامية لطلبة لا يحفظون القرآن الكريم ، وبالتالي فإن مشروع التعليم الأصلي كنظام تعليمي متميزبين التعليمين العام والتقني يعتبر أفضل نظام تعليمي إسلامي باعتباره يمهد للتخصص المبكر في علوم الدين ، ويمنح الطالب قاعدة علمية نفيسة تجمع بين الطرق التقليدية التي تعتمد على الحفظ واساليب التعليم الحديثة التي ترتكز على قوة الاستعاب والفهم والتحليل ، ولذلك فإن المطلوب هو العودة السريعة إلى تبني نظام التخصص المبكر، في مختلف الشعب وليس علوم الدين أو العلوم الاسلامية فقط كما هو معمول به في العديد من الدول الإسلامية ، من خلال إعادة فتح متوسطات وثانويات نموذجية عبر الدوائر والولايات متخصصة في علوم الدين ، و العلوم الأخرى ، خاصة في هذه المرحلة التي تشهد فيها البلاد تراجعا

## الزوايا

الزوايا جمع زاوية وهي عبارة عن مؤسسات تعليمية تقليدية تمول من طرف مواطنين محسنين ، حيث يبادر أحد المواطنين بمفرده أو بالتعاون مع عائلته الصغيرة أو الكبيرة، بتخصيص قطعة أرضيه من أملاكهم الخاصة لبناء الزاوية ، وتوظيف معلمي القرآن ومختلف العلوم الدينية ... ويتراوح عدد التلاميذ في كل زاوية حسب حجمها وامكانيات استعابها من 25 إلى 100، يتبعون عادة بالنظام الداخلي ويعتمدون على انفسهم في تنظيف مقر إقامتهم وفي تحضير الوجبات الغذائية ، وتتكفل معظم الزوايا التي كانت ومازالت منتشرة في الجزائر بتحفيظ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع بالطرق التقليدية أي" كتابة أجزاء من القرآن الكريم" ثمن أو ربع في ألواح خشبية بواسطة حبر مستخرج من الصوف المحروق ممزوج بقليل من الماء، وتساعد التلاميذ في حفظ أهم المتون في القراءات ، والنحو، والعقائد والفقه (الشاطبية ، ألفية ابن مالك ، ابن عاشر ، و الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ) أما فيما يتعلق بسن التمدرس فتبدأ من 5 سنوات على الأقل ويتخرج التلميذ بعد 5 سنوات أو أكثر حافظا للقرآن الكريم ، و ملم بمختلف مبادئ اللغة وعلوم الدين ، يجيد القراءة والكتابة ، وهناك عدد من الزوايا تمنح إجازات مكتوبة للمتخرجين منها ليسمح لهم بمواصلة التعليم في الأطوار الأخرى، ومنذ القديم كانت الجامعات الاسلامية الكبرى ( الأزهر الشريف ، الزيتونة ، القرويين ) تعترف بحفاظ القرآن الكريم المتخرجين من الزوايا ، وتسجلتهم مباشرة في السنة الأولى جامعي ، بمعنى أن حفظ القرآن الكريم كاملا يعتبر مستوى معادلا لشهادة البكالوريا وفي

الجزائر ومنذ سنوات، حافظت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على هذا المبدأ ، بأمر من الرئيس بوتفليقة.

والزوايا في حقيقة الأمر عبارة عن مدارس خاصة تقدم خدمات تعليمية وتربوية مجانية، وتمثل نموذجا حيا للتعليم الاسلامي الأولي ، غايتها الأولى المحافظة على تواتر القرآن الكريم وانتقاله من الأجيال بطريقة سليمة من الشيوخ الحفاظ إلى التلاميذ في إطار سلسلة غير متناهية ، وكان لهذه المؤسسات التعليمية النفيسة دور كبير في المحافظة على أهم مقومات الشخصية الوطنية وهي اللغة العربية والاسلام ، وقد ظلت العديد من الزوايا تؤدي وظيفتها التربوية إلى غاية اليوم ولم تتمكن الحكومة من تأميمها أو إدخالها في القطاع العام ، بحكم أنها مؤسسات خاصة مستقلة تماما عن الدولة ووجود أغلبها في الأرياف والمداشر ، وإذا أردنا تقديم وصف تفصيلي للزاوية يمكن أن نقول أنها بالتعبير العصري عبارة عن مركب تربوي مصغر يحتوي على مسجد ومدرسة بها أقسام وساحة ومراحيض، ومرقد ومطبخ وحمامات ومخزن للمواد الأولية ، وبطبيعة الحال يوجد بالمسجد مكتبة تضم المصاحف والكتب السلامية ، وبعض الزوايا الكبيرة حيزا للمكتبة داخل المدرسة أو في مكان مستقل

## مدارس مصغرة للوطنية الأصيلة

معظم رؤساء الجزائر والشخصيات الوطنية والنخب السياسية والفكرية تخرجوا من الزوايا أو ينتمون إليها بشكل أو بآخر، فالرئيس أحمد بن بلة ينتمي إلى الزاوية الهبرية بغرب البلاد، والرئيس هواري بومدين حفظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والعلوم الإسلامية في زاوية صغيرة بولاية قالمة ، أما الزعيم القبائلي حسين آيت احمد فهو ابن الزاوية الرحمانية التي تنتمي إليها عائلته حيث أسسها جده وقد طلب قبل وفاته بدفنه بجوار هذه الزاوية العريقة ، وهكذا كانت الزوايا ولا تزال منبعا للوطنة الأصيلة ، رفعت مع القرن التاسع عشر لواء الجهاد ضد المستعمر الفرنسي ، ومنها خرجت جيوش المجاهدين الأوائل ومن رحابها انطلقت شارات المقاموات الشعبية ضد الجيش الفرنسي ، وباستقراء عابر للتاريخ نجد أن قادة معظم هذه الثورات الشعبية كانوا شيوخ زوايا ، أو معلمين بها أو متخرجين منها ، الأمير عبد القادر، بوعمامة ، المقراني، بوبغلة ..إلخ، وإذا كانت الإدارة الاستعمارية نجحت بمكرها وجيشها و إغراءاتها في اختراق بعض الزوايا والتأثير عليها ، فهذا يعني أن كل الزوايا الجزائرية كانت موافقة أو رافضة أو مرتاحة للوضع السياسي والاجتماعي الساري الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الجزائريين بقوة الحديد والنار.و توجد بالجزائر منذ قديم الزمان عدجة زوايا عريقة من بينها- الزاوية الحملاوية بقرية وادي سقان ضواحي مدينة تلاغمة ولاية ميلة ، زاوية الهامل بولاية المسيلة.الزاوية الغبرينية خميس الخشنة ولاية بومرداس ، الزاوية التيجانية بـ: عين ماضي ولاية الأغواط.

الفصل الثاني ( 2 )

# جمعية القيم

## من التأسيس

## الى الحل

# جمعية القــيم

كما ذكرنا في الفقرات السابقة أن "التيار" لم يكن يمر بسهولة بين الرئيس أحمد بن بلة والشيخ البشير الابراهيمي لأسباب تاريخية لا يزال الغموض يكتنفها ، وقد تحول الخلاف إلى مواقف ، حيث رفض الرئيس بن بلة الترخيص بعودة جمعية العلماء إلى النشاط بعد الاستقلال وطارد العديد من شيوخها ، لكنه مع ذلك توقف عند البشير الإبراهيمي وعاش الرجلين فيما يشبه الحرب الباردة إلى غاية 16 أفريل 1964 عند إصدار الابراهيمي بيانا ينصح فيه لنظام باحترام رسالة الشهداء ، ولكي لا يفهم موقف الرئيس أحمد بن بلة من جمعية العلماء المسلمين ورموزها على انه موقف ضد الاسلام ، حاول ان يقدم او يقترح عدة بذائل لتأكيد ارتباطه الوثيق بالعروبة والاسلام فجاء مشروع التعليم الأصلي وهو رغم بعض نقائصه نموذجا رائد للتعليم الأساسي السليم . كما أن ما سمي ب دستور بن بلة الذي أصدره سنة 1963 يعترف بحق المجتمع الجزائري في انشاء الجمعيات على مختلف اشكالها وموضوعاتها و أهدافها ، ومن هنا تم الترخيص لجمعية القيم كبديل عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حيث قامت مجموعة مباركة من تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس باعلان تأسيس هذه الجمعية في احتفالية كبيرة حضرها العديد من الشخصيات الوطنية سواء تلك المحسوبة على النظام او من رموز الثورة المضادة ، حيث شارك الجميع في عيد إحتضان هذا المولود الجديد الذي سيؤدي نفس المهام التي كانت تقوم بها جمعية العلماء المسلمين في فترة الاحتلال ، بنفس الرؤية والموقف مع تطوير الوسائل والآليات والتكييف مع الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الجديد.

تأسست جمعية القيم في سنة 1963 وتحصلت على الاعتماد من ولاية الجزائر في نفس السنة ويعتبر السيد الهاشمي التيجاني وهو أستاذ سابق بالمعهد العالي لأصول الدين من بين المؤسسين الذي قدموا شهادة صحفية حول الجمعية نشأتها وظروف تأسيسها، وأسباب حلها وهذا الشهادة القيمة منشورة في جريدة الشروق على ثلاث حلقات بداية من العدد الصادر في 16 مارس 2013 نحاول اقتباس ما يساعدنا على تقديم القارئ هذه الجمعية إلى القراء.

تأسست جمعية القيم في 15 رمضان 1383ه الموافق لـ: 8 فيفري 1963م وتحصلت على الاعتماد من ولاية الجزائر في 20 رمضان 1383ه الموافق لـ: 14 فيفري 1963م ( في مدة قياسية و في أقل من أسبوع و هي جمعية وطنية ، بينما يتم الحصول على إعتماد جمعية محلية أو بلدية أو ولائية في مدة أقصاها سنة 12 شهرا في سنة 2021 ) و عن الاهداف المتوخات من تأسيس جمعية القيم يقول الأستاذ تيجاني في المصدر نفسه "لم تبرز للوجود لملأ الفراغ الذي تركته جمعية العلماء المسلمين كما يظن الكثير وإنما لتحقيق رغبة مؤسسيها في القيام بواجبهم الديني الذي يفرض عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في تنوير العوام بأركان دينهم وجلال أعمال سابقيهم وبايقاظ المثقفين من أبناء ملتنا لحقيقة غاية الحياة التي لا تنحصر في الحصول على العيش وعلى الوسائل التي تضمنه مهما كانت صالحة ومشروعة ومباحة.

## الفكرة وظروف التأسيس

حسب شهادة الدكتور الهاشمي التيجاني فإن فكرة تأسيس جمعية ثقافية فكرة إسلامية ظهرت في السنوات الأولى للاستقلال ونضجت لدى مجموعة صغيرة من المثقفين الاسلاميين الغيورين على دينهم ووطنهم وهم السادة (عبد ربه ، زهير إحدادن ، الشريف قصار باعلي)

ولظروف خاصة انسحب ثلاثة أعضاء من أوائل المؤسسين بعد عدة أشهر من تأسيسها ، حيث لم يبق سوى الأستاذ "التيجاني" وحده يصارع الأمواج العالية ، بإعتباره صاحب الفكرة كما صح في نفس الشهادة. لكن انسحاب هؤلاء الثلاثة لم يمنع من استمرار الجمعية في نشاطها إذ تم استخلافهم بأعضاء جدد وتم فتح باب الانخراط في صفوفها فدخلها الناس أفواجا. ويذكر الدكتور التيجاني أحد الأعضاء النشطين في الجيل الثاني ( الجدد ) السيد مختار عنيبل وهو من الكتاب الاسلاميين باللغة الفرنسية. مجاهد دبلوماسي ويعتبر مجرد وجوده بالجمعية دعما معنويا وتأمينا لها من غدر " الخصوم والأعداء" كما ذكر من بين الأعضاء الناشطين والمدعمين للجمعية وغيرها بأموالهم السيد عباس التركي المولود في 10-12-1901 بالمدية والمتوفى في 26-03-1983 بمدنة تبسة في ذكرى استشهاد البطل الشيخ العربي التبسي فيقول عنه: ذالكم المؤمن الصادق الصالح السخي الذي جاهد بماله ومساعيه وحرصه على إعلاء كلمة الله ، وقد سبق له وأن أنفق الكثير على حزب الشعب قبل وبعد أن يسمى بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، وحزب البيان وخاصة على جمعية العلماء المسلمين وعلى غيرها من الكتاتيب والمدارس الاسلامية الحرة ، أما مساهمته المالية في ثورة التحرير ( أول نوفمبر ) فحدث ولا رحج وقد دعم العديد من الكتاب الجزائرين الشباب بطبع ونشر كتبهم مثل مالك بن نبي واسماعيل العربي.

## الهاشمي التيجاني : محطات بارزة

قد تولد الفكرة أو المشروع من رحم شخص واحد وقد يتقاسم نفس الفكرة أو المشروع عدة أشخاص ، و هناك تباين طبيعي في النوايا والاهداف وتفاوت في قدرات العمل والصمود والنضال ، وسنحاول ان نقدم نبذة صغيرة عن هذه الشخصية الفكرية التي كانت سابقة في التفكير والعمل لإعادة إحياء الثقافة الاسلامية الوطنية واستكمال رسالة المصلحين والمجاهدين والشهداء الصالحين.

### مناضل في الحركة الوطنية

في سنة 1938 رفض التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي وقام باعتصام لمدة سنة في احدى المساجد بمدينة الرباط المغربية ، وفي سنة 1948 سافر إلى مصر من اجل الانخراط في صفوف المجاهدين المسلمين للدفاع عن فلسطين ومحاربة الكيان الصهيوني ، وبعد اندلاع الثورة المباركة في 1 نوفمبر 1954 التحق بصفوفها مباشرة وعين في مصالح اعلام الثورة بالقاهرة كصحفي بإذاعة صوت الجزائر ومسؤولا عن القسم الفرنسي بالإذاعة إلى غاية استقلال الجزائر 5 جويلية 1962. ساهم رفقة مجموعة من النشطاء الاسلاميين في سنة 1963 في تأسيس جمعية القيم وصمم لها إشهار معبرا هو العمل للدنيا وللآخرة .في سنة 1966 تدخل باسم جمعية القيم لدى النظام المصري من اجل إلغاء أو تحفيف الحكم بالإعدام على المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب.ابتكر مفهوما جديدا لفكرة " الناسخ والمنسوخ" أبطل بموجبه ما كان سائدا في الفكر الاسلامي من مسلمات ، واعتبر أن المقصود بالنسخ في القرآن هو التفسير وتقريب المعنى واستكمال الفكرة . قضى جل حياته باحثا ومفكرا واشتغل كأستاذ في المعهد العالي لأصول الدين.

## أهم انجازات الجمعية

تختلف بطبيعة الحال نشاطات جمعية القيم عن نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالنظر إلى اختلاف الظروف ةالأوضاع السياسية المحلية ، وان كانت تتضارب معها في الشكل

أحيانا ، ذلك أن جمعية العلماء كانت تنشط تحت سلطة وإدارة استعمارية عملت بكل ما أوتيت من قوة على محو كل ما يرمز إلى الانتماء الطبيعي العربي الاسلامي ، وركزت بشكل خاص على تقليص فرص التعليم العربي الاسلامي و إقصائه ، وفي نفس الوقت فسح المجال أمام نخب معنية مختارة أو عشوائية محظوظة للتعلم باللغة الفرنسية ، بكل ما تحمله ها النمط من التعليم بطبيعة الحال من قيم مسيحية وعلمانية ، ولذلك كانت مهمة جمعية العلماء المسلمين شاقة ومتعددة الأوجه حيث حاولت أن تحل محل ثلاث وزارات سيادية هي: التربية والتعليم ، الثقافة والاعلام ، الشؤون الدينية ، لكن الأمور تختلف بالنسبة لجمعية القيم التي تأسست في ظروف تميزت باسترجاع الجزائر لسيادتها واستقلالها الوطني ، وفي ظل نظام سياسي اشترك الجميع في تحقيقه فلا فضل لأحد على الأخر، ومن حق الجميع الاستفادة من ثمراته ، وهذه المشاركة في العمل الثوري سمحت للجميع بحق المشاركة في العمل السياسي وفي اسداء الرأي ونقد الحكومة ، في ظل مناخ ديمقراطي فرضته ظروف الثورة والاستقلال ، ومن جهة أخرى فإن الوضع السياسي الجديد للبلاد قد فرض على الحكومة التكفل بكل المهام المنوطة بها ومن بينها الاعلام والتربية والشؤون الدينية ، وقد تحملت الحكومة بالفعل مسؤولية تأسيس منظومة اعلامية وتربوية وأحذث على عائقها مهمة الشؤون الدينية بمفهومها الواسع وعلى سبيل المثال فقد تكفلت حكومة الرئيس أحمد بن بلة بإنشاء " التعليم الأصلي" كنمط تعليمي مواز للتعلمين العام والتقني من خلال فتح العديد من الأساسيات والثانويات المتخصصة في التعليم الاسلامي، ثم تكفلت حكومة الرئيس هواري بومدين بمشروع ملتقيات الفكر الاسلامي التي تحولت إلى جامعات صيفية سنوية مفتوحة على جميع الأفكار والمسارت الاسلامية وبالتالي فإن نشاطات الجمعية لم تكن بديلا عن مهام ووظائف بعض الدوائر الوزارية ك: ( التربية، الثقافة والاعلام، الشؤون الدينية) وإنما كانت مكملة النشاط الرسمي في تلك المجالات ويمكن حصر اهم نشاطات جمعية القيم حسب المجالات كما يلي:

**الدعوة والتبليغ:** وهو اهم نشاط يمكن أن تضطلع به وزارة الثقافة والاعلام والشؤون الدينية من خلال مؤسساتها ( المساجد، المراكز الثقافية، ودور الشباب، والصحافة السمعية البصرية والمكتوبة ) حتى حكومة الرئيس أحمد بن بلة أنشأت وزراة للإرشاد والتوجيه وقد اعتمدت الجمعية في مجال الدعوة والتبليغ ، على إلقاء الدروس المسجدية والمحاضرات العامة، واستغلال المناسبات الدينية والوطنية للتوجيه والإرشاد، وتوعية الناس وتعليمهم أمور الدين والأخلاق الحميدة.

**الصحافة:** تحصلت جمعية القيم على ترخيص لإصدار مجلتين فكريتين شاملتين كانتا تطبع بمطابع الجيش الوطني الشعبي الأولى تسمى "القيم" والثانية "التهذيب الاسلامي" وقد صدر منها كا ذكر الدكتور التيجاني في شهادته 10 أعداد من القيم و 11 عددا من التهذيب الاسلامي.

**السياحة الثقافية:** اعتمدت الجمعية على الجانب السياحي لتعريف المواطن الجزائري وحتى بعض الزوار الأجانب بالمعالم التاريخية الاسلامية ، وقامت ببرمجة عدة رحلات إلى مدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة حاليا حيث يوجد ضريح الفاتح المسلم العظيم عقبة بن نافع ورفاقه الكرام ، ورحلة اخرى إلى مدينة تيهرت ( تيارت ) عاصمة اول دولة اسلامية جزائرية وهي الدولة الرستمية التي أسسها إخواننا الإباضيون وعززوها بالقوة والدين والعلم والاقتصاد طيلة القرنين الثاني والثالث الهجريين ، كما يقول الدكتور التيجاني ، وكانت الرحلة الثالثة مبرمجة لزيارة قلعة بني حماد بالمسيلة ، وبجاية ، والرابعة لعاصمة الزيانين تلمسان لكن الرحلتين الاخيرتين لم تكتب لها النجاح ولم تتم.

**التجمع الشعبي بدار الشعب:** بعدما تمكنت جمعية القيم من الوقوف على قديمها واكتسبت التفاف الجزائريين من الشعب ومن الرسميين ( المسؤولين ) حولها وهو ما نكتشفه عند التعرف على الأسماء التي كانت تنشر مقالاتها في مجلات الجمعية ، حيث نجد أن عدد لا بأس به من الشخصيات الوطنية السياسية والفكرية كانت مساندة لهذه الجمعية القيمة ، وفي نفس الوقت كانت هناك أطراف تراقبها عن بعد وتحصي عليها هفواتها وتضخمها وتنتظر الفرصة المواتية للانقضاض عليها ، وضمن هذا السياق يقول الدكتور التيجاني رحمه الله ومن باب القيام بالدعوة استاذنت جمعيتنا الحزب الوحيد (نقصد قيادة حزب جبهة التحرير ) في إقامة حفل بدار الشعب بالعاصمة ، وذلك قصد التعريف بمشروع نشاطنا الديني والثقافي ، ولم تكن جبهة التحرير لترفض طلبنا ، إذ معظم أعضائنا كانوا من اعضائها منذ اندلاع الثورة، ، فتحقق لنا ذلك بفضل الله ، وغصت دار الشعب بالشعب فعرف خطباؤنا وكتابنا ببرنامج القيم الاسلامية وأكدوا على ضرورة بعث اللغة العربية موحدة اللهجات المتولدة عنها ، مهيبين كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بالعودة الى التمسك بالاخلاق القرآنية والسنة النبوية وبإقامة الشريعة الاسلامية في الاحكام والحدود، ولم نحصر كلامنا في النظرات الموجودة الجافة بل أكدنا بالامثلة على التكوين الروحي والأخلاقي والعقلي والبدني لكل من الذكور والإناث ، وبيّنا أن ذلك لا يأتي بالطرق التربوية وحدها السائدة حاليا في العالم الاسلامي بل لابد ان تستند نورها من الرقابة الربانية التي يقويها في أرواحنا وضمائرنا وعقولنا كالشعور المنتقى من الصلاة الخاشعة في الفرائض والنوافل والتطوعات والتهجد وعلى وجه الخصوص بتلاوة الآيات التمجيدية لعظمة الله ، وحكمته وقوته وجبروته وعلمه ومشيئته ورحمته.

## بداية المتاعب والعراقيل

من المنظور الاسلامي لا يوجد هناك فصل بين السياسي والثقافي ، أو بين الاقتصادي والاجتماعي ، وليس عندنا طبقة أو نخبة تسمى رجال الدين كما عند المسيحيين ، والاسلام في معناه البسيط والشعبي هو كتلة متجانسة من القيم الدينية والروحية والأفكار والمبادئ السياسية والسلوكات الاجتماعية والنظرات الثقافية والسياسية ، و السياسة ركن أساسي من أركان الدين الاسلامي ولذلك نجد ان جمعية العلماء المسلمين بالرغم من طابعها واهدافها الثقافية المعلنة ، شاركت بصفة غير رسمية في اهم المحطات التاريخية وتركت بصمات عميقة ، وأعلنت في اكثر من مرة عن مواقف سياسية ، وفي التاريخ الرسمي الذي يدرس بالمدارس والثانويات والجامعات تعتبر جمعية العلماء احد اهم ركائز الثورة التحريرية أو احد اهم أضلاع مثلث النخبة والحركة الوطنية ، وقد سارت جمعية القيم على نفس المنهج الذي سارت عليه جمعية العلماء المسلمين ، واعلنت في أول تجمع شعبي لها عن موقفها من نظام الجكم وبطريقة غير مباشرة ، كما قدمت أهم مطلب سياسي شعبي لا يزال بشكل حلم الكثير من المواطنين وهو ضرورة اعتماد الاسلام كمرجعية سياسة وفكرية للحزب والدولة ، والشريعة الاسلامية كمصدر أساسي للتشريع حيث طالبت الجميع "مسؤولين ومواطنين" العودة إلى التمسك بالاخلاق القرآنية والسنة النبوية (يقصد بالأخلاق الاسلامية الواردة في الكتاب والسنة) وبإقامة الشريعة الاسلامية في الاحكام والحدود.

## القطرة التي أفاضت الكأس

القضية الثانية التي حاول خصوم جمعية القيم استثمارها وتضخيمها ، ومن ثم تحويل أنظار النظام إليها واطلاق عدة تهم جاهزة عليها ، تمهيدا لعرقلة نشاطها وايجاد المبررات المقبولة أو

المنطقية لحلها ، هي قضية تدخل الجمعية في موضوع الحكم بالإعدام على المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور التيجاني في شهادته "وتجدد الابتلاء للإخوان المسلمين في مصر، فبعد اغتيال الشهدين حسن البنا وعبد القادر ، عودة جاء دور الداعية سيد قطب الذي جعل من كتابه معالم في الطريق أخطر معارضة لسياسة جمال عبد الناصر العلمانية ، ولذا حكم عليه وعلى عدد من رفاقه بالإعدام ، فقام العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه احتجاجا على هذا الحكم القاسي ولم تشذ عنه إلا الجزائر ، ولذا كان لزاما على جعية القيم أن تتخذ موقفا يشرف الاسلام ، فكانت الزيارة للسفير المصري وتسليمه رسالة "احتجاجها" كما كانت البرقية الخاصة بجمال عبد الناصر حيث أعربنا له فيها عن تقديرنا الكبير لأعماله السياسية منذ ثورة يوليو 1952 وعن عدم تدخلنا في شؤون مصر لكن نلتمس منه عدم تنفيذ الإعدام في قطب و أصحابه وأن يعوض ذلك بالسجن فقط.

## نص الرسالة التي بعثتها الجمعية إلى الرئيس عبد الناصر:

إلى جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية تحية واحترام.

( يسرنا نحن جمعية القيم الاسلامية الجزائرية أن نتقدم بالتوسل إلى حضرتكم ، أن تتفيضوا بالعفو عن سيد قطب ورفاقه المحكوم عليهم من قبل المحكمة العسكرية التابعة لنفوذكم بصفتكم رئيس محكمة الثورة ، والرئيس الأعلى لكافة المصالح العسكرية بمصر، أختنا الشقيقة الكبرى ، فتحولوا الحكم عليهم بالاعدام الى الحكم بالسجن ، ونحن نتوجه إلى فخامتكم بهذا الرجاء لا نعتبر أنفسنا أكثر من جمعية اسلامية ثقافية دينية ، لاخوض لها في الشؤون السياسية لا المصرية ولا الجزائرية نفسها ، وإنما هي الثقافة من اجل علماء المسلمين ، وإخوان لنا في الدين كبقية رعايا دولتكم الكبيرة التي تعتبرها جمعيتنا أختنا الكبرى وزعيمة العالم العربي ، والله تعالى نسأل أن يسدد خطاكم ويسبغ عليكم أجر من أحسن عملا)

وقد بدأت متاعب جمعية القيم كما يقول مؤسسها الدكتور التجاني بعد انتهاء أو تجمع صيفي نظمته بدار الشعب بالعاصمة ، وجاءت ردود الفعل غضبة من بعض العناصر "الفرنكوفونية الشيوعية التي كانت من سوء الحظ مندسة في النظام وفي مواقع حساسة داخل المكتب السياسي والحكومة بحيث اعتبرت بعض تلك الأطراف مجرد نجاح الجمعية في إقناع العديد من الشخصيات السياسية في داخل النظام ومن خارجه بحضور اول تجمع شعبي تنظمه، وقدرتها على حشد وتجنيد الجماهير نوعا من استعراض العضلات واظهار القوة المعنوية وقد لقي من دون شك مطلبها الأساسي الذي تشاركها فيه الاغلبية الساحقة من الشعب الجزائري والمتعلق بتطبيق أحكام الشريعة بصورة تدريجية ، وعلى الأقل إظهار الأرادة السياسية والنوايا الحسنة و الشروع في تحضير أرضية التحول واعتماد القوانين الوضعية العلمانية الموروثة عن الاستعمار إلى تقنين الشريعة الاسلامية ، واعتمادها كمصدر رئيسي للتشريع ، ردود فعل غير مرحبة به فذكرها الدكتور التيجاني في شهادة بالتفصيل ومنها:

موقف اليسار المتطرف حيث يقول "لكن ذلك لم يرق اللادينيين فأسرعوا إلى تكوين عصابة من 24 شخصية متفقة على حد زعمهم منها حربي و زهوان ( العضوان بالمكتب السياسي) مراد بوربون رئيس اللجنة الثقافية لحزب جبهة التحرير، ومعظمهم ممن تقمصوا العقلية الفرنسية واتخذوا الههم هواهم فأصدروا بيانا لاذع اللهجة شديد النبرة استنكروا فيه أقوالنا وأعمالنا وأفكارنا، ملصقين بنا صفات الرجعية الوحشية والغلو الفاحش في التمسك البدائي الأعمى بأسطورة الدولة الإلهية التي ترتكز على التقاليد المتحجرة المشجعة للإقطاعية والرأسمالية،

الحائلة دون التعليم والتقدم ، وبختم البيان المعادي برغم تمسك الممضين أسفله بالتعليم والأخذ بمبدأ الاجتهاد ... واغتنموا فرصة حضور شخصية سياسية لحفلنا ونعني بها المرحوم محمد خيضر الذي كان وقتئذ في بداية شقاق مع صديقه بن بلة ، كما اغتنمت وسائل الاعلام الفرصة لتوجيه أضواء التلفزة إلى الشخصية المكورة فصورتها من كل جانب للفت الأنظار إلى الحادث ، ومالنا وخيضر ولو جاء غيره لأخذ مقعده حتى ولو كان بن بلد أو حربي أو زهوان ، حتى ولو حضرت الشخصيات الأربع والعشرون الذين لا يعدون من أنصار الاسلام والتراث العربي ، فضغطوا بواسئلهم الخاصة على الرئيس بن بلة فلم ير بدا أن يصب جام غضبه على مسؤول الأمن وزير الداخلية أحمد مدغري، فبعث هذا الأخير أحد ممثليه إلى مكتبي بالامانة العامة بالجامعة فأمرني أن التحق حينا بالوزارة الداخلية حيث نهض الوزير بل قفز من مقعده وصب فور غيضه بأقصى ما يمكن من عنف التحدي والتهديد ولم يسكن عنه الغضب حتى كاد أن يبح صوته ، ثم نظر إلي نظرة تساؤل واستفهام ونحن مازلنا واقفين، فسبقت ما كان يتهيأ له إشتياق الكلام او بالاحرى الصخب فقلت هل انهى حضرة الوزير عتابه؟ فأسمح لي إذن بتوضح القضية إن كانت هناك قضية أما ما اخفته وسائل الاعلام من تعليقات ومن قبيل البهتان ، فالكل لاحظوا أن التلفزة لم تهتم بمن تناول الكلام من أعضاء جمعيتنا وفي اهتمامنا بالسيد خيضر الذي لم تربطنا به ادنى علاقة ولا صلة لا يوم الحفلة ولا قبله، ولا يعنينا البتة ما وقع وما يقع بينه وبين الرئيس بن بلة ، ولم نحط بدار الشعب إلا بعد الحصول على إذن المسؤولين من الإتحاد الوطني للعمال الجزائريين ، ونحن أيضا من الحزب ، فنظر الوزير إلي مبتهجا نعم مبتهجا واستدار وجهه بابتسامة المطمئن قائلا: طيب طيب لكن تقبل مني هذه النصيحة: إذا أرادت جمعيتكم اقامة أي شيء بحضرة الجمهور، أخبرني عنه قبل وقوعه بأيام ، فليكن ما هي المصلحة التي ينبغي أن اتصل بها في هذا الشأن؟ المصلحة هي انا وحدي فأتصل بي مباشرة فصافحني لأول مرة مصافحة حارة يقوي لطافتها بريق في عينيه "فأين نحن من عبارته الأولى المدوية المدمومه" كما أشار الدكتور التيجاني –رحمه الله- التي شكل أخر من ردود الأفعال عبر المرحبة بالجمعية حيث ادلت عدة شخصيات من النظام بمواقف سلبية تحسب على الجمعية الفتية حركتها وسكناتها وتود لو تحاسبها على كل كلمة أو حركة يقوم بها أو يصدر عنها ، ورد الفعل هذه المرة جاء من شخصية يصفيها الشاهد بالرجل الثاني في نظام هواري بومدين، ولكن كان بطريقة غير مباشرة وحاول صاحبه أن يلفه برداء دبلوماسي حيث يقول الشاهد وهو المسؤول الثاني عن الدولة يقصد عبد العزيز بوتفليقة الذي صح بأن هناك جماعة تتظاهر بالغيرة على الدين إلا ان أصحابها يتخذونه مطية للحصول على مآرب سياسية ولاحق لهم في السياسة وبما أنه لم يسم ج معيتنا ولا عضو منها باسمه فقد ردت عليه بدو أن أسميه بأن هناك جماعة من الساسة يزعمون بانه لا حق لغيرهم في خوض السياسة ، ونحن نجيب بأن كل جزائري يتمتع بحق الإهتمام بالدين والثقافة وبالرياضة وبالخوض في جميعها وفي السياسة.

## البرقية المشؤومة

كما ذكرنا في الفقرات السابقة فإن جمعية القيم الثقافية الاسلامية لم تقف مكتوفة اليدين إزاء ما كان يحدث لاخواننا المسلمين في مصر خصوصا النخبة الاسلامية التي استعصت على التدجين ، حيث عانت من ويلات المطاردة والاعتقال والتعذيب والأحكام القاسية والجائرة، وكما هو معلوم فإن نظام جمال عبد الناصر "العسكري" الذي جاء بعد انقلاب أبيض على الملك سعى قبل ما يسمى بثورة يوليو 1952 التحالف مع جماعة الاخوان المسلمين التي كانت تعتبر اللواء محمد نجيب وهو اول رئيس لجمهورية مصر بعد الثورة، من المقربين

منها  إن لم يكن أحد رجالتها ، وبعد نجاح ما يسمى بالثورة لم يدم شهر العسل طويلا بين الحليفين حيث سرعان ما انقلب النظام العسكري على نفسه في البداية وأطاح بالرئيس محمد نجيب بطريقة دبلوماسية وأحاله على ما يشبه الإقامة الجبرية ، لينفرج بعد ذلك لحلفائه من جماعة الإخوان المسلمين ، وكان المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب الذي تحول من الأدب والفكر السياسي اللبيرالي الذي تبناه حزب الوفد ، إلى اعتناق الفكر الاسلامي الحديث بكل شموليته وتشعباته واقترب كثيرا من أطروحات الإخوان المسلمين الذين سارعوا لاحتضانه وخصوا له مواقع مهمة ومؤثرة في جمعيتهم ، حيث كان مشرفا بعد  إستشهاد حسن البنا ، على إدارة شؤون الاعلام والثقافة وحسبما تذكر المصادر التاريخية فإن الشهيد سيد قطب كان مقربا جدا للرئيس جمال عبد الناصر لكن حدث  خلاف عميق في وجهات النظربين الرحيلين يتعلق بالجانب الايديولوجي، وموقع الاسلام من منظومة الحكم ، أدت بعدها إلى "فبركة حادثة المنشية الشهيرة والتي اتهم فيها الاخوان بمحاولة اعتقال الرئيس عبد الناصر والاستلاء على الحكم ، من هنا بدأ فصل جديد المتاعب للجماعة وتم اعتقال رموزها وكل المناضلين بها ومنهم بطيعة الحال "المفكر سيد قطب" وتم تحويلهم الى المحكمة العسكرية التي حكمت عليه بالإعدام بتهمة بسيطة هي في الحقيقة مجردتعبير حر عن رأي وإبداء فكرة او موقف ، والذي يقرأ كل كتابات سيد قطب لا يجد منها أي إشارة مباشرة او غير مباشرة إلى نظام الحكم في مصر وإلى الرئيس عبد الناصر فالرجل تكلم عن ضرورة عودة المسلمين إلى احتضان دينهم وتحكيمه في كافة شؤون حياتهم من البيت الأسرة الى الدولة ، وقد تحولت قضية الحكم بالاعدام على "سيد قطب" إلى قضية رأي عام اسلامي وتدخل العديد من الرؤساء والأمراء والشخصيات السياسية والثقافية والفكرية لدى النظام المصري وطالبوه بتخفيف الحكم على الأقل والغاء تنفيذ حجم الاعدام ، و يحكم المبادئ والأخلاق الاسلامية التي تحث على ضرورة نصرة المظلوم ارتأت جمعية القيم أن تحاول التوسط لدى النظام المصري من اجل تحفيف حكم الاعدام على سيد قطب  ، |ودون أن تفكر جيدا في ردود الفعل المحتملة أو تحسب حساب إمكانية استغلال هذه المحاولة في غير صالحها ، ارتأت الاتصال بالسفير المصري بالجزائر والتعبير له عن إنشغالها بقضية سيد قطب ، كما قامت بارسال برقية الى الرئيس المصري مباشرة تلتمس فيها تخفيف الحكم على المفكر سيد قطب  ، وقد كلف هذا الموقف جمعية القيم ثمنا غاليا حيث اعتبره النظام المصري تدخلا في شؤونها الداخلية ، كما اعتبره النظام الجزائري تجاوزا له وعدم احترام الاجراءات البروتيكولية واستغل خصوم الجمعية هذه الهفوة التي جاءت بعد أشهر قليلة من التصحيح الثوري الذي أطاح بالرئيس أحمد بن بلة حليف النظام المصري، الذي أصيب بالصدمة ولم يعترف بالنظام الجديد إلا بعد سنوات وبصعوبة كبيرة، ، حيث نجح خصوم "التيار العربي الاسلامي" وهم كثير في إقناع العقيد هواري بومدين رئيس الدولة بحل الجمعية، وتم حلها بالفعل في سبتمبر 1966 .

## تعقيب وتحليل

إن الترخيص لجمعية ثقافية ذات اتجاه اسلامي حركي معاصر بالنشاط من طرف نظام سياسي طالما وصف بكل الأوصاف والسلبية ، هو دليل على توفر مناخ لحركة النشاط الجمعوي وابداء الرأي والموقف ، وأن الانطلاقة التي بدأت بعد مؤتمر طرابلس كانت انطلاقة جديدة وقابلة للتحسين والتطوير مع مرور الوقت ، زيادة على الترخيص لنفس الجمعية باصدار مجلة باللغة العربية و أخرى باللغة الفرنسية ، تطبعان في مطابع الجيش ، رغم ما يشاع في احتكار الحزب والحكومة لوسائل الاعلام من الناحية النظرية على الأقل وحسب ما ينص عليه أهم مبادئ النظام

الاشتراكي ، وهذا دليل ثان على أن الاشتراكية التي اعتمدتها البلاد كمصار اقتصادي مجرد خيار أو منهج تنموي تم تكييفه مع بعض الخصوصات المحلية.

قد تكون جمعية القيم حقيقة هي أول تنظيم جمعوي اسلامي يثم الاعلان عن تأسيسه مباشرة بعد الاستقلال ، وهي ان لم تكن بالنسبة لمؤسسيها ومن باب الأختلاف ليست بديلا جمعية العلماء المسلمين التاريخية ، ولن تستطيع أن تكون بديلا عنها حتى ولو أرادت لأسباب عديدة من بينها اختلاف الظروف والاوضاع السياسية ، وعدم امكانية المقارنة بين رموز جمعية العلماء المسمين ومؤسسي جمعية القيم فرجال جمعية العملماء أمثال ابن باديس والابراهيمي والتبسي والميلي والعقبي وغيرهم ، هم في حقيقة الأمر نموذج رباني حي وفريد من نوعه لا أظن أن الزمن سيعود به في يوم من الأيام ، ولكن هذه الجمعية بالنسبة للنظام وللرئيس أحمد بن بلة بصورة خاصة هي بديل ممكن ومريح عن جمعية العلماء المسلمين ، هدفه الأول والأخير سياسي برغماتي مصلحي يبعد عن الرئيس تهمة معاداة الاسلام وتوضيح الصورة للرأي العام بأن خلافاته التاريخية مع احد رموز جمعية العلماء لا يعني بالضرورة موقف شخصي عن الاسلام، وهي أي جمعية القيم من حيث اهدافها و طموحها ومواقفها يمكن أن تكون امتداد لجمعية العلماء.

يبدو لي أن جمعية القيم من خلال استقراء لبعض نشاطاتها ومواقفها كانت أقرب إلى التنظيم الجمعوي الخيري منها الى الجمعية أو التنظيك الشعبي ، فقد حاولت منذ تأسيسها تسجيل الحضور الاعلامي والتركيز على الشخصيات التي تحضرها من الساسة الفكرية من الوزن الثقيل، زيادة على اعتمادها على الساحة الفكرية أو الثقافية ، وهو نشاط ترفيهي يحسب في العادة على الطبقات الأورستقراطية ، ولذلك نلاحظ في نواياها و أهدافها أو حتى نشاطاتها ، أنها تبنت الدعوة للاهتمام بالتعليم الاسلامي على كافة المستويات ، و قد وجدت في مشروع التعليم الأصلي التي تبنته الحكومة بعد الاستقلال مباشرة ما يشفي غليلها ، ودون التقليل من شأن أو قيمة الكوكبة الكريمة من النخبة الجزائرية التي أسست جمعية القيم أو التفت حولها وساندتها ، يحسب لجمعية القيم أو بالأحرى لمؤسسيها جرأته في قول كلمة الحق دون أن يخشى لومة لائم أو يفكر في مستقبله المهني ، او ردود أفعال الخصوم والاعداء ، و رغم طابعها الثقافي الاسلامي من الناحية الشكلية على الأقل وضعت في قائمة مطالبها و أثناء تنظيمها لأول مرة تجمع شعبي وصف في حينه بالضخم والنوعي بالنظر إلى وزن وقيمة الشخصيات التي توافدت على دار الشعب بالجزائر العاصمة ، تلبية لدعوة الجمعية قضية المرجعية الفكرية والسياسية لنظام الحكم، وموقع الاسلام في منظومتي الحكم والترشيع وهي القضية الأساسية التي لم يتمكن النظام السياسي الجزائري من جسمها بعد 60 سنة من الاستقلال .

يبدو أن تهمة استغلال الاسلام لأغراض خاصة هي تهمة قديمة في الجزائر ، ولم تكن وليدة أحداث التسعينيات عندما حاول وزير الداخلية سابق ذو خلفية عسكرية ، توجيه نفس التهمة إلى أحزاب سياسية ذات مرجعية اسلامية ، وها هو الرجل الثاني في نظام العقيد هواري بومدين الذي كان يشغل منصب وزير الشؤون الخارجية مهمته الأساسية تنفيذ روح و معاني السياسة الخارجية الجزائرية ، وتوضيح مواقف الجزائر والدفاع قبل ذلك على مصالح البلاد في مختلف المحافل الدولية ، وبالتالي فإن الشأن المحلي وما يحدث بالداخل من تجاذبات وتفاعلات واحداث هو من صميم دوائر وزارية اخرى حسب الاختصاص ، ومن حيث المضمون فإن الله وحده هو الذي يعلم ما تخفي الصدور والانسان المسلم مكلف فقط بالحكم على الناس حيث الظاهر وهو ما يعلنونه من أفكار وآراء وتصورات ومواقف ، فعندنا بقول مسؤول جزائري عن جمعية

ثقافية إسلامية فنية وبصريح العبارة هناك جماعة تتظاهر بالغيرة على الدين ، إلا ان أصحابها يتخذونها مطية للحصول على مآرب سياسية ، نجد أنفسنا امام تصريح ملفوف وغير مباشر ويحتمل أكثر من تفسير مع أننا لا نعرف إن كان يمثل موقفا شخصيا للرجل الثاني في النظام أم يمثل موقف النظام بصفة خاصة ، مع التذكير بأن رأس النظام ومؤسسه ومنظره وهو العقيد هواري بومدين محسوب على التيارالعربي الاسلامي ، احب من احب وكره من كره، وهو قبل ان يصبح مناضلا في جبهة التحيرير الوطني وضابطا كبيرا في جيش التحرير ، كان منخرطا في جماعة الاخوان المسلمين بصفة رسمية وداوم على حضور نشاطاتها وفعالياتها بالقاهرة وسبق له و أن التقى بأهم رموز الاخوان سيد قطب، محمد الغزالي وغيرهم كثير، أفعندما يلتزم المسلم بأداء الفرائض الدينية ويحاول أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر، ويذكر الناس ، ويقول كلمة الحق ويطالب بلطف وأدب بضرورة الالتزام بعهد الشهداء والوفاء لرسالتهم واحترام مبادئ أول نوفمبر التي تعتبر من اهم مراجع الثورة والدولة وعدم تجزءته ا، يعتبر ذلك "تظاهر بالغيرة على الدين" و "مطية للحصول على مآرب سياسية ، فماذا نقول عن رموز الثورة الذين صاغوا بيان اول نوفمبر وماذا نقول عن المجاهدين والثوار الجزائريين الذي كان شعارهم في كل المعارك التي خاضوها مع الجيش الفرنسي الاستعماري "الله أكبر" حي على الجهاد والأدهى والامر ان هذا المسؤول الجزائري الكبير لم يكتف بذلك بل أصدر أمرا يغلق بموجبه المجال السياسي ويقضي منه أعضاء هذه المجموعة وهي كلمة تمثل احتقارا وعدم احترام و يسمي ان هذه المجموعة هي "جمعية وطنية ثقافية اسلامية معتمدة بصفة رسمية من طرف الدولة، وتنشط في العلن ولديها قانونها الأساسي ومقر ومجلات ومنخرطين ومؤسسين ، ومن حقها أن نذكر الثوار لكي لا ينسوا رسالة الشهدا و والاهداف التي رسمها بيان اول نوفمبر ، وهما الرسالة والهدف اللذين يبقيان أمانة ودين في عنق كل مجاهد و مسؤول مدني أوعسكري ، وصل إلى موقع القرار والتأثير والحكم.

عندما تتأمل رد الدكتور التجاني على تصريح الرجل الثاني في النظام ندرك حقيقته وبغض النظر عن نبرة "الاستعلاء والاحتكار والاقصاء والتي تقطر من تصريح "الرجل الثاني" وكذلك طريقة تعامل وزير الخارجية مع مؤسس الجمعية ، عندما تاكد أن لا علاقة لها بالمعارض السياسي محمد خيضر الذي كان في بداية الاستقلال أمينا عاما لحزب جبهة التحرير، ولكن وعلى ما يبدو فإن طموحه السياسي كان أكبر من ذلك ، فلم يتمكن من البقاء والصمود، وخرج من النظام وأصبح عضو في مجموعة الثورة المضادة التي غابت عن الساحة السياسية بعد التصحيح الثوري من قريب أو بعيد ، ندرك اولا منسوب حرية التعبير وسقف ابداء الرأي الذي كان مكفولا للجميع وهذه قيمة ايجابية مضافة بالقياس الى طبيع النظام الذي يوصف بالاشتراكي الشمولي وأحيانا الدكتاتوري العسكري ، فبمجرد تاكد وزير الداخلية بعدم وجود علاقة عضوية أو تنظيمية بين المعارض محمد خيضر و الجمعية ، تغير موقفه من النقيض إلى النقيض ، ونلاحظ أيضا طريقة التعامل مع رئيس جمعية القيم كانت إلى حد ما معقولة ومحترمة بغض النظر عن طريقة الاستقبال ، واعتقد ان تكفل وزير الداخلية شخصيا بموضوع تجمع شعبي قد تنظمه جمعية ثقافية وطنية لعرض برنامجها وتقديم اهدافها والتعريف بنفسها ، يعتبر في حد ذاته تصرفا ايجابيا ، وأن الموضوع جد حساس وله تأثيرات جانبية ، لا تستحق تركه لضابط أمن ، وفي الموقف الأخير للوزير الذي انعكس على ملامح وجهه وان المشكل بالنسبة للنظام ليس بطبيعة الاهداف أو المطالب التي رفعتها الجمعية ولا حتى مواقفها من النظام ، مع التذكير بأن هذه الجمعية الثقافية الاسلامية التي لم تستمر وجودها أكثر من سنتين هي من بالاضافة الى التعليم الإسلامي تعتبر من حسنات الرئيس أحمد بن بلة ، الذي لم يستمر بدوره في الحكم سوى 36 شهرا .

كما نلاحظ أن نفس الشخصية و هو عبد العزيز بوتفليقة ، وزير الشؤون الخارجية في فترة حكم الرئيس هواري ، و التي أدلت منتصف سنة 1965بتصرح معاد لجمعية القيم ، واتهمت أعضائها باستغلال الدين لأغراض شخصية وأوصت بحرمانهم بالمشاركة في النشاط السياسي ، هي نفس الشخصية التي تور طت في مشكلة إلغاء التعليم الأصلي سنة 1977 و إلغاء شعبة العلوم الاسلامية من التعليم الثانوي سنة 2005 .

لعبت معظم وسائل الإعلام العمومية كجردتي الشعب والمجاهد والتلفزيون الجزائري ، كما يذكر الدكتور التيجاني دورا سلبيا في تشويه صورة جمعية القيم الثقافية الاسلامية ، حيث حاولت تقديم الجمعية من خلال أول تجمع شعبي ضخم تنظمه بالجزائر العاصمة ، على أنه إستعراض للقوة من طرف التيار الإسلامي ، وفسرت وجود شخصيات سياسة معارضة للنظام في الصفوف الأولى تلبية لدعوة الجمعية تفسيرا سياسيا حاولت أن تعطيه أبعادا أمنية من خلال التركيز على صورة "محمد خيضر" عضو الوفد الخارجي وأحد السجناء الخمس، والامين العام السابق لحزب جبهة التحرير الوطني ، والذي استقال بمحض إرادته من منصبه ، وعلى ما يبدو فإن وسائل الاعلام في ذلك الوقت أرادت أن تكون ملكية اكثر من الملك وقامت بتقديم خدمة مجانية للنظام ، قد تجاهلت الطبيعة القانونية للجمعية واهم اهدافها وحتى مطالبها ، وحاولت أن تقدمها في صورة التنظيم السياسي الذي سيجمع حول كل معارض النظام من رموز الثورة المضادة و غيرهم ، و عزفت الصحافة العمومية على وتر الخلافات التي نشبت قبيل إعلان الإستقلال و بعده بين قادة الثورة ، رغم انها جمعية وطنية تأسست في إطار الدستور ، وتحصلت على الاعتماد الرسمي من ولاية الجزائر كما تحصلت على موافقة رسمية من إدارة الحزب على تنظيم التجمع الشعبي ، ومشكلة الاعلام الجزائري منذ الاستقلال هو سيطرة الاتجاه اليساري المتطرف من الفرونكوفون على كل مفاصله وإن كان ملكا اكثر من الملك واشتراكيا اكثر من ماركس.

بالنسبة لموقف الجزائر الرسمي من قضية الحكم بالاعدام على المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب ذكر التجاني أن الجزائر هي البلد الوحيد الذي وقف موقفا سلبيا من هذه القضية التي تحولت الى قضية رأي عام اسلامي ، رسمي وشعبي وأن جمعيته حاولت أن تقوم بمبادرة وتعبر عن موقف جزائري شعبي على الأقل ، هذا الامر في تقديري غير صحيح بالمرة ، لأن الموقف الرسمي الجزائري من هذه القضية قد عبر عنه العقيد هواري بومدين رئيس الدولة بطريقتين الاولى وهي التي ذكرها الدكتور أحمد طالب الابراهيمي في اكثر من مناسبة حيث قال بأنه اتصل بالرئيس هواري بومدين وطلب منه التدخل لدى النظام المصري من اجل تخفيف الحكم على سيد قطب ، وأن كل ايجابيات وحسنات جمال عبد الناصر إذا وضعت في كفة ووضع إعدام سيد قطب في كفة ، سيكون الميزان في غير صالح عبد الناصر والرئيس هواري بومدين كما يقول الابراهيمي أكد لي أن العقوبة لا تتساوي مع التهمة او الجريمة ، أي ان مجرد التعبير عن الرأي أو ابداء موقف أو فكرة لا تستدعي الاعدام ، أما الدكتور محي الدين عميمور ( المستشار الإعلامي للرئيس هواري بومدين ) فقد أكد حق جمعية القيم الثقافية ان تحتج وبصوت عال وتعارض الحكم بالإعدام على المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب ، عملا بواجب الأخوة وما تمليه المبادئ الاسلامية من قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكذلك واجب الولاء والنصرة بين المسلمين في كل مكان وفي كل زمان ، ومن سوء حظ هذه الجمعية الفنية أن قضية سيد قطب جاءت في ظروف سياسية محلية معقدة، تميزت بتغيير في هرم السلطة بصعود العقيد هواري بومدين إلى سدة الحكم عبر التصحيح الثوري أو الانقلاب الأبيض اعتبره العديد من المتتبعين ضرورة سياسية وحتمية تاريخية نظرا لعدم

تمكن الساسة الذين كانوا مسجونين في سجن واحد وزنزانة واحدة وهم (أحمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، محمد خيضر من حسم الصراع بينهم حول السلطة أو بالأحرى تولي المسؤولية رغم اجتماعهم على الجانب الايديولوجي.

أن القاهرة أو النظام المصري كان هو الحليف العربي رقم واحد للثورة ، وللدولة الجزائرية بعد استرجاع السيادة الوطنية ، وغني عن البيان تأثير الخطاب السياسي القومي الذي تبناه النظام المصري لاستمالة الشعوب العربية وبعض الزعماء العرب الشباب ، ومنهم الرئيس احمد بن بلة ، وبطبيعة الحال فإن القاهرة التي كانت تعول على النظام الجزائري الفني وتمده بكل أشكال الدعم المادي والمعنوي والدبلوماسي والاعلامي ، لم تكن تنتظر تكرار تجربة عبد الناصر مع اللواء محمد نجيب ، بنفس السناريو وبنفس المشاهد تقريبا ، فقد كانت تستعيد امكانية عزل الرئيس بن بلة تحت أي ظرغ من الظروف ، وكانها كانت متاكدة حيادية الجيش الجزائري وزهده في السياسة على الأقل في السنوات الأولى للاستقلال ، بالنظر إلى العديد من الأولويات التي كانت مبرمجة في المجال العسكري ، وهي تحويله في ظرف وجيز من جيش ثوري إلى جيش وطني ، وقد عتبر النظام المصري وبوسائله الخاصة وعبر قنوات رسمية عن رفضه وإدانته للانقلاب العسكري على الرئيس الجزائري المنتخب ، وكادت خطوط الحرارة تنقطع بين النظامين رغم تقديم النظام الجديد بعض المبررات وهي منغلقة بالجانب الأمني وتأثيره على الساحة الوطنية ومستقبل البلاد، لأن استمرار الثورة المضادة التي توجت بتمرد عسكري خطط له وقاده حسين آيت احمد في منطقة القبائل ، قد يؤدي إلى ظهور تمردات أو ثورات أخرى في عدة مناطق من الوطن.

رغبة النظام الجزائري الجديد ( الذي هيمن عليه أصحاب القبعات) في عدم قطع شعره معاويه مع القاهرة والمراهنة على عامل الوقت والصبر حتى تمر العاصفة بسلام ويمكن امتصاص رد الفعل المصري الذي لم يطل كثيرا.

موقف التيار الفرونكوفوني الشيوعي العلماني المتطرف منذ الاستقلال من مشروع الهوية الوطنية العربية الاسلامية، والذي كان يعتبر التعريب مشاكة تهدد كيانه ومستقبله ، وغني عن التذكير أن أهم أسباب تمرد رفقاء الرئيس بن بلة واستقالتهم كانت بسبب محتوى دستور 1963 ولم تكن الأسباب شكليه اطلاقا ، وقدرة رموز هذا التيّار الذي كانوا يحتلون مواقع هامة في معظم مؤسسات القرار بالحزب والحكومة والاعلام ، على اجهاض تجربة جمعية ثقافية وطنية ذات خلفية اسلامية تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وفي تقديري أنهم نجحوا في إستغلال أخطاء وهفوات الجمعية وقاموا بتضخيمها كما تمكنوا من اقناع صاحب القرار انذاك وهو العقيد هواري بومدين بأن حل جمعية القيم بعد تقديمها كفرع من جماعة الاخوان المسلمين المغضوب عليها من النظام المصري ، وفي هذا الوقت بالذات هو اجمل هدية يمكن تقديمها إلى النظام المصري واحسن عربون عن حسن النية وتعبيرا غير مباشر عن توجيهات النظام الجديد الذي يحاول قدر الإمكان نفي تهمة الالاسلامية عن نفسه ، باعتبار أن رأس النظام كما يدرك ذلك المخابرات المصرية هو من المعجبين بالفكر الاسلامي الحديث كما و رموزه ( سيد قطب، الغزالي، عبد القدر عودة وغيرهم ) بل إن المخابرات المصرية التي كانت تتبع خطوات المسؤولين والطلبة الجزائريين بمصر كانت على علم بانخراط الطالب محمد بوخروبة في تنظيم الاخوان المسلمين بصفة رسمية وقد نلقي على يد هذه الجماعة دروسا نظرية وتدريبات عسكرية وقد ضل هذا الجزء المهم من حياة الرئيس هواري بومدين في طي الكتمان طويلا ، ولم تظهر الأخبار والمعلومات التي تؤكد إنتمائه في شبابه على الأقل إلى الإخوان المسلمين سوى بعد 34 سنة من وفاته من خلال تصريحات رفيق رحلته الى القاهرة

مشيا على الأقدام وزميله في الدراسة بمصر الأستاذ"محمد الصالح شيروف" وبالتالي فيمكن القول أن هناك تسرع من الطرفين وسوء تقدير للموقف فمسؤولي جمعية القيم في تقديري تسرعوا نوعا ما وغلبتهم العاطفة الدينية وبدل ان يوجهوا الرسالة أو البرقية إلى العقيد بومدين ، ويطلبوا منه التدخل باسم الجزائر في قضية الحكم بالاعدام على سيد قطب ، تصرفوا بحسن نية و أتصلوا بالسفير المصري بالجزائر مباشرة ، ومراسلة الرئيس المصري شخصيا ، ورغم الطابع الدبلوماسي للبرقية فقد اعتبرها كلا النظامين تجاوزا خطيرا للأعراف والبروتوكالات الدبلوماسية وبالغ النظام المصري في رد فعله واعتبره تدخلا في شؤونه الداخلية .

الفصل الثالث ( 3 )

# الشيخ البشير الإبراهيمي
## رائد الحراك الإسلامي
## في الجزائر

## الشيخ البشير الابراهيمي

من مواليد سنة 1889 بضوحي مدينة برج بوعريريج ، مفكر ومصلح وداعية إسلامي جزائري من جيل الرواد الذين ، ولدوا أواخر القرن التاسع عشر وبدؤا حياتهم الثقافية والفكرية مع بداية القرن العشرين ، يعتبر من الشخصيات الاسلامية الجزائرية التي نجحت في التوفيق فكريا وعمليا بين الفكرة الوطنية التي ظهرت حديثا والاسلام ، وهو كذلك أول ناشط اسلامي جزائري يجهر بقول كلمة الحق وينتقد بصراحة توجهات النظام الجزائري نحو اشتراكية بدت من خلال الصخب الاعلامي الذي كان يرافق الخطاب السياسي أنها لم تكتنف بالخيار الاشتراكي كأسلوب تنمية ومنهج اقتصادي واجتماعي ، وتجاوزت بذلك إلى محاولة التنكر لاهم مبادئ وأهداف ثورة أول نوفمبر التي اكدت على ان الهدف من اعلان الكفاح المسلح ضد العدو الفرنسي الكافر هو إقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة في إطار المبادئ الاسلامية . فالأستاذ البشير الابراهيمي هو اول شخصية اسلامية جزائرية تطالب النظام الجزائري الحاكم سنة 1964 بضرورة العودة السريعة الى تبني المرجعية الاسلامية كفلسفة للنظام والدولة والحزب والشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع ، و إن لم يذكر مطالبه بهذه الصيغة وبتلك العبارات في بيان 16 آفريل 1964. عين بعد الاستقلال مباشرة رئيسا للجنة الوزارية المكلفة بتسوية وضعيات معلمي وأساتذة المدارس الحرة وادماجهم من جديد في قطاع التربية الوطنية رغم وجود نوعا من التوتر في علاقته بالرئيس بن بلة لم يتطور إلى درجة الاقصاء أو التهميش قبل 16 أفريل 1964.و إمام خطيب بجامع كتشاوة بعد ترميمه ، و صلى بالناس و بحضور العديد من المسؤولين أول صلاة جمعة بنفس المسجد بعد الإستقلال .

## حياته الشخصية والفكرية

عرف الأستاذ البشير الابراهيمي نفسه وقدم نبذة عن مساره العلمي والفكري بمناسبة تعيينه عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في مقالة طويلة منشورة بالعدد 87 من مجلة الثقافة ماي/ جوان 1985 فقال: "أنا محمد البشير الابراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس في الثالث عشر من شهر شوال سنة ست وثلاثمائة وألف، ويوافق الرابع عشر من يونيو سنة 1889 ، قبيلتنا تعرف بأولاد ابراهيم بن يحي بن مساهل ، وترفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للأشراف الأدارسة ، و إدريس هذا هو الذي يعرف بإدريس الأكبر هو الذي خلص إلى المغرب الأقصى بعد ( وقعة فخ ) بين العلويين والعباسيين ، ترجع اليه انساب الأشراف الحسنيين في المغربين الأقصى والأوسط ، نشأت في بيت والدي كما تنشأ أبناء بيوت العلم فبدأت في التعلم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا من حفاظ القرآن ، ويشرف علينا إشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله في ذلك الزمان ، عمي الأصغر الشيخ محمد المكي الابراهيمي ، فلما بلغت سبع سنين أسلمني عمي من معلمي القرآن وتولى تربيتي وتعليمي بنفسه ، فكان هو الذي يأمرني بالنوم وهو الذي يوقضني منه على نظام مضطرد في النوم والأكل والدراسة... فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه ، وكنت أحفظ معه ألفية ابن مالك ومعظم الكافية ، وجمع الجوامع في الأصول وتلخيص المفتاح ، واحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني شاعر المغرب والأندلس في المائة السابعة ، وأحفظ معظم رسائل بلغاء الاندلس ، مثل ابن الشهيد، وابن برد ، وإبن ابي الخصال ، وأبي المطرف، وابن ابي عسيرة ، وابن الخطيب ثم لفتني عمي إلى دواوين فحول المشارقة ورسسائل بلغائهمم فحفظت صدرا من شعر المتنبي ثم استوعبته بعد رحلتي إلى الشرق وصدرا من شعر الطائيين

وديوان الحماسة ، وحفظت الكثير من رسائل سهل بن هارون وبديع الزمان ، وكتاب كفاية المتحفظ للأجداني الطرابلسي وكتاب الألفاظ الكتابية للهمداني ، والفصيح لثعلب ، واصلاح المنطق لليعقوبي ، وهذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في ملكتي اللغوية ولم يزل عمي رحمه الله يتدرج بي من كتاب إلى كتاب تلقينا وحفظا ومدارسة للمتون التي حفظتها حتى بلغت الحادية عشر، فبدأ في درس ألفية ابن مالك دراسة بحث وتدقيق ، ولما بلغت أربع عشر سنة مرض عمي مرض الموت فكان لا يخليني من تلقين وإفادة وهو على فراش الموت ، بحيث وهو على تلك الحالة ولما مات عمي شرعت في تدريس العلوم التي درستها عليه وأجازوني بتدريسها وعمري أربع عشرة سنة ، الطلبة الذين كانوا زملائي في الدراسة عليه وأقبل علي طلبة العلم من البلدان القريبة منا والتزم والدي بإطعامهم والقيام عليم كالعادة في حياة عمي ، وربما انتقلت في بعض السنين الى المدارس القريبة منها لسعتها ولاستعابها للعدد الكثير من الطلبة ، ودمت على تلك الحال إلى أن جاوزت العشرين من عمري فتاقت نفسي إلى الهجرة إلى الشرق واخترت المدينة المنورة لأن والدي سبقني إليها سنة 1908 فرار من ظلم فرنسا ، فالتحقت بها متخفيا أوائل سنة 1912 فمررت بالقاهرة وأقمت بها ثلاثة أشهر، وحضرت بعض دروس العلم في الازهر وعرفت أشهر علمائه فممن عرفته وحضرت دروسه الشيخ سليم البشري ، والشيخ محمد بخيت حضرت درسه في البخاري ورواق العباسي والشيخ البجوري في البلاغة والشيخ عبد الغني محمود والشيخ السمالوطي حضرت لكليهما درسا في المسجد الحسيني والشيخ سعيد الموجي ذكر لي أن له غالبا في رواية الموطأ فطلبت أن أرويها عنه بذلك السند وقرأت عليه من حفظي ، وحضرت عدة دروس في دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ رشيد رضا في منثل الروضة ، وزرت شاعر العربية الأكبر أحمد شوقي واستمعته عدة قصائد من شعره من حفظي فتهلل رحمه الله و اهتز ، كما اجتمعت بشاعر النيل حافظ ابراهيم في بعض أندية القاهرة واسمعته من حفظي شيئا من شعره كذلك" خرجت من القاهرة قاصدا المدينة المنورة فركبت البحر من بور سعيد الى حيفا ومنها ركبت القطار إلى المدينة وكان وصولي إليها اواخر سنة 1911 ، اجتمعت بوالدي رحمه الله، وطفت بحلق العلم في الحرم النبوي مختبرا، فلم يرق لي شيء منها وإنما هي عثاء يلقيه رهط ليس به من العلم والتحقيق شيء منها ، و لم اجد أحمد الفيض أبادي الهندي فهما والحق يقال عالمان محققان واسعا أفق الادراك في علوم الحديث وفقه السنة ولم أكن راغبا إلا في الاستزادة من علم الحديث ( رواية ودراية ) ومن علم التفسير فلازمتهما ملازمة في بقية العلوم الاسلامية فلازمت درسه في فقه مالك ودرسه في التوضيح لان هشام ولازمت الثاني في درسه لصحيح مسلم ، واخذت علم التفسير عن الشيخ ابراهيم الاسكوني وأخذت الجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ أحمد البرزنجي الشهرزوري واخذت انساب العرب وأدبهم الجاهلي والسيرة النبوية عن الشيخ عبد الله زيدان الشنقيطي ، وأتممت معلوماتي في علم المنطق عن الشيخ عبد الباقي الأفغاني بمنزله وكان رجلا مسنا ، وذاكرت صاحبنا الشيخ أحمد خيرات الشنقيطي سنين عديدة في اللغة والشعر الجاهلي ومنه المعلقات العشر وصاحبنا الاديب العمري الجزائري في أمهات كتب الشعر المشهورة خصوصا الكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ ، فقد ختمناها مطالعة مشتركة فاحصة متانية وكذلك فعلنا بكتاب الأغاني من أوله إلى آخره ، وبالجملة فقد كانت إقامتي بالمدينة المنورة أيام خير وبركة علي فكنت انفق أوقاتي الزائدة في القاء الدروس في النحو والعقائد والادب ، وكنت أتردد على المكتبات الجامعة أو المكتبات الخاصة ، ولما جاءت سنة 1917 أمرت الحكومة العثمانية بترحيل سكان المدينة إلى دمشق بسبب استفحال ثورة الشريف حسن بن علي وعجز الحكومة عن تموين الجيش والمدنيين ، وخرجت مع والدي إلى دمشق في شتاء 1917 وهدتني المجالس الاولى إلى تمييز فاصطفيت منهم جماعة أولهم الصديق الحميم بهجت البيطار ما لبثت شهرا حتى انهالت

علي الرغبات في التعليم بالمدارس الاهلية ، فاستجبت لبعضها ثم حملني اخواني على القاء دروس الوعظ والارشاد بالجامع الاموي في شهر رمضان بعد خروج الأتراك من دمشق وقيام جكومة الإستقلال العربي ، رعتني الحكومة الجديدة إلى تدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية ( وهي المدرسة الثانوية الوحيدة إذ ذاك ) للصفوف النهائية المرشحة للبكالوريا وقد تخرج عني جماعة من الطلبة هم اليوم عماد الأدب العربي في سوريا منه جميل صليبا أديب روماني ، المحايري عدنان الاتاسي ، ولما دخل الأمير فيصل بن الحسين دمشق اتصل بي وأرادني لأتولى إدارة المعارف ( وزارة التبرية ) ولم يكن ذلك ف نيتي وقصدي لما طرأ على المدينة من تغيير في الأوضاع المادية والنفسية فأبيت عليه وما فتئ يلح علي وآبى إلى ان سنحت الفرصة فكررت راجعا إلى الجزائر موطن آبائي وعشيرتي.

## اللقاء مع الإستاذ إبن باديس

كان من تدابير الأقدار الالهية للجزائر أن يرد على المدينة المنورة أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس لأداء فريضة العشاء ، كنا نلتقي كل ليلة في المسجد النبوي ويخرج إلى منزلي فنسمر إلى آخر الليل حين يفتح المسجد ، فندخل مع اول داخل لصلاة الصبح ثم نفترق إلى الليلة الثانية إلى نهاية ثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة ، ويشهد الله أن تلك الليالي من سنة 1913 ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الاولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931م.

## نشاطه العلمي والتربوي في الجزائر

في هذه الفترة ما بين سنة 1920 -1930 كانت الصلة بيني وبين ابن باديس قوية وكنا نتلاقى في كل أسبوعين أو كل شهر على الأقل ، فنزن أعمالنا بالقسط ونزن آثارها في الشعب بالعدل ونبني على ذلك أمرنا ، ونضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبدا وكنا ، نقرأ للحوادث والمفاجآت حسابها ، كملت لنا هذه الحالة عشر سنوات كانت كلها أعداد او تهيئة للحدث الاعظم وهو إخراج جمعية العلماء المسلمين من حيز القول إلى حيز الفعل، وأصبح لنا جيش من التلاميذ يحمل فكرتنا وعقيدتنا مسلح بالخطباء والكتاب والشعراء و مئات الآلاف من أنصار الفكرة وحملة العقيدة يجمعهم كلهم ايمان واحد وفكرة واحدة وحماس متأجج وغضب حاد على الاستعمار.

## جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تكامل العدد وتلاحق المدد ... العدد الذي نستطيع ان نعلن به تأسيس الجمعية والمدد من اخوان لنا كانوا بالمشرق العربي مهاجرين او طلاب علم فإعلنا تأسيس الجمعية في شهر مايو سنة 1931 ومن أهم أهدفها:

1- تنيظم حملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في الدين بواسطةالخطب والمحاضرات والدروس في المساجد والأندية والاماكن العامة والخاصة حتى في الأسواق والمقالات في جرائدنا.

2- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار ،

3- مطالبة الحكومة برفع يدها عن المساجد ومعاهدنا التي استولت عليها.

4- مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الاسلامي في الأحوال الشخصية مبدئيا على الأقل.

5- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين موظفي السلك الديني.

وبالإضافة إلى نشاط الشيخ الداعية والمصلح البشير الابراهيمي في المجال التربوي والدعوة والإرشاد ، ساهم بقسط وفير في النضال السياسي السلمي وعانى كغيره من كبار الساسة والمناضلين من اضطهاد الإدارة الاستعمارية ومن اهم اسهاماته السياسية في الحركة الوطنية المشاركة في تأسيس حزب حركة " أحباب البيان والحرية" رفقة عباس فرحات وإطارات من حزب الشعب ، بموافقة وتزكية من ميصالي الحاج ، وهي حركة سياسية جزائرية حاولت أن تجمع شتات المناضلين والنخب السياسية بمختلف توجهاتها الليبيرالي الحداثي، والوطنيين الاسلاميين ، وبعد اشتداد ضغط الاستعمار الفرنسي على النخب السياسية والثقافية اضطر الشيخ البشير الابراهيمي إلى مغادرة الوطن اتجاه القاهرة ممثلا لجمعية العلماء المسلمين من أجل متابعة البعثات العلمية وتوفير المزيد من المناصب البيداغوجية للطلبة الجزائريين في مختلف جامعات العالم الاسلامي.

## الابراهيمي والثورة الجزائرية

عندما تم الإعلان عن بداية الثورة الجزائرية وانطلاق الجهاد والكفاح المسلح ضد العدو الفرنسي الكافر في 1 نوفمبر 1954 كان عمر الشيخ الابراهيمي 65 سنة ، حيث دخل مرحلة الشيخوخة التي تتسم في العادة بالهدوء والحكمة والتعقل ، وكما ذكرنا في عدة مناسبات فإن من أكبر أخطاء القادة الأوائل للثورة وخاصة محمد بوضياف أنهم اعتبروا تجربتهم المريرة والقاسية مع الزعيم مصالي الحاج ، ذلك الرجل الذي لم يأخذ فرصته الكاملة في التعلم فأصبح مهووسا بحب الزعامة إلى درجة الجنون ، نموذجا قابلا للتكرار مع أية شخصية وطنية أخرى، ولم يستفيدوا من تجربة جمعية العلماء على الأقل في جانبها التنظيمي السلس ، ولذلك تسرع بوضياف في اعلان الثورة دون استشارة رموز فكرية وسياسية كانت داخل الوطن (العربي التبسي) والبشير الابراهيمي والفضيل الورثيلاني الذين كانوا مقيمين بالقاهرة ، حيث لم تكن علاقة الوفدين الجزائرين بالقاهرة (الوفد الخارجي – ممثلا بالسادة –احمد بن بلة – حسين آيت احمد – محمد خيضر – ومكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممثلا بالشيخين – الفضيل الورثيلاني الذي استقر في القاهرة آواخر الأربعينيات، والبشير الابراهيمي ) على درجة كبيرة من الود والتعاون وكانت متأثرة بخلافات هامشية تافهة ، رغم ذلك أعلن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة بعد أيام قليلة من إعلان الثورة عن دعمه ومساندته من خلال بيان رسمي موقع من طرف الشيخين البشير الابراهيمي والفضيل الورثيلاني ، فمشاركة جمعية العلماء في الثورة ليس بصفتها كهيئة ولكن كأفراد ينتمون إليها متشبعين بمبادئها وأفكارها قضية لا جدال فيها والأستاذ عبد الحميد بن باديس لم يكن فقط رجل دين وفكر واصلاح ، بل كان رجلا ثوريا اسلاميا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، فكان يحضر جيشا من المتعلمين والمثقفين ليجعل منه وقودا للثورة محتملة ، وقد ذكرت عدة مصادر تاريخية وشهادات انه كان على وشك إعلان الثورة وكان يهيء الوسائل المادية ويتحين الظرف المناسب ، وقد دفعت الجمعية بخيرة أبنائها لاحتلال الصفوف الأولى للثورة والتاريخ الرسمي على أية حال يعترف بمساهمة جمعية العلماء في مجهود الثورة . وما قام به الشيخ إبن باديس بمفرده منذ سنة 1913 و بمساعدة رفاقه في الجمعية إلى غاية 1956 كان عبارة عن ثورة ثقافية وعلمية إعادت التوازن إلى المجتمع الجزائري ، و حضرت طلائع ثورة أول نوغمبر المجيدة .

# من القاهرة إلى باكستان

تزامن اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 المباركة مع بداية صراع بين جماعة الإخوان المسلمين والعسكر الذي قاد انقلاب ابيض على الملك فاروق بمصر، و كان قادة الثورة الجزائرية اللاجئين بالقاهرة ممثلي ( الوفد الخارجي للثورة ) واقعين تحت تأثير المخابرات المصرية ، وكما يقول المصادر التاريخية و بعض الشهادات (منها شهادة أرملة رئيس جهاز المخابرات المصري في ذلك الوقت "فتحي ذيب ، حيث ذكرت أن المخابرات المصرية قامت بترحيل مواطن مصري من مسكنه في نفس العمارة التي يقيم بها رئيس المخابرات المصرية ، وتسليمها إلى أحمد بن بلدة للإقامة فيها بحيث كانت تلك الشقة تقع اسفل شقة رئيس المخابرات ، ومعلوم ان جمعية العلماء المسلمين التي بدات كفكرة مطلع عشرينيات القرن الماضي ، وتبلورت بعد نجاح تجربة التعليم العربي الاسلامي التي جاءت بمادرة من الأستاذ ابن باديس ثم نضجت وتجسدت كمشروع سنة 1931 كانت قريبة في مبادئها و أفكارها وموافقتها من المدرسة السلفية الجديدة (الأفغاني – رشيد رضا – محمد عبده) وهي حاولت إخفاء لمسات ثورية تجديدية وإعادة ربط الاسلام مع الواقع وعدم الاكتفاء بتسوية القبور وتجاوزت تلك الحملات "الساذجة" إلى ما بعد وفاة الأستاذ بعد الحميد بن باديس في 16أفريل 1940 وبعد استقرار الفضيل الورثيلاني والبشير الابراهيمي بالقاهرة تخلت جمعية العلماء بصورة تدريجية من الأفكار السلفية التي لم تعد تواكب تطورات الاحداث والواقع الاسلامي ، حيث ان الأفكار السلفية أو الدعوة السلفية التي تبناها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية أقتصرت على محاربة البدع والخرافات داخل المجتمع الإسلامي ولم تواجه استعمارا استطانيا كما واجهته جمعية العلماء ، استقرار الاستاذ الفضيل الورثلاني بالقاهرة ودراسة بالازهر الشريف وإلتحاقه بجماعة الاخوان المسلمين واقترابه من مؤسسها ومنظرها الشهيد حسن البنا، لدرجة استخلاقه في تقديم الدروس الليلية الأسبوعية ، وهو نفس الأمر الذي حدث مع الشيخ البشير الابراهيمي الذي وجد في دعوة الاخوان المسلمين و مبادئها وافكارها وتطلاعتها وانجازتها على الأرض كل ما تتمناه كل مسلم فتأثر بأفكارها ، التي انتشرت في مختلف أرجاء العالم الاسلامي، و يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدأت كحركة سلفية متجددة وانتهت كركة اسلامية اخوانية ، ونخلص من هذه التقديم الموجز إلى أن المخابرات المصرية التي كانت بطبيعة الحال تراقب عن كثب كل النخب الفكرية والثقافية والسياسية المتواجدة بالقاهرة كانت تدرك تطور علاقة جمعية العلماء المسلمين بالاخوان المسلمين وهي التي كانت تضع خطوطا حمراء للوفد الخارجي وحالت دون توسع واندماج الجمعية في الثورة ، لأنها كانت متخوفة من سيطرة الأسلاميين على سلطة القرار والموقف داخل الثورة ، وبما ان القاهرة كانت الحاضنة الاولى للثورة والداعمة لها سياسيا وعسكريا واعلاميا ، فقد تمكنت من املاء شروطها على قيادة الثورة بالخارج وتدخلت حتى في الكثير من القضايا الخاصة بالثورة ، وتعتبر فتنة الخلاف بين أحمد بن بلة والبشير الابراهيمي حول إدارة وتسيير ملف البعثات الطلابية الجزائرية بالجامعات الاسلامية أحد اهم مظاهر تدخل المخابرات المصرية في الشؤون الجزائرية تحسبا لمرحلة ما بعدا الاستقلال فقد كا ن هاجسها الوحيد هو سيطرة جناح الجمعية على الثورة وبالتالي فقدانها لحلبف عربي جديد وقوي ، لكن كل هذه الخلافات والصراعات الهامشية ، لم تمنع الأستاذ البشير الابراهيمي من أن يكون سفيرا متجولا عبر العالم الاسلامي يقوم بمهمتين 2 مزدوجتين وهما السعي لإيجاد أكثر عدد ممكن من المقاعد البداغوجية للطلبة الجزائريين خريجي مدارس جمعية العلماء في الجامعات العربية والاسلامية ، وتوفير الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري للثورة ، ومع اشتداد الصراع في مصربين العسكر وجماعة الاخوان المسلمين أو بالاحرى انقلاب العسكر على

حلفائهم من الإخوان المسلمين بعد حادث " المنشيه " المفبرك ، وقيام مصالح الامن المصري بحملة مطاردة وإضطهاد واعتقال لرموز الجماعة وإطاراتها وحتى مناضليها وأتباعها البسطاء، ربط الامام الابراهيمي أمتعته متجها إلى باكستان حيث مكث بها حاولي سنة ليقوم بمهمة مزدوجة وهي "تمثيل جمعية العلماء وتمثيل الثورة في نفس الوقت ، وقد أدى مهمته هذه على أحس ما يرام ، ورغم قلة الامكانيات ومكر الخصوم والاعداء تمكنت الجمعية من تكوين عدة أجيال من المتعلمين والمثقفين والنخب الثقافية والفكرية ، ودفعت بخيرة أبنائها ومن أجيال مختلفة كعربون وفداء للثورة ، ومن أبرز قادة جمعية العلماء الدين استشهدوا في سبيل الله ومن اجل حرية الوطن "الشهيد الرمز العربي التبسي" الذي اختطفته يد الغدر وجنود الاستعمار الفرنسي الكافر من بيته في جنح الظلام ، واغتالته بدم بارد ودفنت جثته الكريمة الطاهرة في مكان مجهول ... بعدما هدأت الأوضاع نسبيا في القاهرة بقضاء العسكر على حلفائهم من الإخوان المسلمين بالتصفية والإعتقال والتهجير والتعذيب ، عاد الأستاذ الابراهيمي مجددا إلى القاهرة ، واستمر في أداء وظيفته الأساسية وهي متابعة المسار الدراسي لطلبة جمعية العلماء المسلمين ، والمشاركة في كل النشاطات السياسية والفكرية وتقديم حصصا في الإذاعة المصرية ، و المحاضرات و المشاركة في الندوات الخاصة بدعم الثورة الجزائرية ، وكان يقوم بجولات مكوكية إلى مختلف عواصم العالم الاسلامي لجلب الدعم المادي والعسكري والسياسي الدبلوماسي للثورة .

## الإبراهيمي ..في الجزائر

واصل الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي نضاله السياسي وجهوده التربوية من القاهرة عاصمة المعز لدين الله الفاطمي ، إلى غاية الاعلان عن الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية في الخامس من شهر جويلية سنة 1962 ، وكان واضحا من خلال بعض الاحداث والمواقف والتصريحات ، أنه كان متحفظا بعض الشيء على تصرفات ومواقف وتصريحات زعيم الثورة أحمد بن بلة وربما كان يدرك أكثر من غيره وبحكم اقامته الطويلة بالقاهرة وعلاقته بالأوساط النخب السياسية والفكرية المصرية والعربية ، مدى تأثير النظام المصري ومخابراته على الرئيس المحتمل للجزائر المستقلة ، كما كان يدرك ان النظام المصري عمل كل ما بوسعه لتحضير أحمد بن بلة لقيادة الجزائر واستعمل كل امكانياته السياسية والعسكرية والدبلوماسية والاعلامية من اجل تمهيد الطريق واستبعاد كل العقبات وتجاوز كل ما يمكن أن يقف في طريق تحقيق هذا المشروع ، وبالرغم من وجود بعض الخلافات الايديولوجية و تخوفات غير مبررة من مافسة محتملة لرموز التيار الاسلامي واكتساحهم الدولة المستقلة ، فقد حاول النظام المصري وباشراف مباشر من الرئيس عبد الناصر توظيف ورقة الاسلام من خلال محاولة إستغلال صورة الشيخ البشير الابراهيمي ورمزيته و شعبيته من أجل تزكية الرئيس أحمد بن بلة وتغليب كفته تجاه منافسيه المحتملين وهم كثير (بوضياف / آيت أحمد / محمد خيضر وغيرهم ) حيث تقول المصادر التاريخية وشهادة الدكتور أحمد الطالب الابراهيمي لحصة شاهد على العصر التي بثتها قناة "الجزيرة" ان الرئيس جمال عبد الناصر كلف ظابطين كبيرتين من جهاز المخابرات المصرية من بينهم فتحي الذيب للاتصال بالشيخ البشير الابراهيمي قبل عودته الى الجزائر، ليطلبا منه طلبا صغيرا وهو دخول الجزائر بالضبط الى مدينة تلمسان رفقة الرئيس المحتمل أحمد بن بلة في سيارة واحدة ، لكن الشيخ الابراهيمي بذكائه الحاد و رؤيته البعيدة المدى ، تفطن للعبة المخابرات المصرية ورفض الاقتراح جملة وتفصيلا ، وأدرك ما يخفي وراء هذه الحركة البسيطة التي تبدو اكثر من عادية ، من اهداف وأبعاد وبالتالي رفض تقديم صك على بياض إلى رجل سياسي وتزكيته

بطريقة غير مباشرة دون معرفة برنامجه السياسي وخطة عمله واهدافه ، وهكذا اكتشف الشيخ الابراهيمي لعبة الرئيس المصري جمال عبد الناصر ومخابراته ولم يتجاوب معها أو بالأحرى النظام المصري الذي يملك أكبر ترسانة اعلامية في العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، رغم أنهم كانوا متاكدين من امكانية فوز "أحمد بن بلة" لكرسي الرئاسة فقد حاولو استعمال ورقة الشيخ الابراهيمي لغلق اللعبة بصورة نهائية وسد الطرائق أمام أي مترشح محتمل ، وحركة تنقل الابراهيمي رفقة بن بلة في سيارة واحدة ودخولهما الجزائر هو في الحقيقة رسالة موجهة إلى الرأي العام المحلي والدولي ، لأن المسألة من الناحية الرسمية كانت محسومة من الفوق أي من أصحاب القرار، خاصة بعد رفض محمد بوضياف للاقتراح الذي عرضه عليه بوتفليقة باسم العقيد هواري بومدين ، ليكون مرشح الجيش لرئاسة الجمهورية ، وقد تأثر الرئيس أحمد بن بلة كثيرا بموقف الشيخ الابراهيمي الذي أحي بدوره تلك الخلافات الاتاريخية القديمة بين الطرفين، لكنه تحمل الموقف و ابتلعه بصعوبة ، ولم يجد أمامه سوى الصبر والصمت إلى حين ، و في إعتقادي أن النظام المصري كان يهدف الى الحصول على عصفورين برمية واحدة ، الحصول على تزكية غير مباشرة للرئيس الجزائري المحتمل أحمد بن بلة ، من طرف زعيم التيار الإسلامي في ذلك الوقت الشيخ البشير واالإبراهيمي ، و من جهة أخرى إحنواء التيار و ربما حرق ورقة الإسلاميين بالمرة .

* موقف الشيخ البشير الابراهيمي من قيادة الثورة بصفة عامة و من الوفد الخارجي ، نابع من معرفته الجيدة والشخصية بهؤلاء القادة قبل وأثناء وبعد الثورة ، فهو بحكم موقعه في الحركة الوطنية كأحد رموز الثورة الثقافية والعلمية وثاني رئيس منتخب لجمعية العلماء المسلمين وبالنظرإلى ثقافته الاسلامية الشاملة واطلاعه الواسع على مختلف الأفكار والمسارات الفكرية والسياسية القديمة والحديثة وعلاقته بالوسط السياسي المصري والعربي و تجربته الطويلة في النضال و التربية والتكوين وصناعة الرجال ، ومن خلال تحليله العميق لمسار الثورة وصراعاتها الداخلية ، كان يفصل في مواقفه من الثورة أو الجهاد بالمفهوم الاسلامي باعتباره حق مشروع يمارسه المسلم وفق شروط وظروف معينة ، وبين أ شخاص يختلقون فيما بينهم في كل شيء ، كان يعرف خلفياتهم الفكرية والسياسية كما كان يعرف مواقفم من جمعية العلماء ومن أفكارها وأهدافها ، وكما كانت جمعية العلماء نتاج مبادرة شخصية تبناها الشيخ ابن باديس و رفيقه الابراهيمي ، حيث بدأت كحركة سلفية اصلاحية متجددة و منتوج إسلامي خالص يسعى لتحقيق غايات سامية و أهداف نبيلة ، بعيدة عن كل أطماع و منافع شخصية ، كان بن بلة كمنتوج وطني خالص متخرج من مدرسة حزب الشعب العريقة والتزم بأفكارها ومبادئها ، سعى هو أيضا لتحقيق أهداف نبيلة لكنها مبطنة بطموحات شخصية طبيعية ، لكن وجوده في القاهرة لمدة طويلة وضعه تحت تأثير النظام المصري بدليل أنه حاول نقل التجربة المصرية بكل ايجابياتها وسلبياتها إلى الجزائر مع بعض التعديلات الذي كان يراها ضرورية .

موقف الشيخ الابراهيمي الرافض لأي تعاون محتمل مع نظام سياسي فتي خارج لتوه من ثورة عظيمة ، لا يعرف أي شيء عن ملامحه وأهدافه وبرنامجه كان نابغا أيضا ومتأثرا بتجربته المريرة التي وصل إليها تحالف جماعة الاخوان المسلمين مع الضباط الأحرار في مصر، بحيث لا تزال حتى ذلك الوقت 1962 حملة الاضطهاد والاعتقال والتهجير قائمة على أشدها من طرف الأمن المصري ، ضد رموز و إطارات واتباع جماعة الاخوان .وكان أخر ما توصلت اليه عبقرية النظام العسكري المصري هي إعدام المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب ومجموعة من رفاقه في آواخر شهر أوت 1966 ، وقد عاين الشيخ الابراهيمي وهو بالقاهرة وسمع من رفيقه

الفضيل الورثيلاني كيف بدأ مسلسل التحالف الاستراتيجي بين جماعة الاخوان المسلمين والضباط الاحرار من أجل القضاء على النظام الملكي ، وكيف انتهى اليه هذا المسلسل بعد انقلاب العسكر المصري على حلفائهم من الاخوان . وقد اكتوى الشيخ الابراهيمي بشظايا نار الفتنة التي فجرتها أيد خفية من داخل وخارج مصر ، حيث هاجر في اتجاه باكستان . كان رفض الابراهيمي الانسياق وراء لعبة النظام المصري الهادفة إلى استغلال اسمه وموقعه ومكانته في العالم السلامي كأحد كبار رجال الاسلام ومفكري الامة، ، نابعا أيضا من تجربته النضالية لصالح لقضية الجزائرية ومن المواقف المسبقة التي ابداها قادة الثورة من جمعية العلماء المسلمين ، خاصة فيما يتعلق باحتواء كل التيارات السياسية واقصاء التيار الاسلامي واستبعاد كل عناصر جمعية العلماء التي أثبتت فعاليتها في الميدان من مواقع القرار (الوفد الخارجي لمجلس الوطني للثورة ) الحكومات المؤقتة ( المتعاقبة ) المكتب السياسي (الحكومة) بعد الاستقلال ، والاكتفاء بمنح جمعية العلماء تمثيلا رمزيا ( عضو واحد هو الاستاذ أحمد توفيق المدني ) في المجلس الوطني للثورة و في حكومة بن بلة ، و تزكية نظام سياسي أو جناح سياسي على حساب جناح آخر. هكذا دون مقابل ودون شروط كان بالنسبة إليه صفقة خاسرة في كلتا الحالتين .

رغم توتر علاقة الرئيس أحمد بن بلة والشيخ البشير الابراهيمي فإن المسألة ضلت في القلوب ولم تتطور إلى قطيعة أو ردود فعل عنيفة من جانب صاحب السلطة ضد الشيخ الابراهيمي ،بدليل تعينه كإمام مدرس بمسجد كتشاوة العريق ، واشراف السلطة على افتتاح المسجد من جديد واستماعها إلى اول خطبة من القاء الشيخ البشير الابراهيمي الذي رغم تحفظاته على سلوكات عدد من قادة الثورة الذين تعامل معهم في القاهرة ، وعدم تزكيته للرئيس أحمد بن بله ، وفي نفس الوقت عدم اعلان معارضة له بصفة علنية ، فقد التزم الصمت وفضل مراقبة الوضع من بعيد واعطاء حكام البلاد فرصة كافية لاظهار نواياهم وبرامجهم ، خاصة أن الصراع على السلطة كان على أشده بعد اعلان الاستقلال مباشرة ، وزادت وتيرته بعد تمرد العقيد شعباني واستقالة محمد خضير من الامانة العامة للحزب \، وعباس فرحات من رئاسة البرلمان ، وآيت احمد من عضوية البرلمان ، ورفض محمد بوضياف قبول أي منصب أو وظيفة في حكومة الرئيس أحمد بن بلة.

لكن صمت الشيخ البشير الابراهيمي لم يدم طولا ، وبمجرد عودة الاستقرار السياسي والأمني بصورة نسبية ، وبمناسبة انعقاد اول مؤتمر لحزب جبهة التحرير الوطني داخل الوطن وبعد الاستقلال ، الذي صادف ذكرى وفاة المفكر والمصلح الأستاذ عبد الحميد بن باديس 16 أفريل 1964 خرج الشيخ الابراهيمي من عزلته وودع الصمت الرهيب الذي لازمه أو التزم به كموقف اختياري برغماتي دون ضغط من أي جه ة، وأصدر بيانا وجهه مباشرة إلى الرئيس أحمد بن بلة بصفته المسؤول الاول في الجزائر و من جميع النواحي السياسية والقانونية والأخلاقية .

## القطيعة مع نظام بن بلة

صاغ الأستاذ البشير الابراهيمي بيانه الذي كان موجها إلى رئيس الدولة احمد بن بلة ، بصفته المسؤول الأولى في هذه البلاد ، صاغه بأسلوب ادبي جميل وبلغة دبلوماسية حريرية ناعمة ، ومن خلال كلمات مباشرة وجمل قصيرة ومختصرة ، عبر عن موقفه الرسمي من الوضع العام في البلاد حيث ابتعد عن التشخيص أو توجيه الاتهامات أو تجريح الأشخاص وقد تضمن البيان الذي سننشره كاملا خمس فقرات صغيرة وهي بعد بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الأستاذ

الابراهيمي في الفقرة الأولى وهي المقدمة ، بعض الأسباب الذي جعلته يلتزم الصمت شاكرا الله سبحانه وتعالى ان مد في عمره حتى يرى بعينه ثمرة جهود وكفاح النخبة الجزائرية ، ومن ورائها الشعب الجزائري ، ويتذوق بلسانة طعم الاستقلال وينعم بشمس الحرية ، حيث كان يعتقد وقد وصل إلى سن الخامسة والسبعين ، أنه قد سلم مشعل الجهاد الأكبر والدفاع عن الاسلام الحق والعروبة ، إلى النخبة السياسية والعسكرية التي تسلمت مقاليد الحكم من المستعمر الفرنسي ، وفي الفقرة الثانية عبر عن خيبة أمله مما آلت إيه اوضاع البلاد ، حيث اغتنم مناسبة مرور الذكرى الواحدة والعشرون لوفاة الأستاذ عبد الحميد بن باديس ، ليعبر عن وصوله إلى قناعة تامة بأن الصمت لم يعد يجدي نفعا ولم يعد السكوت من ذهب و لا من فضة ، في مثل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلا ، والعكس هو الصحيح فقد أصبح الكلام من ذهب وضرورة حتمية شرعية واخلاقية ، وفي الفقرة الثالثة يوجه الأستاذ الابراهيمي نقدا غير مباشر للنظام الحاكم من خلال تحليل بسيط وسريع للوضع العام ويعيب على المسؤولين الجزائريين الكبار ( أصحاب السلطة والقرار ) تجاهلهم عن قصد او دون قصد للاحتياجات وحقيقته لشعب عانى من استعمار استيطاني بغيض لما يقارب القرن و الربع ، وخاض حربا ضروسا غير متكافئكة دامت سبع سنوات ونصف ، وبقدر ما كان خروجه من هذه الحرب، منتصرا ، كان منهوك القوى على أكثر صعيد ، وهي الاحتياجات او الحقوق التي يحددها الشيخ الابراهيمي في مطلبين معنويين وهما الوحدة والسلام ومطلب مادي ضروري وهو الوصول إلى تحقيق الرفاهية من خلال توفير وسد مختلف الحاجيات الضرورية لحياة الانسان ، ووتجاوزها ببعض الكماليات (التعليم ، الصحة، الشغل ، السكن، توفير السلع والمواد الغذائية الضرورية واللحوم والخضر والفواكه) بأسعار في متناول الجميع ثم يصل إلى صلب الموضوع ليثير مباشرة قضية الالتزام برسالة الشهداء التي وردت في بيان أول نوفمبر ، كأسمى هدف للثورة وهو ( بناء جمهورية ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة في إطار مبادئ الاسلامية ) ويبدو من خلال اثارته لهذا الموضوع إنه أدرك مدى انحراف النظام على نص وروح بيان اول نوفمبر الذي يعتبر المرجع الاول للثورة والدولة ( للأمانة العلمية وللتاريخ فقد تم التراجع عن مبدأ الاطار الاسلامي للدولة الجزائرية المنشودة كهدف رئيسي للثورة خلال مؤتمر الصومام المشؤوم ) وفي مؤتمر طرابلس جوان 1962 طغت الصراعات والمنافسة الشخصية المصلحية على النقاشات الحادة ، كقضية مرجعية الحزب والدولة وطبيعة النظام ، وقد وقعت خلافات حادة وصدامات وصلت مستوى لا يليق بثوار حاربوا دولة قوية كفرنسا في مختلف الجبهات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والاعلامية وانتصروا عليها ، ولكنهم بعد تحقيق هدف الاستقلال عجزوا عن الانتصار على انفسهم وعلى انانيتهم ومصالحهم الشخصية وحاول الأستاذ الامام والمفكر الاسلامي الكبير الإستفادة من وظيفته الطبيعة والأساسية وهي الارشاد و التوعية فحاول بلغة جميلة وأسلوب ذكي ومهذب ، تقديم النصيحة للمسؤولين الجزائريين ، ويذكرهم ويلفت انتباههم إلى اننا مسلمون عرب جزائريون طالما تغنينا في فترة الاحتلال بالنشيد الخالد شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب. وطالما رفعنا الشعار الراقي الذي أبدعه الشيخ ابن باديس الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا في وجه الاستعمار الفرنسي. ليؤكد موجها كلامه إلى أصحاب السلطة والقرار أن اعتماد الاسلام كمرجعية وكفلسفة للحكم والشريعة الاسلامية كمصدر أساسي للتشريع ، هما الأساس الصلب لأي نظام جزائري يحترم نفسه ويحترم تاريخه وتضحيات وكفاح رجاله في كل العصور ، ويقترح أن يكون الإسلام الحق هو منطلق كل النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والكفاح في البلاد وليس الإقتباس من المذاهب الوضعية المستوردة.

ويقدم في الفقرة الرابعة جملة من النصائح الغالية والنفسية ويحث المسؤولين السياسيين والعسكريين على التحلّي بأخلاق النبلاء في أعمالهم أو في اختيار المساعدين والموظفين ، كالنزاهة والكفاءة ، ونكران الذات ، والتضامن الذي يشير إليه بالأخوة والتزام مبدأ الشورى كقاعدة أساسية لنظام الحكم ، وهي تقابل مبدأ آلية الديمقراطية المعتمدة في الأنظمة السياسية الحديثة لاختيار المسيّرين لشؤون الدولة ، بدءا من المجالس المحلية إلى البرلمان ، إلى اختيار رئيس الجمهورية عن طريق صندوق الانتخاب.

وفي الفقرة الخامسة والاخيرة يدعو إلى ضرورة بناء جدار وطني شعبي رسمي ، وبتعاون وتنسيق بين السلطات ممثلة في رئيس الجمهورية والحكومة وكل المسؤولين المحليين من اجل بناء دولة ( الحق والقانون والحرية )

## النص الكامل للبيان:

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتب الله لي أن أعيش حتى استقلال الجزائر ويومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنية مرتاح الضمير، إذ ترائى لي أني سلمت مشعل الجهاد في سبيل الدفاع عن الاسلام الحق ، والنهوض باللغة في ذلك الجهاد الذي كنت أعيش من أجله ، إلى الذين أخذوا زمام الحكم في الوطن ، لذلك قرّرت أن ألتزم الصمت . غير أنّني أشعر أمام خطورة الساعة ، وفي هذا اليوم الذي يصادف الذكرى الرابعة والعشرون لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله أنه يجب عليّ ان أقطع ذلك الصمت ، إنّ وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية عسيرة الحل . ولكن المسؤولين فيما يبدوا ، لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية ، وأن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية ، لا من مذاهب أجنبية . لقد آن للمسؤولين أن يضربوا المثل في النزاهة وألاّ يقيموا وزنا إلا التضحية والكفاءة ، وأن تكون المصلحة العامة هي أساس الإعتبار عندهم ، وقد آن أن يرجع لكلمة الأخوة التي ابتذلت معناها الحق و أن نعود إلى الشورى التي حرص عليها النبي ﷺ .وقد آن أن يجتهد أبناء الجزائر كي يشيدوا معا مدينة تسودها العدالة والحرية مدينة تقوم على تقوى من الله ورضوان التوقيع

الجزائر في 16 أفريل 1964.

## رد فعل الرئيس بن بلة

جاء بيان الشيخ البشير الابراهيمي بعد صمت طويل دام ما يقارب السنتين وهي مدة كافية للحكومة لتتمكن من مجاوزة المرحلة الإنتقالية ( من الثورة إلى بناء الدولة ) وتضع الأسس الرئيسة والمبادئ العامة للدولة ، انطلاقا من بيان اول نوفمبر الذي تعتبره أول مرجع وأهم وثيقة تاريخية حددت الأهداف الرئيسية للثورة ، وحسبما يبدوا فقد كان الابراهيمي قلقا من عدم توضيح المرجعية الفلسفية للحزب والدولة ، وموقع الاسلام في منظومة الحكم .ونفس المتوقف تبنته النخبة الفكرية الاسلامية خاصة الأستاذ مالك بن نبي ، الذي كان من اوائل المنتقدين لبرنامج طرابلس الذي تعمد تجاهل ، قضية المرجعية الفكرية والسياسية ، ورواغ من أن تأجيل الحسم فيها إلى اجل غير مسمى ، كما جاء هذا البيان في توقيت مناسب جمع بين ذكرى وفاة العلامة إبن باديس الذي قضى كل حياته من أجل اسلامية وعروبية الجزائر ، و افتتاح أول مؤتمر لحزب جبهة التحرير ، ينظم بعد استرجاع السيادة الوطنية ، و قد اطلع الشيخ الإبراهيمي من دون شك ، كغيره من الشخصيات على تسريبات من مشروع برنامج الجزائر أو ميثاق الجزائر ، الذي لم يحدد بدقة ووضوح مرجعية الحزب والدولة وأكتفى

باشارات عابرة إلى التاريخ الاسلامي ، ذلك ان الرئيس بن بلة كان متحيزا نوعا ما سواء بإرادته أو بضغط من النظام المصري إلى مجموعة اليسار العلماني ، وكان من المفروض أن يشرك على الأقل المفكر الاسلامي مالك بن نبي ويستعين به في صناعة اهم مواثيق الدولة (دستور 1963) ميثاق الجزائر ، حتى يتمكن من امتصاص غضب التيار الاسلامي الذي كان شاهدا على إغراق الحزب والدولة في مستنقع أو وحل اليسار العلماني الفرنكفوني ، كما كان من المفروض تصحيح الخطأ الذي ارتكبه عبان رمضان ورفيقه كريم بلقاسم وأوعمران وهم يمثلون التيار التيار البربري الفرنكوفوني خلال مؤتمر الصومام ، عندما أفرغوا الثورة من بعدها الاسلامي وشطبوا الشطر الثالث المهم من أهداف الثورة ، التي نص عليها بيان أول نوفمبر والمتعلق بالإطار الاسلامي للدولة الجزائرية المنشودة ، وقد قامت النخب العلمانية المحيطة بالرئيس بن بلة والمبثوثة في مختلف وسائل الاعلام باستغلال البيان الذي أصدره العلامة البشير الابراهيمي أبشع استغلال ، وحاولوا تأليب السلطة عليه واتهامه بالمساس بأمن الدولة وتأليب الجماهير ، والرجعية وغيرها من المصطلحات الشائعة والمتداولة في قاموس التيار العلماني ، أحد أكبر خصوم التيار الاسلامي ، وفي حقيقة الامر ومن خلال القراءة الموضوعية للبيان الذي أصدره الإمام الابراهيمي فإنه لم يأت بأمر جديد سوى التذكير بخطورة الانحراف عن بيان اول نوفمبر والانسيات وراء مذاهب سياسية مستوردة ، بالغت الخطابات الاعلامية في تسويقها وتمجيدها ، ولم تنجح تدخلات الرئيس بن بلة في أكثر من مناسبة في تحفيف الضغط والاحتقاق السياسسي من خلال تصريحاته المتكررة والتي لم تجد أبدا أصداء لها في وسائل الاعلام ، من خلال تأكيده على الاشتراكية في الجزائر خيار اقتصادي تاكتيكي ضروري وحتمي ووحيد تم اعتماده بمعزل عن جذوره الفلسفة والفكرية الميز آليه المادية الإلحادية والإباحية ، مستعملا مصطلح الاشتراكية الاسلامية ، دون أن يتمكن من إحداث توازن بين الاسلام والاشتراكية على الصعيدين النظري والتطبيقي ، حيث كان بإمكانه حسم هذه القضية من خلال الدستور وعدم الاكتفاء ببمادة تنص على أن الاسلام دين الدولة ، و تأكيد المرجعية الاسلامية للحزب والدولة وعلى اعتبار الشريعة الاسلامية كمصدر رئيسي للتشريع ويكمن بعد ذلك الانفتاح يكل حرية وأريحية على مختلف التجارب والتشريعات وتكييفها مع طبيعة المجتمع الجزائري المسلم.

كما تزامن صدور بيان الشيخ الابراهيمي مع وصول الصراع بين الرئيس بن بلة وحلفائه من جماعة وجدة إلى مرحلة الحسم النهائي والقطيعة ، خاصة بعد تمادي الرئيس بن بلة في تصفية العناصر المحسوبة على وزير الدفاع العقيد هواري بومدين في الحكومة وفي بعض المؤسسات الاستراتيجية ، الواحد تلو الآخر واثارة الشكوك حول تبنيه الانقلاب على حلفائه ، والسعي إلى إيجاد تحالفات جديدة مع قائد التمرد العسكري بمنطقة القبائل حسين آيت احمد ، بالإضافة إلى تحفظات القيادة العسكرية وأعضاء من الحزب والحكومة على طريقه تحضير مؤتمر الحزب ، وأعضاء لجنة التحضير وصياغة النصوص وعلى المحاور الكبرى والتوصيات ، وقضية انشاء سلك أمني شبه عسكري جديد يكون تحت تصرف رئيس الجمهورية ، و بلوغ الثورة الصراع بين رفقاء الأمس مرحلة اللاعودة ، في مثل هذه الظروف جاء بيان الشيخ الابراهيمي الذي لم يتجاوز مجد تذكير النظام القائم بضرورة استغلال فرصة انعقاد المؤتمر لتصحيح بعض الأخطاء التاريخية وإعادة الاعتبار لبيان أول نوفمبر ، وتوضيح بعض الإشكالات وتحديد مسار واضح للحزب والدولة بعيدا عن الديماغوجية ، وحسم قضية المرجعية السياسية والفكرية حتى لا تتحول إلى قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي وقت من الاوقات. ، وطالب بتحديد موقع الشريعة الاسلامية في منظومة الحكم ، وترك المتغيرات القابلة للتغيير والتعديل للزمن ، جاء ضد البيان ليفتح على الرئيس بن بلة المنهمك في تحضير مؤتمر للحزب على مقاسه ، ثغرة جديدة

في مسلسل الأزمة السياسية والامنية الجزائرية التي اندلعت مع إطلالة اول شعاع لشمس الاستقلال ، من خلال صراع الاجنحة والرموز حول السلطة فأحيا تلك الخلافات القديمة بين الرجلين عندما كانا يقيمان كلاجئين سياسيين بالقاهرة وخلافاتهما حول موضوع التزكية الذي أدعى إلى أقصاء ممثلي التيار الاسلامي ( جمعية العلماء ) كشريك في الثورة من حقها الشرعي في الحصول على نصيبها في كل مؤسسات الحزب والدولة ، وتحت ضغط الواقع والظروف والصراعات السياسية ، وبايعاز وتشجيع من المحيطين به من رموز التيار اليساري العلماني أصدر الرئيس أحمد بن بلة قرارات متسرعة وغير مدروسة وغير عادلة ، وبدل احتواء الموقف واستغلال اللحظة والظرف لاجراء مصالحة تاريخية مع الشيخ الابراهيمي ، باعتباره ممثلا لتيار جمعية العلماء كتعيينه في المكتب السياسي أو على الأقل منحه شهادة الدكتوراه الفخرية ، وتبني كل ما جاء في بيانه وفتح صفحة جديدة تبدأ مع ترسيم الاحتفال بذكرى وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس ، وافتتاح أشغال اول مؤتمر لحزب جبهة التحرير الوطني في ظل الحرية والاستقلال داخل الوطن ، كرر الرئيس احد بن بلة وتحت تأثير العلمانيين وضباط فرنسا ، نفس الخطأ الذي إرتكبه عندما رفض إصدار العفو على العقيد محمد شعباني رغم إلحاح هيئة المحكمة التي أصدرت الحكم بالإعدام على العقيد شعباني بأمر من الرئيس أحمد بن بلة او على الأقل تخفيف الحكم حيث لم تستنفذ في غمرة "النشوة" و الاعتزاز بالنفس والغرور من ذلك الخطأ الاستراتيجي الفادح بكل المعايير السياسية والقانونية والاخلاقية ، فأصدر أمرا بعزل الشيخ الابراهيمي من منصبه كإمام بجامع كتشاوة وحرمانه من راتبه الشهري نذكر ان الشيخ الابراهيمي لم يكن بحكم السن 75 سنة يطمح لأي منصب أو دور سياسي.

في نفس الوقت استغل خصوم الرئيس أحمد بن لة الخطأ الفادح و أضافوه إلى سجل اخطائه ، ليكون أحد أهم مبررات الانقلاب عليه خاصة ، بعد إقدامه على إبرام اتفاق هدنة مع زعيم المتمردين " حسين آيت احمد" دون علم القيادة العسكرية وأعضاء الحكومة ، وهكذا شاء القدر أن يختم الشيخ الابراهيمي أخر أيام عمره في الإقامة الجبرية ، محروم من حقه القانوني في منحه التقاعد حيث فاضت روحه الغالية يوم 20 ماي 1965م وتم تشييع جنازته في موكب مهيب حضره العديد من كبار المسؤولين في الدولة وعلى رأسهم وزير الدفاع العقيد هواري بومدين وتغيب عنها الرئيس أحمد بن بلة الذي لم ير في هذه المناسبة الأليمة سببا في قطع زيارته الرسمية لبعض الولايات.

وشاء القدر كذلك أن تكون نهاية نظام الرئيس أحمد بن بلة بعد شهر تقريبا من وفاة العلامة الشيخ البشير الابراهيمي في 19 جوان 1965م ، بعد حركة تصحيحية قام بها الجيش بقيادة العقيد هواري بومدين الذي كان من اهم قراراته بعد تنصيبه كرئيس الدولة هو إعادة الاعتبار لجمعية العلماء المسلمين ، من خلال ترسيم احتفال ذكرى وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس كيوم للعلم وتعيين الدكتور أحمد طالب الابراهيمي نجل الشيخ الابراهيمي في أهم وزارة وهي وزارة التربية الوطنية لاستكمال رسالة أبيه ورسالة جمعية العلماء التربوية.

## مؤلفاته وآثاره الفكرية

لم يترك الشيخ الابراهيمي الكثير من المؤلفات ، وهذا لا يعني انه لم يكتب الكثير في حياته ذلك انه التزم من أول يوم وضع فيها يده في يد رفيقه عبد الحميد بن باديس بأن يؤلفوا العقول والقلوب ، ويصنعوا لهذا الوطن رجالا يرفعون عنه غشاوة الجهل والامية في مرحلة أولى ، ويكونو طلائع الثوار الذين تكون على أيديهم نهاية الاستعمار الفرنسي ، جمعية العلماء

المسلمين وإن حاولت استغلال آخر ما توصلت اليه تكنولوجيا الصناعات الثقافية ، من اجل تسويق مبادئها وأفكارها الصحف والمحلات والكتب لم يكن لأعضائها من الوقت الكافي الذي تتطلبه عملية تحرير وصناعة الكتب ، كانت اولوياتهم تحرير العقول وصناعة الشخصية الوطنية الجديدة. لكنها شجعت العديد من أعضائها على تأليف الكتب والكتابة في الصحف والمجلات المحلية والدولية ، والسبب الثاني لعدم وجود مولفات لكبار رجال جمعية العلماء هو انهم كانوا يلقون الدروس المختلفة بطريقة شفهية غير مكتوبة حيث قام الشيخ الابراهيمي بشرح موطأ الإمام مالك عندما كان يشرف على إدارة دار الحديث بتلمسان ، لكن لم يصل إلينا من تلك الدروس او المحاضرات سوى ما نشر بصحف ومجلات الجمعية ، يقول العلامة الشيخ البشير الابراهيمي مجيبا على نفس السؤال ، لماذا لم تؤلف الكتب في مقال طويل لخص فيها حياته الشخصية والثقافية تحت عنوان "أنا" نشر في العدد الخاص من مجلة الثقافة رقم 87 ماي –جوان 1987. لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الاعمال أكلا ولكنّني أتسلى بأني ألفت للشعب رجالا وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا ، حسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب.

## قالوا عن العلامة الإبراهيمي

لم يكن أستاذي و أخي ورفيق جهادي ، محمد البشير الابراهيمي، مجرد رجل عظيم كغيره من عظماء الجزائر، بل كان الابراهيمي أمة ، كان جيلا ، كان عصرًا ، كان من أولئك الأفذاذ القلائل الذي أملوا إرادتهم على الحياة ، واخضعوا الأيام لمشيئتهم فكيّفوها كما أرادوا، و اخرجوا بلادهم من مصير شاءه لها الظالمون ، إلى مصير رسموه لها بأنفسهم ، فحدّدوا أهدافه ، واستبانوا مسالكه واقتحموا اقتحام الرواد الصادقين طريقه الوعر المنهك للقوى ، غير غائبين لما كا يحاك حولهم من دس وبهتان، "فما وهنوا لما أصابهم في سبيل اله وما ضعفوا وما استكانوا واله يحب الصابرين" كان الابراهيمي خلال عشرة أعوام من رئاسة فعلية لجمعية العلماء المسلمين يقضي سحابة يومه في البناء والتعمير ويقضي سواد ليله في التفكير والتدبير. ولم نكر نعرف له خلال هذه الملحمة مقرا معلوما ، إلاّ السيّارة يمتطي متنها الأيام والليالي، يخرتق بها النجود والوهاد ، فما من مدينة وما من قرية ، وما من مضرب من مضارب البدو ، إلا غشيتها ، وبث فيها الروح ، وغرس فيها بذور النهضة ، واجتثت منها الطفيليات القاتلة ، ولايبرحها إلا عن مسجد مؤسس ، أو مدرسة مرتفعة أو نادٍ عامر.

الأستاذ احمد توفيق المدني، كاتب ومؤرخ ومفكر عضو مؤسس لجمعية العلماء، مجاهد ووزير سابق.

وأذكر من أؤلئك الزعماء اللاجئين إلى القاهرة الشيخ البشير الابراهيمي، عرفته ، أو تعرفت إليه ، في أعقاب محاضرة بالمركز العام للإخوان المسلمين، كان لكلماته دوي بعيد المدى وكان تمكنه من الادب العربي بارز في أسلوب الأدباء وطريقة الإلقاء ، والحق أنّ الرجل رزق بيانا ساحرا وتأنقا في العبارة يذكر بأدباء العربية في ازهى عصورها ، لكن هذا ليس ما ربطنا به أو شدنا إليه على قيمته المعنوية إنّما جذبنا الرجل بإيمانه العميق وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين ، وغيضه المتفجر ضد الاستعمار ورغبته الشديدة في ايقاظ المسلمين ليحموا اوطانهم ويستنذوا أمجادهم ، فخيل لي أنه يحمل في فؤاده آلام الجزائريين كلهم وهم يكافحون الاستعمار الفرنسي ويقدمون المغارم سيلا لا ينقطع حتى يحرروا أرضهم من الغاصبين الطغاة ، وكان في خطابه يزأر كأنه أسد فكان ينزع الرجل من أفئدة الهيابين ، ويهيج في نفوسهم الحمية لله ورسوله فعرفت قيمة الأثر الذي يقول ( أن مداد العلماء يوزن يوم

القيامة بدم الشهداء) إن الخطيب او الكاتب يوم يستمد توجهاته من قلبه ويصبها في نفوس تلاميذه إنما يكون فيالق من أولي الفداء ، ويصنع قذائف حية من رجال ينسفون الباطل نسف ، وذلك ما أحسسناه ونحن نستمع إلى الشيخ البشير الابراهيمي في القاهرة ، فعرفنا لماذا ضاق به الفرنسيون يطاردونه ومن ثم قررنا الالتفاف به والاستمداد منه . كان لقاؤنا بالشيخ الابراهيمي مجرد متعة أدبية علمية تجعل أدباء القاهرة وعلماءها يهرعون إليه ويتزاحمون عليه ، ولكن الرجل كان يشرد بين الحين والحين ، فنحس أنه معنا وليس معنا كان جسمه معنا وقلبه معلقا بالجزائر، يتحسس أبنائها ويتبع العراك الدائر بين الاسلام والصليبية في هذه القطعة الغالية من دار الاسلام ، وكنت أشعر أنه يكتب إلى رجاله أو المسؤولين عن الكفاح الجزائري يشير عليهم بالرأي . وهناك امر لا يعرفه الكثيرون ، لقد حاول ان يسد الفجوة بين جماعة الإخوان ورجال الثورة المصرية فإن الفريقين يقدرونه ويصغون إلى نصحه لكن الشر قد تفاقم بين الفريقين ، فعز على العلاج فتوقف محزونا، وظل الشيخ الابراهيمي ومعه بعض الجزائرين يرتبون الأمور بين القاهرة الموالية للمجاهدين ، وبين أرض الحكومة التي احتدم فيها القتال وتضاعف الشهداء ، ولا أنسى من بين أصحاب الشيخ ، الاخ الفضيل الورثيلاني الذي زاملني في الدراسة وأنا في تخصص الدعوة والإرشاد قبل مجيئ الإبراهيمي ببضع سنين، وكان الشيخ الفضيل عملاقا في مبناه ومعناه ، ورجلا له وزنه ، وكان يتبع الشيخ البشير على انه تلميذ وفي له ، ويتعاونان على نصر القضية الجزائرية بكل ما لديهما من طاقة

(الشيخ محمد الغزالي رئيس المجلس العلمي لجامعة العلوم الاسلامية بقسنطينة مجلة الثقافة: 87 ص96-97-98.)

إن الإنطباع الأساسي الذي بقي في ذاكرتي من لقائي الأول مع الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، هو صورة كبرى رأيتها في داره ، تمثل الأمير عبد القادر، وكان ذلك عام 1944 بعد صدور مقالي حول (مساهمه الحضارة الاسلامية في الثقافة العالمية) وقد استقبلني يومئذ في داره وكنت مصحوبا بالسيد عمار أوزقان اذي أصبح وزير الزراعة بعد استقلال الجزائر ، لقد اتخذ الشيخ الابراهيمي باعتباره من ( رجال الدين ) ومن المناضلين السياسيين ، إتخذ من شخصية الامير عبد القادر رمزا ومثالا يحتذي به ، وفي يذلك اليوم الذي قابلناه ، أوضح لنا استمرارية الكفاح الذي ما فتئ الشعب الجزائري بخوضه منذ 1830م ضد خطر الإنسلاخ من شخصيته، وفقدان هويته وهو الامر الذي يتعرض له منذ أكثر من قرن ، كنتيجة الغزو الاستعماري الفرنسي ، وكنتيجة أيضا لتشويه الاسلام على يد الطرقية المتواطئة مع سلطات الاحتلال ، فالشيخ الابراهيمي هو الذي انتهج مع الشيخ إبن باديس منهج التجديد في الجزائر وتابع العمل الاصلاحي الذي انطلق في مصر على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا المتوفى عام 1935 ، وكان هذا العمل يحمل طابع التجديد من الناحية الدينية والسياسية والثقافية ، وهكذا فالشيخ الابراهيمي كان مع الشيخ ابن باديس كالشعلة التي بثت في الجزائر ثورتها الثقافية التي مكنت الشعب الجزائري من نيل استقلاله عام 1962 م بعد 130 سنة ، كما مكنته من استرجاع هويته العربية الاسلامية التي ما فتئ بكفاح من اجلها ابتداء من مقاومة الامير عبد القادر مرورا بثورات الشيخ بوعمامة والمقراني وانتهاء بثورة 1954، وقد كتب الشيخ الابراهيمي يقول "إن أسوأ ما وقع فيه دعاة الثقافة الغربية من عيوب هو الجهل المطبق بحقائق الاسلام ، وأن أسوأ ما وقع فيه انصار الثقافة الاسلامية هو الجهل المطبق بمشاكل العصر ومستلزماته" وإذا نظرنا إلى المسألة من منظور الاسلام الذي وحد بين العقائد الشرعية والقونين الوضعية ( نقصد التشريع الاسلامي بطبيعة الحال ) واعتبرها كيانا موحدا لا ينفصم ، فإن المشكلة الكبرى تتمثل في الاهتداء إلى طريقة التي يمكن بها للإسلام أن

يتعصرن من غير ان ينسلخ عن مقوماته الذاتية أي من غير أن يقلد الغرب ( في الامور المعنوية وليس المادية بطبيعة الحال ) أما الحل الذي اقترحه الشيخ ابن باديس والشيخ الابراهيمي سير في الطريق الخاص بالجزائر التي تواجه الاستعمار مواجهة مباشرة، الاستعمار العسكري والسياسي والروحي . هذا الحل يتمثل في الرجوع إلى الاسلام في عهده الاول عندما انطلق انطلاقته المبدعة . أي في الرجوع إلى الوحي القرآني وسنة رسول الله ﷺ وسلم . إن الشيخ ابن باديس في قسنطينة والشيخ العقبي في الجزائر والشيخ الابراهيمي في وهران وتلمسان . لم يكتفوا بالترداد حرفيا للأحكام الشرعية التي وضعت لظروف تاريخية معينة، بل تعمقوا فيها وأدركوا مزاها السماوي . فتوصلوا إلى نفس النتيجة في ظروف تاريخية جديدة . وبذلك استطاعوا أن يعلموا جيلا بأكمله . إنه الجيل الذي وجد في هذا الاسلام الحي القوة التي مكنته من ان يهب ويتجند لتحرير الجزائر. فالمشكلة إذن ما كانت تطرح على بساط البحث في مختلف أبعادها إلا على ضوء الاسلام . وذلك أن الثورة الجزائرية لا يجوز أن يقتصر هدفها على تعويض الطغمة الاستعمارية الحاكمة بثلة جزائرية تمارس السلطة بمقتضى نفس القوانين السابقة . لقد أصبح المقصود هو ايجاد مجتمع جديد مرتكز على قيم مخالفة تماما للقيم التي فرضتها سلطة الاحتلال الفرنسي طيلة مائة وثلاثين سنة، وتلك القيم هي القيم الاسلامية الأصيلة . على ان هذا العمل يستلزم تغيير الرجال . مثلما يستلزم تغيير الأسس التي يرتكز عليها المجتمع . والقرآن بذكر الثوريين المزيفين الذي يريدون تغيير كل شيء وينسون نفوسهم بالذات في حاجة إلى تغيير ويذكرهم بأن الله ( لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ) إن الرجال الذين تعاونوا في سنة 1931 مع الشيخ ابن باديس والشيخ الابراهيمي على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . كانوا يؤمنون بهذه الحقيقة القرآنية، فأعطوا الأولوية في برنامجهم لبذل جهود مكثفة في مجال التربية فحاربوا التعليم الاستعماري الهادف إلى تحطيم مقومت الشخصية، وقطع الطفل الجزائري عن الثقافة العربية الاسلامية . وحاربوا كذلك العقلية الخرافية المرابطية . كما حاربوا التعليم السائد الذي أوقع الاسلام في الجمود . أبقاه محفظا وجعله عقيما باقتصاره على اجترار علوم الأوليين . وإذا كان لرجال الاصلاح من فضل . فهو أنهم أدركوا بانه لا فائدة من الجدل حول التعارض بين العلم والدين . ولذلك دعوا إلى إدخال علوم الغرب وتقنياته . بعد نقدها وفرزها . واتخاذها وسائل لخدمة اهداف الاسلام . ولم يكن يخفى على سلطات الاحتلال ما في هذه الدعوة من خطر على كيانها . فعمدت في شهر مارس 1940 إلى نفي الشيخ البشير الابراهيمي وأبقته رهن الإقامة الجبرية ( بمدينة آفلوا بصحراء الأغوا) وكان الشيخ على تلك الحال . عندما أختير على إثر وفاة الشيخ ابن باديس . رئيسا لجمعة العلماء . وعندما أفرجت عنه السلطات الاستعمارية في بادية عام 1943، استطاع في عام واحد أن ينشئ 73 مدرسة في المدن والقرى و400 مدرسة خلال السنوات الموالية . ثم القي عليه القبض بعد المجازر التي ارتكبتها سلطات الاحتلال في 1945 ولكن الشيخ الابراهيمي عاد إلى نشاطه التربوي فو الافراج عنه . ونحن اليوم إذ نعترف للشيخ الابراهيمي والشيخ ابن باديس . بما لهما من فضل علينا . بارشادنا إلى قراءة القرآن قراءة جديدة . ككتاب وحي قادر على ان يوجه أنظارنا إلى مستقبل جديد . لابد لنا أيضا أن نتذكر ما قال جوريس الوفاء لمنزل الأجداد لا يعني الاحتفاظ بما بقي فيه من رماد، بل يعني إحياء ما بقي فيه من جذوة .

روجي غارودي مستشرق فرنسي متزوج من فلسطينية مسلمة أسلم سمى نفسه رجاء غارودي عن مجلة الثقافة ع 87 ماي جوان 1985 عدد خاص

"أسعدني الحظ بلقائه بعد ذلك في بغداد خلال الاحتفال بذكرى ابن سينا فسرني ما لقيه لدى الحكومة العراقية من حفاوة وتكريم خاص . نظرت إلى مكانه فإذا هو في الصف الثالث قال لي (ماسنيوي ) أنه يريد ان يحتج لدى الحكومة العراقية على تقديم الابراهيمي عليه فلما سأله عن سبب تهمته قال لي : أن هذا الرجل من ألد اعدائي . كتب في البصائر أنني عملت على حرمان الجزائريين حق الاستمتاع بأوقاتهم مع أنني في الحقيقة حفظتها من الضباغ.

- د جميل صلبيا سوري من تلاميذ الشيخ الابراهيمي.

# الفصل الرابع ( 4 )

# مـالك بن نبي

## فيلسوف الحضارة

## و منظر الإسلام الحديث

ابنة اخت المفكر مالك بن نبي ، ليومية الشروق في سلسلة شهادات خاصة بالمفكر بداية من عدد 05 مارس 2013 فإن مالك بن نبي ينتمي إلى عائلة تركية أصيلة وليست كرغلية ، ولد بن

ولد مالك نبي في 01 جانفي 1905 بمسكن يقع بحي يسمى الشارع بقلب مدينة قسنطينة ، تم تهديمه ولم يعد له وجود سوى الأرضية التي تحولت إلى ساحة لركن السيارات ، مالك هو الذكر الوحيد لوالديه الشابين (كان في عمريهما 20 سنة عندما ولد مالك) ولذلك حظي برعاية خاصة من طرفه عائلته ، لديه شقيقته كبرى تدعى عتيقة ، من مواليد سنة 1902 توفيت بتونس سنة 1982 وشقيقة اخرى تدعى سكينة من مةاليد 1906 توفيت سنة 1979، غير أن والده الحاج ساعد توفي بعد أربع سنوات من ولادة ابنه مالك في شهر ماي سنة 1977 بمدينة عنابة.

## إلى مدينة تبسة

انتقلت عائلة مالك بن نبي للاستقرار في مدينة تبسة في حدود سنتي 1909و 1910 حيث كان الطفل لم يزل صغيرا وتم تسجيله في أقرب مدرسة قرآنية لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية وعلوم الدين ، ولكن بعد أربع سنوات من الدراسة لم يتمكن الطفل مالك من حفظ سوى جزء عم أي حزبين من القرآن الكريم ، ربما هنالك أسباب ذاتية أو موضوعية حالت دون تمكنه من حفظ القرآن كاملا في فترة تمتد بين (5 و9سنوات) ثم انتقل مالك إلى الدراسة النظامية بالمدرسة الفرنسية في مرحلة التعليم الابتدائي من سنة 1911إلى 1917 تقريبا ، وهناك غموض يكتنف مرحلة الدراسة المتوسطة التي تدوم في العادة أربع سنوات فهل زول مالك بن نبي مرحلة التعليم المتوسط بمدينة تبسة وتحصل على شهادة مؤهلة لمواصلة التعليم الثانوي بقسنطينة ، أم أنه انتقل مباشرة إلى قسنطينة أو بالأحرى عاد إلى مسقط رأسه لمزاولة التعليم المتوسط ثم الثانوي ، فإذا كان مالك بن نبي قد درس مرحلة التعليم المتوسط المقدرة عادة بأربع سنوات في احدى اكماليات مدينة تبسة ، يكون بعملية حسابية بسيطة قد انتهى من هذه المرحلة الدراسية سنة 1921 حيث تجمع المصادر على انتقاله بعد ذلك إلى مدينة قسنطينة لمزاولة التعليم الثانوي في الموسم الدراسي 1922/1921 تقريبا حيث استكمل هذه المرحلة الدراسية التي تدوم ثلاث سنوات في نهاية الموسم الدراسي 1925/1924 ، ونلاحظ أن استكمال بن نبي لمرحلة التعليم الثانوي سنة 1925 مع بداية المرحلة الثانية ، او ان شئت لبادية المرحلة الفعلية لمشروع الثورة الثقافية والفكرية التي انطلق في مرحلة تجريبية كمبادرة فردية الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1913 إلى غاية سنة 1925 عندما تبلورت فكرة العمل الثقافي الجماعي مؤسساتي الشامل ، وهي نفس السنة التي ظهرت فيها أولى المنابر الاعلامية الاسلامية الاصلاحية ، وهنا يطرح سؤال وجيه وهو هل استفاد بن نبي بالكثير أو القليل من المشروع الفكري للشيخ ابن باديس وبعبارة أخرى هل للشيخ تأثير فكري ما عليه ، خاصة وان عدد من المصادر التاريخية تذكر أن بن نبي بعد وصوله إلى مدينة قسنطينة لم يكتف بدراسته الثانوية النظامية التي كانت تحت وصاية ادارة الاحتلال ، و تفرض دراسة جميع المواد باللغة الفرنسية بطبيعة الحال ، ولكنه كان يلتزم بالحضور لمتابعة دروس النحو العربي والفقه الاسلامي التي كان يقدمها الشيخ ابن العابد في الجامع الكبير كل صباح بعد صلاة الفجر ، بالإضافة إلى شغفه المبكر بالمطالعة الحرة باللغتين حيث استهوته العبقرية الشعرية العربية في مختلف عصورها من الجاهلي إلى العباسي إلى العصر الحديث، ، إلى جانب عيون الادب الفرنسي ، ومن محاسن الصدف وكما تذكر المصادر التاريخية فقد كان مقر إقامة الشاب مالك بن نبي بمدينة قسنطينة بجوار مقر مجلة الشهاب التي كان يحررها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكانت بمثابة المقر الرئيسي الذي

يلتقي فيه ابن باديس مع رفاقه من النخبة المثقفة والعلماء وأصدقائه وتلاميذه وكل زواره من مختلف الشرائح الاجتماعية ، حيث استغل مالك بن نبي تلك الظروف ليتعرف بدوره على عدد غير قليل من العلماء والمفكرين والشعراء والطلبة من مختلف ارجاء الوطن ومن كلا المدرستين المدرسة الفرنسية وتلامذة الشيخ ابن باديس.

## في قلب باريس

بعد تخرجه من الثانوية الفرنسية إتجه مالك بن نبي مباشرة نحو الحياة العملية ولمعت في رأسه فكرة الذهاب إلى فرنسا للعمل هناك ، لكن مشروعه لم ينجح وعاد إلى وطنه بعد سنتين أي في سنة 1927 ليعين في شهر مارس من نفس السنة في إحدى المحاكم بمدينة آفلوا (ولا ية الأغواط حاليا ) وتولى من موقعه ككاتب بالمحكمة ، توزيع مجلة الشهاب ، وفي سنة 1928 انتقل للعمل بمدينة شلغوم العيد ( ضواحي قسنطينة ) وهي تابع إداريا حالية لولاية ميلة ، ولكنه ما لبث أن ترك الوظيفة نظرا لبعض الصعوبات التي واجهته جراء سوء المعاملة من طرف الإدارة الاستعمارية ، في سنة 1929 بدأت السلطات الاستعمارية الفرنسية التحضير للاحتفال بـ: 100 سنة على احتلالها للجزائر في اجواء من التباهي والاستقزاز ، وكان لهذا المناسبة الأليمة أثر نفسي بالغ على مالك بن نبي ، وفي سنة 1930 أعاد بن نبي الكرة مرة اخرى نحو فرنسا ، ولكن هذه المرة بمشروع أخر وهو مواصلة التعليم العالي في إحدى المعاهد او الجامعات الفرنسية ، ومباشرة بعد وصوله إلى التراب الفرنسي تقدم لإجراء امتحان الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية بباريس ، لكن البيروقراطية الفرنسية ولأسباب سياسية وفكرية عرفت فيما بعد ، صدت في وجهه باب معهد الدراسات الشرقية ، فأتجه مالك بن نبي إلى التسجيل في معهد اللاسيلكي وهو تخصص علمي تقني دقيق بعيد عن ميولاته واهتماماته القريبة من العلوم الانسانية (الأداب والفلسفة أو العلوم السياسية) وكما يقول مالك بن نبي الذي تخصص فيما بعد في دراسة مشكلات الحضارة ، فإنه استغل فترة انتظار نتائج مسابقة الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية ، لزيارة متحف الفنون والصناعات بالعاصمة الفرنسية باريس ، وهناك تعرض للصدمة الحضارية الاولى في حياته والتي كانت سببا في تحديد خياراته ومساره الفكري ، حيث لاحظ عن قرب ما توصل اليه العقل الغربي في ذلك الوقت من تقدم تكنلوجي وتطوير للآلة و تطويعها وجعلها في خدمة البشرية ، ومن خلال عينات بسيطة بمقياس عصرنا اكتشف مالك بن نبي نموذج للقاطرة البخارية والطائرة وهما احدث وسيلة نقل في ذلك الوقت وحتى يومنا هذا ، و ساقه فضوله المبكروربما حاجته إلى ارتياد مطعم شعبي لمعهد مسيحي تديره جمعية تسمى الوحدة المسيحية للشباب البارسيين ، فكانت له فرصة سانحة للتعرف عن قرب على الجانب الروحي للحضارة الغربية وحاول التوغل أكثر فأكثر للتعرف عن قرب عن بعض أسرار الحياة الأسرية والاجتماعية الفرنسية ، فتعرف على مواطن فرنسي مالبثت صداقتهما أن تطورت حتى أصبح مالك بن نبي جزء من تلك العائلة الفرنسية من خلال تلبية دعوات صديقه الفرنسي أو زياراته المتكررة إلى بيته .وهكذا تعرف مالك عن طبيعة الحياة الأسرية الغربية من الداخل واكتشف العديد من أسرارها. شاء القدر أن يكون مستواه الدراسي في إتجاه آخر غر الذي خطط له مالك ، وبعدما حيل بينه وبين معهد الدراسات الشرقية الذي يعتبر في حد ذاته قلعة للاستشراق والفكر الاسلامي في منظور غربي ، ولم يكن له خيار آخر سوى الدخول مرغما "إلى معهد الاسلكي (الالكترونيات) وهنا يمكن ان نطرح سؤالا مهما وهو لماذا لم يتجه مالك بن نبي إلى استكمال دراسته العليا في احدى الجامعات العربية ، الأزهر ، او الزيتونة أو القرويين ؟ ولمذا كان مصرا على الدراسة بالجامعات الفرنسية ؟ ثم هناك سؤال آخر، هل كان مالك بن نبي يملك حصانة فكرية وثقافية ذاتية

تحميه من الذوبان في الثقافة الفرنسية وعدم التأثر بالرؤية الاستشراقية للإسلام التي كانت تصدرها المعاهد والجامعات الفرنسية التي تعني بما نسميه الثقافة الشرقية ؟ أعرف أن العديد من الكتاب والمفكرين المسلمين الذين تخرجوا من هذه الجامعات عادوا إلى اوطانهم بأفكار غريبة هي في حقيقة الأمر صدى للفكر الاستشراقي ومن أمثال ذلك ( طه حسين ) و (محمد أركون) ( محمد عابد الجابري ) خاصة و أن مالك بن نبي لم يدرس مراحله التعليمية الاولى في مدراس جمعية العلماء ، واكتفى بما كانت تلقيه المؤسسة التربوية الفرنسية من معارف وعلوم ممزوجة بخلفية مسيحية علمانية ، لذلك فقد يكون القدر الذي حال دون دخول بن نبي إلى معهد الدراسات الشرقية قد حال بينه وبين الغوص في مستنقع فكري لم ينج منه أي احد دخل فيه ، وهكذا وجد مالك نفسه يدرس رغما عنه في تخصص تقني علمي هو (الالكترونيك) (الرياضيات، الهندسة، الكهرباء، الميكانيك) حيث أصبح يتردد على حي الطلبة المسلمين من المغرب والمشرق ، أين تتحول الغرف والساحات إلى فضاءات للمناقشة وإثارة الأفكار والمشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي ، وفي هذه الحي تعرف مالك بن نبي على مختلف الأفكار التي ظهرت في العالم الاسلامي ، وفي هذه المرحلة المبكرة من حياته إعتنق مالك بن نبي الأفكار الوهابية السلفية وتبنى بعض الآراء الاصلاحية المناقضة للاستعمارن وسنة 1931 تعرف على شابة فرنسية وتزوجها بعدما لمس لديها قابلية ذاتية للاعتناق الاسلام ، وعن ظروف زواجه في فرنسا تقول السيدة زينب مصقالجي ابنة اخته في شهادتها (الشروق 05/مارس/2013) أظن أن ذلك حصل بالفاتحة سنة 1932 وبالعقد الرسمي سنة 1935 حيث اتصل بأمه دون اعلام العائلة وقال لها لقد قررت يا أمي أن أتزوج حتى لا أبقى وحيدا في باريس وردّت الأم بالموافقة والابتهاج ، زوجته الفرنسية التي أصبحت تسمى خديجة أحبّت الجزائر كثيرا وطلبت من زوجها ان تعيش في الجزائر ، كانت جزائرية أكثر من بعض الجزائريات، ترتدي الملاية القسنطينية السوداء ، وتعلمت الطبخ القسنطيني ، هي فتاة باريسية ووحيدة امها التي كانت تسكن بالضاحية الباريسية ، كانت مختصة في الديكور ووالدها متوفى ، تعرفت على خالي بالصدفة في مكتبة عامة بباريس ، كان كلما طلب كتابا قيل له أن قارئه أخدته وكلما طلبت هي كتاب ( عنوان ) قيل لها أن قارئا طلبه ، إهتم كل منهما بمحاولة معرفة هذا الأخر الذي يطلب نفس الكتاب ، فكانت قصة تعارف تحولت إلى حب فزواج ، لكن السيدة الفرنسيسة خديجة التي تزوجها مالك بن نبي لم تنجب له أطفالا ورغم ذلك عاشت معه حتى آخر لحظة من حياته ، غير أنه اعاد الزواج مرة ثانية من سيدة جزائرية انجبت له ثلاث بنات ، اما عن ظروف زواجه الثاني فتقول نفس الشاهدة في نفس المصدر إنه الولد الوحيد في عائلة بن نبي، لقب سينقرض إن لم يرزق خالي بالولد الذكر ، فأختارو له سيدة من مدينة تبسة سبق لها الزواج تدعى السيدة خدوجة حواس ، لها ابن يدعى مقداد ، الزواج تم عام 1961 وكان حينها مالك بن نبي في السادسة والخمسين من العمر، قبل الاستقلال بعدة أشهر، كان يقيم في القاهرة وزوجته الفرنسية تقيم في باريس ، قبل الاقتراح العائلي وتم عقد القران في القاهرة وعاشت معه زوجته الثانية هناك ، ومع الأسف لم يرزقه الله بالذكور، ورزق بابنتين توام سماهما نعيمة وإيمان من مواليد 1962 ثم رزقه الله طفلة ثالثة سماها رحة ثلاث بنات تزوجن من شاميين.

## بداية الوعي

كان الحي اللاتيني أشهر أحياء باريس الذي كتب عنه كبار الادباء الفرنسيين والعرب ، وهناك رواية تحمل نفس الاسم ، يشبه المدينة العالمية المصغرة أو الجامعة الشعبية العالمية حيث تتحرك في جانبه وبين طرقائه وتلاحق كل الأفكار العالمية ، فهو يشبه إلى حد كبير

المدينة العالمية الصغيرة التي تجمع بين جدرانها نتائج بشرية من القرات الخمس ومن كل الاديان والفلسفات ، في هذا الحي التقى مالك بن نبي بشخصيات سياسية وفكرية وادباء وكتاب، سيكون لهم فيما بعد أثر كبير في الحياة السياسية والفكرية ، ومن بين الشخصيات الفكرية التي التقى بها مالك بن نبي وكان لها تأثير كبير في توجيهه الفكري ومساره العام "السيد حمودة بن ساعي الذي فتح عينيه على آفاق جديدة من خلال إثارته لقضايا فكرية وفلسفية واجتماعية شائكة ، عن علاقته بصديقه بن ساعي يذكر الأستاذ مالك بن نبي في مذكراته ( شاهد القرن ) بعض التفاصيل قائلا: لقد أصبت عددا لا بأس به من المؤثرات الموجهة والمعدلة او المرحة ، وينبغي أن ألاحظ من بين هؤلاء واحدة تبدو فريدة ، أعني أثر صديقي "محمد بن ساعي" لم أكن قد عرفته بعد ، فمنذ عام ترك الدراسة قبل أن ينهي دروسه ولكنه ترك وراءه أثر فصديقي ( فضلي ) وهو مثله من أبناء مدينة باتنة كان يحدثني عنه ، كنت أضفي على ما أسمعه منه شيئا من المثالية ف"بن ساعي" الذي كان يكبرني لم يكن مخلصا ذكيا ومثقفا بالعربية والفرنسية فحسب ، بل هو شخص مثالي وقدوة ، فقد ترك في نفسي أثرا خاصا حينما تعرفت عليه شخصيا بعد عدة أشهر ، ففي نزهتنا معه أنا وفضلي بين غابات الصنوبر كنت استمع الى طريقته في توجيه الآيات القرآنية لتتخذ تفسيرا اجتماعيا لحالة المجتمع الاسلامي الحاضر، وكان ذلك يؤثر في نفسي كثيرا (مذكرات شاهد القرن 47) لم يكن عدد الطلبة الجزائريين في الحي اللاتيني كبيرا ، إذ لم يصل بعد إلى باريس الجيل الذي منه أصدقائي، بن ساعي وعلي بن أحمد وبن شيكو وعمر عباس ، فلم يتبعني في الحلبة إلا طالب الحقوق بن عبد الله بدافع الولاء والصداقة أكثر من الدافع الفكري أو السياسي ، وفي نهاية الجلسة صاحبته إلى غرفته وفي الطريق عرض علي أفكاره وعرضت عليه أفكاري في الأمور التي كانت موضوع الحديث في الأوساط الطلابية ، فوجدت أننا على وتيرة واحدة في أهميتها و إن كان لفت بعض نظري التحفظ عند صديقي بالنسبة للإصلاح والوهابية ، كان صديقي لا ينتظر منهما المعجزات وكنت أراهما معجزتين وما عادا اختلافنا في درجة التفاؤل والتشاؤم ، كنا من مشرب واحد فيما يخص دور الاسلام في النهوض بالشعوب الاسلامية ، ودور الطالب في هذه النهضة ، ومن أجل ذلك قررنا أن يتولى صديقي جمع المعلومات والوثائق ، لأن ذلك في نطاق عمله بوصفه طالب فلسفة يتردد يوميا على المكتبات ، لم أكن أعلم إذ ذاك أي العمل الجماعي بما يفرض من تبعات ، إنما هو من المقومات التي فقدها المجتمع الاسلامي ثم لم يسترجعها بعد ، خصوصا بين مثقفيه وكنت أجهل أيضا أنّ صديقي كان يعاني من حالة عدم اتزان مشؤوم ويجمع بين طموح جبار وإرادة واهية ، ولكنه مع ذلك كان الوحيد من جيلي الجزائري الذي استطيع العمل الفكري معه ، لأن شيطان المعرفة قد إستولى عليه منذ صباه ، حتى أني أعتقدت تلك الليلة أننا سنقوم بعمل سيبقى أثره في يالمجتمع الجزائري ، لكن بعد أربعين سنة عندما تعود لي اليوم بعض ذكريات تلك الفترة ، أدرك أنني على أية حال أدين له ... حمودة بن ساعي باتجاهي كاتبا متخصصا في شؤون العالم الاسلامي ، حتى أنني لم أنجز معه أي عمل بعيد المدى ، يجب أن أقول أنني أنجزت معه كل الأعمال اليومية الخاصة بالطلبة المغاربة بالحي اللاتيني ، في الوقت الذي بدأت في وسطهم الإرهاصات المبشرة بظهور الحركات الوطنية (ص:234-236) بقي حمود بن ساعي وفيا لعشائنا يوم الجمعة ، وكان يستعذب مثل تلك الأكلة التي تقدمها لنا خديجة من عدس ولسان الضأن اشفاقا على كيسها المتواضع كان لي غرض يشاركني فيه حمودة بن ساعي ، هو أن نكون نحن الاثنان الوارثين لجمعية العلماء بعد دراستنا ، لأننا نظن في أنفسنا الجدارة لخوض المعركة السياسية مع المحافظة على الخط الإصلاحي ونتائجه في الوطن ، الأمر الذي كنا نختلف فيه تمام مع المثقفين الآخرين.

## التخرج

في سنة 1935 أنهى مالك بن نبي دراسته في معهد الالكترونيك وتخرج بدرجة مهندس ، لكن عراقيل ومتاعب كبيرة كانت في انتظاره ، حيث لم يشفع له توجهه العلمي الدقيق وتخليه عن الفكر والفلسفة ظاهريا ، الحصول على الديبلوم ومنعه من السفر إلى دول المشرق العربي ، ورفض طلباته للمشاركة في مختلف المسابقات التي كانت تعلن عنها الإدارة الفرنسية ، وفي سنة 1936 زار وفد المؤتمر الإسلامي فرنسا ، وهناك التقى بهم بن نبي حيث كان معارضا لهذه الزيارة من الناحية الشكلية ، وفي هذه الفترة حاول مالك أن يستفيد من كل التيارات السياسية والفكرية التي كانت ممثلة في باريس بصفة عامة وبالحي اللاتيني بصفة خاصة ، حيث كانت ولا تزال العاصمة الفرنسية باريس "عاصمة لكل الثقافات العالمية الفرنسية الغربية والعربية الاسلامية والتركية والصليبية" وكانت تأوي جموعا من الطلبة من الجهات الأربع للعالم ممثلين لمختلف الثقافات والأفكار ، فكان الطلبة الجزاريون والمغاربة والمشارقة والصينيون والهنود والفيتناميون ، في تلك الأثناء تم تعيين مالك بن نبي مشرفا على نادي المؤتمر الجزائري الاسلامي الذي افتتح بمدينة مارسيليا كواجهة أو فضاء ثقافي تربوي لتوعية وتوجيه الجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا ، لكن الإدارة الفرنسية التي أدركت بسرعة خطورة هذه المؤسسة وتأثيراتها المستقبلية على الرأي العام العربي الاسلامي المتواجد في فرنسا أسرعت إلى إغلاقه ، وفي شهر مارس سنة 1939 قرر مالك بن نبي العودة إلى الجزائر بعد يأسه من الحصول على عمل محترم بفرنسا ، وفضل الركون إلى الراحة والتامل وعدم الدخول او المشاركة في الجدل السياسي والفكري الذي كان قائما على أشدّه في الجزائر ، سواء بين أجنحة الحركة الوطنية السياسية والاصلاحية أو بينها وبين الادارة الاستعمارية ، التزم بن نبي نوعا ما الحياد الإيجابي ، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية قرر العودة إلى فرنسا على امل التفرغ للنشاط الثقافي والفكري ، وبفرنسا أعاد تمتين صلته السابقة بعدد من المفكرين والباحثين والمستشرقين والصحفيين الفرنسيين وتحصل على عمل كصحفي بجريدة ( العالم ) لوموند الفرنسية .

## الظاهرة والإنجازات

يعتبر المفكر مالك بن نبي صاحب كتاب "الظاهرة القرآنية" والمؤلفات العديدة في حد ذاته ظاهرة فكرية ميزت الفكر الاسلامي في القرن العشرين ، حيث تمكن مالك بن نبي طول التجول والسياحة الفكرية الاسلامية والعربية الممتدة عبر عدة قرون ، وبعد توقف إضطراري هنا وهناك للدراسة والتأمل والاستنتاج أن يختار لنفسه منهجا خاصا ويكون مذهبا فكريا مميّزا ، أصبح فيما بعد يشكل في تاريخنا الحديث مدرسة فكرية قائمة بذاتها ، تحاول الاستفادة من الموروث الحضاري الاسلامي العريق واحتواء التصورات العلمية والثقافية الحاصلة في العالم العربي ، كما كانت كل جهوده الفكرية تصب نحو هدف واحد وهو أن الاسلام بكل شموليته وتنوعه وتراثه ، يبقى دائما صالحا لقيادة المسلمين ولبناء حضارة جديدة إذا توفرت شروط ذاتية وموضوعية للمسلمين المعاصرين ، كما توفرت للسلف الصالح للذين تمكنوا من إقناع العالم بأخلاقهم قبل أفكارهم بأن الإسلام هو آخر رسالة سماوية من الله إلى الناس اجمعين وفيه خلاصة جميع الاديان السماوية ، وفيه كل مقومات السعادة البشرية في الدنيا وفي الآخرة ، لم يكتف مالك بن نبي بإثارة الاسئلة وطرح الاشكالات الفكرية والفلسفية ، كما هو الشأن بالنسبة للفلاسفة ، ولم يكتف بتعرية الواقع واكتشاف الاخطاء ، بل حاول ان يقدم إجابات عن تلك الأسئلة وحلول للعديد من المشاكل التي يتخبط فيها العالم الاسلامي ، عبر سلسلة من الكتب بدأها بكتابه الرائع ( الظاهرة القرآنية ) ومنذ بداية مرحلة التفكيسر والوعي أدرك بن نبي أن

لا جدوى من الصدام مع الأنظمة الحاكمة في العالم الاسلامي ، وفضل أن يؤدي رسالته بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبذلك نجح في بناء جسور محبة وود مع العديد من رؤساء وملوك الدول العربية والاسلامية ، حيث إحتضنته القاهرة وتبنّى أفكاره الرئيس جمال عبد الناصر الذي وجد في أفكاره وطريقة عرضه وتسويقه لمشروعه الفكري بديلا عن أفكار وأسلوب سيد قطب التصادمي ، وبعد استقلال الجزائر وجد في النظام الجزائري "بن بلة ، بومدين" خضنا دافئا حيث أصبح من المقربين إلى الرئيس بن بلة ثم الرئيس هواري بومدين من بعده .

## باكورة أعماله الفكرية

تمتع مالك بن نبي بباريس بعد معاناة سابقة ، بفترة من الاستقرار المادي والنفسي ، ووجد في تلك الأجواء الباريسية الهائدة ما ساعده على التفكير في انتاج أولى اعماله الفكرية وهو كتاب "الظاهرة القرآنية " الذي ألفه باللغة الفرنسية ، وهو يشكل محاولة للفت الانظار وتنبيه النخب الثقافية والعلمية في الغرب وفي العام الاسلامي إلى القرآن الكريم ، آخر الرسالات السماوية ويحاول الغوص في مكوناته واستخراج ما يمكن من حلول لمشكلات العام المعاصر وفي نفس الفترة توالت مؤلفاته فأصدر" شروط النهضة ، ووجهة العالم الاسلامي. في سنة 1951 تعرض مالك بن نبي إلى مضايقات من طرف الجمهورين وهم في الغالب الاعم من اليهود أو من المتعاطفين مع الأفكار الاسرائيلية ، فغادر العاصمة الفرنسية باريس في اتجاه قرية صغيرة تبعد عن باريس بـ:120كلم تسمى "درو" وبين سنتي 1952/1951 زار بلاده التي كانت تعيش إرهاصات ما قبل الثورة ، حيث كانت الصراعات الأيديولوجية و الفكرية على أشدها بين جناحي حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وشهدت تلك الفترة ظهور الأطروحة البربرية واكتشاف المنظمة السرية ، فعبّر عن رأيه في تلك الوضعية بقوله "كانت الفئة المثقفة تمر بمرحلة التهور، لا التطور ، وطالب بضرورة عقد مؤتمر وطني جامع تحضره كل أطياف المجتمع السياسي والفكري لمناقشة الازمة السياسية واتخاذ موقف حاسم من الظاهرة الاستعمارية.

## مع الثورة الجزائرية

كان مالك بن نبي من المثقفين الجزائريين الكبار الذي تنبهوا مبكرا لخطورة الظاهرة الاستعمارية ، باعتبارها عامل سلبي في طريق النهضة العربية الاسلامية ، وقد ذكرنا في أجزاء سابقة من هذه السلسلة أن مشكلة الثورة الجزائرية منذ البداية أنها قامت على قطيعة متعددة للنخبة المثقفة ، وعملت على إقصاء رموز الفكر الجزائري المعاصر ، ربما بدافع الخوف من الزعامة ، أو استنساخ تجربة مصالي الحاج الذي لم يكن مثقفا بالمعنى الكامل لكلمة الثقافة ، ولذلك بقيت ثورة نوفمبر التي قهرت الاستعمار الفرنسي من دون زعامة فكرية أو سياسية ، كان مالك بن نبي لا يزال مقيما بفرنسا وفي شهر أفريل من سنة 1955 عقد مؤتمر باندونغ الذي حاول التأسيس لفكرة القوة الثالثة وعدم الانحياز ، وجمع حوله رؤساء دول وحكومات كانوا يحتفظون ظاهريا على مشروع المحاور والتكتلات ، حيث شهد العالم في ذلك الوقت انقسام بين كتلتين شرقية بقيادة الإتحاد السوفيتي وغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أوحت له فكرة مؤتمر عدم الانحياز الذي سيسجمع العديد من الدول الأفروأسيوية مشروع كتاب "الفكرة الإفريقية الأسيوية" وهو ما أصبح يعرف في الأدبيات السياسية والإعلامية بكتلة العالم الثالث ، حيث تيقن مالك بن نبي بفكره الثاقب أن العالم الاسلامي بتاريخه وجغرافيته وثرواته وتراثها العقائدي والفكري والسياسي ، هو مركز ثقل

العالم الثالث ومن هنا برقت في ذهنه فكرة "القوة الثالثة" التي تقف بمسافة واحدة بين الكتلتين أو القوتين الشرقية والغربية ، وفي هذا الكتاب دعوة إلى التكتل والتعاون بين شعوب أفريقيا وآسيا لمواجهة أطماع السوفيات والأمريكيين ، ومعلوم أن العالم الإسلامي يشمل سكان قارتي آسيا و إفريقيا ، كما أ أكبر الدول الاسلامية تقع في كلتا القارتين ، وبآسيا تقع أكبرالدول التي تنتمي إلى ما يعرف بالحبس الأصفر، وهم جنس شرقي أقرب إلى المسلمين في بعض عاداتهم وتقاليدهم من الغرب وهما الصين واليابان ، وربما تنبه مالك بن نبي مبكرا إلى ضرورة تكثيق التعاون الاسلامي الصيني واليباني ولذلك نجد أن اغلبية دول العالم الاسلامي تحرص على تمتين علاقاتها الاقتصادية بالصين واليابان و أقرب مثال على ذلك هو الجزائر، في هذه السنة 1956 قرر مالك بن نبي مغادرة فرنسا في اتجاه القاهرة ليعيش كلاجئ سياسي و كان على كامل الاستعداد للمساهمة في الثورة التحريرية بأي شكل من الأشكال ، وبفرنسا ترك هناك زوجته الفرنسية في قرية "دور" وظلت علاقته بها لا تتعدى الرسائل وقد أوضح مالك اهم هدفيتن من اختياره القاهرة في إمكانية المشاركة في الثورة وفي السعي لطبع ونشر كتابه "الفكرة الأفريقية الأسيوية" ، أما على تحقيق الهدف الأول فقد سلم مخطوط كتابه إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي أمر وزارة الثقافة بطبعه ونشره ، و في نسخة من الكتاب موجودة بالمكتبة الوطنية المصرية كتبت الملاحظة التالية "هذا الكتاب لا يسلم إلى القراء بمعنى أن عدد النسخ التي طبعت منه كانت جد محدودة ولم توزع مجانا على نطاق نخبوي ضيق " وربما قدمت كهدايا رمزية لبعض المؤسسات والإدارات ، أما عن الهدف الثاني من لجوئه إلى القاهرة ، فقد وضع مالك بن نبي نفسه تحت تصرف الوفد الخارجي الذي كان يقوده أحمد بن بلة بمساعدة آيت احمد ومحمد خيضر، وقد طلب بصفة رسمية الانضمام إلى صفوف الثورة للعمل كممرض ، وكمؤرخ لكن قيادة الثورة لم ترد على طلبه سواء بالإيجاب او بالسلب ، وفيما يلي نص الرسالة التي بعث بها مالك بن نبي إلى قيادة الثورة بالقاهرة "الوفد الخارجي"، بمجرد وصولي إلى القاهرة وضعت نفسي تحت تصرف من يتكلم باسم الثورة الجزائرية ولم أقتنع بالعرض الشفاهي ، بل كتبت إلى المسؤولين هذا الخطاب الذي أترجمه بالحرف ، القاهرة في 1 سبتمبر 1956 إلى السادة ممثلي جبهة التحرير الجزائري بالقاهرة ، إنني حضرت إلى القاهرة للقيام بواجبين : أحدهما يخص مهمتي ككاتب يريد نشر كتابه "الفكرة الأفريقية الأسيوية" وقد يدلكم عنوانه على صلته بالقضية الجزائرية ، سواء اعتبرناها من الناحية الداخلية كتوجهات تخص الكفاح ، أو من الناحية الخارجية كنشر هذه القضية في المجال الدولي ، وبخصوص هذا الواجب فقد قمت به بالقدر المستطاع حيث أنني وضعت كتابي في أيدي من سعى بنشره ، حتى أني أعتبر نفسي متحررا في المستقبل من مسؤولية هذا النشر ، أما الواجب الثاني الذي حضرت من أجله إلى القاهرة ، فهو يتعلق بشخصي كجزائري ساهم في الكفاح ضد الاستعمار منذ ربع قرن ، ويأتي الآن ليواصل هذا الكفاح تحت راية الثورة الجزائرية ، وأعتقد أنني إذا وجهت داخل الجزائر كممرض عسكري في جبهة القتال ، أستطيع في نفس الوقت أن أقوم بكتابة تاريخ الثورة الجزائرية على طريق المشاهدة تقريبا، كما أعتقد أنه يفيد أن أوجه بهذه المناسبة خطابا مفتوحا إلى رئيس الوزراء الفرنسي ، حتى يعلم ما هي الأسباب الانسانية التي تدفع بكاتب جزائري في المعركة ، وقد يتساءل الآن القارئ لماذا يأتي رد؟ فربما اعتقد المسؤولون أن الثورة الجزائرية ليست في حاجة إلى تطوعي، وربما فكروا أن مؤهلاتي ليست كافية ... (من كتاب في مهب الريح ص80 ) السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو لماذا لم توافق قيادة الثورة أو ما يسمى بالوفد الخارجي بالقاهرة ، على طلب إنضمام مالك بن نبي إلى صفوف الثورة ، مع أنه اقترح سوى أن يكون ممرضا ومؤرخا للثورة ، لقد سبق أن ذكرنا بأن قيادة الثورة بالداخل التي كان يشرف عليها محمد بوضياف كانت معقدة من النخبة المثقفة ، وكان لديها مركب نقص ولذلك عرضت قيادة

الثورة على عدد من المثقفين (عبد الحميد مهري، الامين الدباغين و غيرهما ) لكنهم رفضوا لاحساسهم بأن وجودهم في واجهة الثورة قد لا يقدم ولا يؤخر ، وربما كانوا متحفظين على طريق الإعداد للثورة من الناحية التنظيمية على الأقل ، حيث كان من المفروض اشراك النخبة المقفة بالداخل والخارج ، في كل الخطوات بدءا من تحضير مسار الثورة الى إنتخاب المجلس الوطني ث، م الهيئة التنفيذية والوفود الخارجية ، ولذك نلاحظ منذ البداية أن منسق الثورة (محمد بوضياف) كان ينظر إلى النخبة المثقفة لمجرد ديكور وواجهة اعلامية ليس إلا ، ولذلك قام باستبعاد رموز الاتجاه الاسلامي وهم في ذلك الوقت أعضاء جمعية العلماء وكان من أبرز وجوه الجمعية المتحفزين للجهاد والعمل الثوري الشيخ العربي التبسي ، وعندما ذهب بوضياف إلى القاهرة اكتفى فقط باطلاع بن بلة وآيت احمد وخيضر بقرار وتوفيت اعلان الثورة وتجاهل ممثلي جمعية العلماء البشير الابراهيمي والفضيل الورثيلاني ، ولذلك عندما نستعرض قائمة أعضاء لجنة الـ 22 أو حتى المجلس الوطني للثورة الذي تأسس فيما بعد ، نجد أن عدد الأعضاء المحسوبين على النخبة المثقفة جد قليل ، ولكن هناك اشكالية أخرى وهي أن الوفد الخارجي الذي لم يوافق على طلب انضمام مالك بن نبي إلى صفوف الثورة ولم يرد على طلبه سواء بالايجاب أو بالسلب، لم يحاول استثمار شخصيته و أفكاره وثقافته وعلاقاته مع النخب الفرنسية والعربية لصالح الثورة ، وربما يكون البعد الاسلامي في فكر مالك بن نبي هو الذي كان عائقا أمام اندماجه الطبيعي في صفوف الثورة سواء كجندي بسيط أو كمؤطر للثورة ، وحتى بعد الاعلان عن المجلس الوطني للثورة لم يكن للنخبة المثقفة أي حضور باستثناء المفكر والمؤرخ أحمد توفيق المدني ، حيث تم إقصاء البشير الابراهيمي والفضيل الورثيلاني ومالك بن نبي الذي رغم نرجسيته التي استمدها من أجداد الأتراك وموقعه في الساحة الفكرية العالمية ، فقد أبدى تواضعا كبيرا أمام الثورة ولم يقترح أن يكون في الصفوف الأولى ولكنه اكتفى بمرافقة الثوار في الجبال كممرض يمارس موهبه المفضلة وهي الكتابة كمؤرخ أو كصحفي ، وفي نفس الوقت سعت قيادة الوفد الخارجي لتقريب كاتب شيوعي فرنكوفوني مغمور هو مصطفى لشرف الذي وضع بصماته في كل مواثيق الثورة من برنامج طرابلس الى ميثاق 1976، وكما إستبعدت قيادة الثورة رموز النخبة الثقافية الاسلامية من المساهمة في الثورة ، أبعدتها من المساهمة في كتابة مواثيق الثورة ونصوصها ، ولذلك يؤكد مالك بن نبي كما يؤكد غيره أن الثورة الجزائرية انطلقت عمليا مجردة من أية مرجعية فكرية وسياسية ، ولم تحاول ترجمة أهم المبادئ التي وردت في بيان أول نوفمبر، ولولا وجود هذه الفقرة التي حددت بدقة أهداف الثورة في بناء جمهورية ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة ضمن إطار المبادئ الاسلامية ، و هي الفقرة التي تنصل منها الثوار بعد مؤتمر الصومام ، ثم تأكيد التنصل منها في مؤتمر طرابلس ، و في كل المواثيق التي تم صياغتها بعد الإستقلال .

## في القاهرة

في سنة 1956 قرر مالك بن نبي مغادرة الريف الفرنسي والإستقرار بالقاهرة ، التي كانت هي الأخرى عاصمة الثقافة العربية الاسلامية وملتقى لكل المثقفين والمفكرين العرب من المغرب والمشرق ، إستقر مالك بن نبي في بداية قدومه إلى القاهرة في المساكن المخصصة للطلبة العرب ثم مسكنا مستقلا ، ومن هنا بدأ نشاطه الفكري من خلال تنظيم ندوة فكريرة أسبوعية ببيته أيام الجمعة وندوة أسبوعية أخرى بالحي الجامعي ، وندوة ثالثة خاصة بالجزائريين يقدما بنادي الطلبة الجزائريين ، وكانت معظم محاضراته تدور حول محور ( مشكلات الحضارة ) وهي من دون شك محاولة غير مسبوقة شكلا ومضمونا ، حيث لم يعرف الفكر

الاسلامي منذ ابن خلدون طرح مثل هذه الاشكالية الفكرية المرتبطة بالواقع ، وفي هذه الفترة تنبه مالك بن نبي إلى ترجمة مؤلفاته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية مستفيدا من خدمات الكتاب والمفكرين العرب ، عبد الصبور شاهين، عبد العظيم بن علي، عمر كامل مسقاوي ، ونلاحظ أنه عاش طيلة هذه الفترة أي من من 1956 إلى 1961 بعيدا عن زوجته الفرنسية الأصل والتي تركها في الريف الفرنسي، واستغل مالك بن نبي وجوده في القاهرة لتسويق أفكاره الجديدة التي يشهد لها الجميع أنها كانت سابقة للعصر بمئات السنين ، كما قام في تلك الأثناء بزيارات إلى دول المشرق العربي حيث ألقى محاضرات ونظم ندوات والتقى بالنخب المثقفة في الجامعات والمعاهد ، حيث واصل اصدار سلسلة كتبه فكان مؤلفه القيم الذي يحلل فيه إشكالية الثقافة ، عن الفترة التي عاشها مالك بن نبي في القاهرة و يومياتها يقول الدكتور عمار طالبي أول رئيس لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية بقسنطينة ، ونائب رئيس جمعية العلماء المسلمين في شهادة له نشرت بيومية الشروق (20 مارس 2012) في عام 1958 كنت أدرس في كلية الأداب بجامعة القاهرة في السنة الاولى عندما حدثني زميل لي يدعى معمري عن المفكر مالك بن نبي ، فقررت مرافقته إلى بيته في منطقة المعادي بضواحي القاهرة ، حيث أجر مالك بن نبي شقة ، وجدت هناك الدكتور أحمد المبارك وهو من الشام وأصله من مدينة دلس ( ولاية بومرداس حاليا ) أبهرني فكر مالك بن نبي من أول لقاء حيث وجدته يناقش علميا حديث "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" كنت أستمع إلى الرجل دون أن أخوض في الكلام ، وعلمت ان الدكتور مبارك كان في زيارة مجاملة لمالك بن نبي ، وعندما انتقل إلى مصر الجديدة صرت أزوره باستمرار ثم داومت على حضور ندواته الأسبوعية في القاهرة كل يوم جمعة بعد الصلاة ، كان يحضر الندوة قرابة العشرين طالبا وأستاذا من كل بقاع الدنيا من اندونيسيا شرقا إلى المغرب الأقصى ، كان هناك اجماعا على أنه عبقري وسابق لعصره كان يحلل المشكلات تحليلا علميا، ويحلل الظواهر الاجتماعية كما يحلل المعادلات الكيميائية ويصوغها بطريقة رياضية على منهج على منهجه الخاص . ألقى محاضرة عن الديمقراطية والاسلام تحدثت عنها كل مصر وأثارت اهتمام كل الفعاليات ، واعترف كل من استمع إليها أنه لم يسمع تحليلا مثيلا لتحليل مالك بن نبي ، مرة ألقى محاضرة أمام الطلبة اللسطينيين انتقد فيها الماركسية وقال القيم الانسانية هي التي تنتج القيم الاقتصادية وليس بالعكس ، فأثار غضب الماركسيين ووصفوه بالظلامي.

## إهتما م مصري بالمفكر مالك بن نبي

في الوقت الذي تجاهلت قيادة الثورة بالداخل وبالخارج المفكر الاسلامي الجزائري الكبير ولم تمنحه ولو عضوية شرفية في مؤسسات الثورة (الوفد الخارجي، المجلس الوطني للثورة، الحكومة المؤقتة) نجد الحكومة المصرية تحتضن المفكر مالك بن نبي وتوفر له دعما مادّيا ومعنويا . حيث تزامن وجود مالك بن نبي في القاهرة ، مع انقلاب العسكر بقيادة "السارجان" جمال عبد الناصر على اللواء محمد نجيب ، ثم توتر علاقة العسكر مع جماعة الاخوان المسلمين ، التي كانت من الحلفاء الذين قدموا قاعدتهم الاجتماعية للنظام الجديد وساهموا بشكل كبير في نجاح ثورة 1952 التي أطاحت بالنظام الملكي ، وحسب ما تذكره العديد من الشهادات التاريخية فإن حالة التوتر التي اندلعت بين العسكر و الإخوان في مصر كانت مفتعلة من أجل التخلص من تبعات تحالف غير طبيعي بين مجموعة من العسكر لا تؤمن سوى بالقوة ، ونخبة اسلامية تتطلع لاستعادة مجد الإسلام في قيادة المسلمين .

## نشاطه الفكري و الدعوي

كانت نشاطاته الفكرية و الدعوية بعد تفرغه ، أكثر عمقا و حيوة من الفترة السابقة ، حيث تمكن بمجهوداته الذاتية من تطوير علاقته بالغة العربية لدرجة الإتقان و التحكم الجيد نطقا و كتابة ، بحيث تخلص من الحاجز النفسي الذي كان يمنعه من مواجهة اللغة العربية وجها لوجه ، ولم يعد بحاجة الى وسطاء لنقل أفكاره من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية ، فكانت باكورة أعماله باللغة العربية كتاب ( الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ) الذي ألفه سنة 1960، ثم كتاب ( حديث في البناء الجديد ) الذي غير عنوانه في طبعة جديدة الى ( تأملات ) ... عاش مالك بن نبي بطبيعة الحال كغيره من الجزائريين فرحة الإستقلال ، كما عايش فترة الصراع على السلطة بين الأجنحة و الإخوة الثوار ، فكان كعادته ذكيا و لبقا في توجيه ملاحظاته السلطة التي إستلمت مفاتيح حكم البلاد من المستعمر الفرنسي ، وأستطاع أن يمرر رسالته الى بدبلوماسية ناعمة ، و وضع أصابعه على الجراح العميقة التي لا تزال تنزف منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا ، و أهم تلك الجراح هو قضية المرجعية الإسلامية للدولة كما حددها بيان أول نوفمبر ، كما عاب مالك بن نبي على النظام الجزائري ، ومختلف الحكومات المتعاقبة تذبذب إتجهاتها السياسية و الإقتصادية بين الشرق و الغرب أي الإتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما قال في أواخر حياته (هذه النخبة . يقصد رجال الحكم ـ تقف مجرد موقف إختياري بين ليبرالية آدم سميت و سادية كارل ماركس ، و كأن ليس للمشكلات الإقتصادية سوى الحلول التي قدمها هذا أو ذاك ) و رغم موقفه المتحفظ من السلطة الجزائرية ، تمكن بن نبي من بناء علاقات طيبة مع رموز الدولة الجزائرية ، و من جهتها حاولت السلطة الإستفادة من أفكاره قدر الإمكان فعينته رئيسا للجامعة الوحيدة في الجزائر في ذلك الوقت ، ثم مشرفا عاما على التعليم العالي ، ثم عرضت عليه منصب سفير الجزائر بإيطاليا لكنه رفض العرض ، و في سنة 1967 إستقال بن بن نبي من وظيفته الرسمية و تفرغ للعمل الفكري و الدعوي.

## يوميات مالك بن نبي

نستقي يومياته من ثلاثة ( 3 ) مصادر و هي شهادات مختلفة نحسبها موضوعية و ذات مصداقية و هي: شهادات السيدة : الحاجة زينب مصقالجي ، إبنة أخت المفكر مالك بن نبي ، الدكتور عمار طالبي أستاذ الفلسفة و أول رئيس لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ، و هو رفيق مالك بن نبي في القاهرة و أحد تلامذته الذين لازموه الى غاية لحظات وفاته ، السيد: محمد رفعت الفنشي ( صديق المفكر و هو ليبي الجنسية ) ، فعن علاقة بن نبي بالنظام الجزائري تقول السيدة زينب مصقالجي في شهادتها التي نشرت متسللة في يومية الشروق بداية من عدد 5 مارس 2013 ( بن بلة كان في إستقباله بالقاهرة رفقة المرحوم محمد خيضر ، و عندما تسلم بن بلة الرئاسة ، كان يجتمع به يوميا ، و يدعوه لتناول طعام العشاء معه في منزله القريب من مقر الرئاسة ، و كان أقرب الناس إليه المرحوم عبد الرحمن شيبان وزير الشؤون الدينية السابق ، و عمار طالبي ، لكن الذي قدم الكثير لمالك بن نبي هو الأستاذ الشيخ أبو عمران . أستاذ فلسفة و وزير سابق و رئيس المجلس الإسلامي الأعلى حتى وفاته ـ .. علاقته مع الرئيس هواري بومدين كانت كذلك طيبة حيث شجعه على تنظيم دروس و محاضرات حرة في غرفة الإستقبال بمسكنه ، يومي السبت و الأحد ، للمعربين و المفرنسين ، كما تبنى فكرة ملتقيات الفكر الإسلامي ، و تذكر بعض المصادر أن الرئيس بومدين منحه فيلا واسعة و راقية بالعاصمة و سمح له بإلقاء محاضراته في العديد من الثكنات العسكرية ، أما الدكتور عمار طالبي فيقول ليومية الشروق عدد 20 مارس 2013( سلمني

مالك بن نبي منشورا و طلب مني تسليمه لأحد الضباط ، إطلع عليه الدكتور عبد العزيز خالدي فاعتبره مشروع دولة قوية ، المنشور كان يدعو الجيش و الحكومة لإعطاء الكلمة للشعب ، و مازالت النسخة العربية موجودة عندي و قد نشرته أسبوعية الشروق العربي في التسعينيات .. قرر مالك بن نبي العودة سنة 1963 واستقر في العاصمة و ليس في مدينة قسنطينة ، ثم أنتظر طويلا و أقنعت المسؤولين بفتح المجال لمالك بن نبي لإلقاء محاضراته ، و كان الأمين العام لجامعة الجزائر في ذلك الوقت المرحوم الهاشمي تيجاني ، قمنا بتعليق الملصقات التي تعلن عن المحاضرة ، و عندما حان وقتها تغيب الهاشمي تيجاني فطلبت من الشاذلي مكي تقديم ضيف جامعة الجزائر ، فقال: كلمة مختصرة جدا . مالك بن نبي لا يحتاج الى تقديم ، و كانت الجامعة حينها ملتهبة باليساريين ، ثم قرر تنظيم ندوة أسبوعية بيته بمعدل محاضرتين إحداهما بالغة العربية و أخرى باللغة الفرنسية ، و داوم عليها لمدة عشر ( 10 ) سنوات ... الماركسيون كانوا يجهرون بعدائهم لمالك بن نبي ، يقاومونه و يبذلون المستحل لمنع محاضراته ، ليفاجئهم بعد ذلك بملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي و كانت على مدار تلك الحقبة ، أهم تجمع للعلماء المسلمين ... تم تعيين مالك بن نبي في سنة 1967 مديرا لتعليم العالي لكنه لم يستمر في منصبه سوى بضعة أشهر فقط ، و يوضح الدكتور طالبي موقف بن نبي الغامض من جمعية العلماء المسلمين و من رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس قائلا لنفس المصدر ( رأي المفكر بن نبي في الشيخ إبن باديس واضح جدا في المقدمة التي كتبها في كتاب حياة و آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فقد قال: أنه لم يفهم الرسالة الباديسية في بادىء الأمر ، ربما لأنه كان شابا ، و أعترف أنه كان يقرأ إفتاحيات الشيخ عبد الحميد بن باديس بإستمرار في صحيفة الشهاب ، و كان يجد فيها متنفسا و داعما للنهضة ، لأن ما قام به الشيخ بن باديس كان زمن قطف ثماره بعيد المدى ، مع الإشارة الى أن الرجلين إلتقيا مرتين ، المرة الأولى في قسنطينة بمكتب الشيخ بن باديس ، و المرة الثانية في الفندق الكبير بباريس فرنسا ، أما الشاهد الثالث السيد رفعت الفنيشي ، فيروي في حوار قصير مع يومية الخبر ، عدد 11 جانفي 2012 بعض ما علق بذاكرته من صور و مشاهد صداقته الطويلة مع المفكر مالك بن نبي ( الناس عادة يلعنون الإستعمار ، لكن مالك بن نبي يتكلم عن شيء آخر ، يتكلم عن القابلية للإستعمار ، الناس تطالب بالحقوق و بن نبي يركز على القيام بالواجبات ، على أساس أن الحق هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب ، الناس يتحدثون عن مشكلة أعراض و بن نبي يرى أن المشكلة هي مشكلة حضارة ... تعرفت على مالك بن نبي عن طريق الترجمة العربية لكتابه ( وجهة العالم الإسلامي ) لشعبان بركات ، و رغم أن الترجمة لم تكن جيدة ، إلا أن الأفكار ملفتة للنظر ، كنت طالبا في جامعة القاهرة سنة 1955 و في سنة 1956 وصل الأستاذ مالك الى مصر ، و أثناء ذلك نشر الصحفي و رئيس تحرير مجلة روز اليوسف إحسان عبد القدوس ، حوارا صحفيا عنوانه . فيلسوف الجزائر يتحدث عن الإسلام و القابلية للإستعمار ، فقرأت هذا الحديث و كان ملفتا للنظر ، و بعد لقائي بمالك إستمرت علاقتنا معا الى غاية وفاته ، و لدي مراسلات كثيرة منه ، سلمت جزءا منها الى الأستاذ عمر مسقاوي لأنه يملك أرشيفا كاملا للمفكر ، و سأسلم الجزء الباقي لمصلحة الأرشيف الجزائري ... لا أعتقد بوجود عالم إجتماع بقيمة مالك بن نبي في العالم الإسلامي ، فالرجل أثار قضايا أساسية و هو ر جل مبدع ، ولم يكن مجرد كاتب محترف )

## ملتقيات الفكر الإسلامي

من بين المقترحات التي إقترحها مالك بن نبي و تبنتها الحكومة الجزائرية ، بعد سنوات قليلة من إسترجاع السيادة الوطنية ، ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي ، و تم تنظيم أول ملتقى بثانوية

عمارة رشيد بالجزائر العاصمة ، دعي له كبار العلماء و الدعاة و النخب الفكرية من مختلف الدول الإسلامية والإتجاهات و المذاهب ، ، و حضر بعض الملتقيات فلاسفة و كتاب من الغرب ، و كان واضحا أن الهدف من المشروع هو إحياء و إعادة بعث الفكر الإسلامي ، و تقديمه الى الأجيال الجديدة ، في ثوب جديد و جذاب ، و قد شكلت الفكرة أو المشروع تحديا كبيرا للنخب السياسية و الفكرية اليسارية و البربرية التي كانت تحلم بفصل الجزائر عن مجالها الطبيعي العربي الإسلامي ، و تحويلها الى دولة فرنكوفونية بربرية ، تحولت ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي من مجرد فكرة الى واقع حقيقي ملموس و مشروع دولة ، بعدما تبنته و دعمته الحكومة الجزائرية و أوكلت مهمة تنظيمه سنويا الى وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، لكن تم تعديل العنوان ليصبح ملتقي الفكر الإسلامي ، و إستمر إنعقاده بإنتظام كل سنة ، و تحول الملتقى الى جامعة صيفية سنوية تعتقد في كل مرة بإحدى ولايات الجزائر ، و حسبما ذكر الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في تصريحاته لقناة الجزيرة فإن الرئيس هواري بومدين أمر الأستاذ مولود قاسم بصفته وزيرا للتعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، بدعوة كل عالم أو مفكر أو منظر مسلم مضطهد في بلاده و لا يستطيع التعبير عن وجهة نظره بكل حرية ، لحضور ملتقيات الفكر الإسلامي ليتكلم بكل حرية ، و قد شهدت هذه الملتقيات الفكرية و العلمية تألقا ووهجا كبيرين خلال ثمانينيات القرن الماضي ، حيث درست من خلال أربعة ( 4 ) ملتقيات مصادر التشريع الإسلامي ، القرآن الكريم ، السنة النبوية الشريفة ، الإجماع و القياس .

## مسجد الطلبة و نشاطات أخرى

كان الأستاذ مالك بن نبي ينشط في مختلف المجالات بالإضافة الى نشاطه الطبيعي و هو الكتابة و التنظير ، فأسس أول مسجد للطلبة بجامعة الجزائر سنة 1967 ، وحاول أن يجعل منه رغم صغر حجمه مؤسسة فكرية قائمة بذاتها ، فبالإضافة الى محاضراته الأسبوعية ، أصدر بن نبي مجلة فكرية باللغة الفرنسية ، و نظم رفقة بعض الطلبة عدة معارض للكتاب الإسلامي ، و من هذا المسجد البسيط ، إنطلقت أولى قوافل النخبة الجزائرية الإسلامية الحديثة ، ومنه تعرف الجزائريون على بعض مظاهر الإسلام ، وكانت أولى الفتيات اللاتي إلتزمن باللباس الإسلامي الشرعي هن تلميذات الأستاذ مالك بن نبي ، و بصفة عامة فقد كان بن نبي يقوم بمفرده بمجهود مؤسسة أو جمعية .

## خصومه داخل و خارج الوطن

مالك بن نبي مفكر و منظر إسلامي كبير ، و هو أحد العمالقة العشرة ( 10 ) الذين أنجبتهم الأمة الإسلامية خلال القرن الماضي ، و قد ذاع صيته و إمتدت ضلاله وإشعاعاته على العالم الإسلامي طيلة القرن الماضي ، و قد ترك بصمات واضحة ليس في الفكر الإسلامي فحسب ، و لكن في الفكر العالمي والإنساني ، وكتاباته العميقة حول الحضارة لم تعد مجرد أفكار و نظريات في صفحات الكتب و فوق رفوف المكتبات ، و أنما تحولت هذه الأفكار الى مادة أساسية تدرس في كبريات الجامعات الغربية و دوائر صنع القرار ، كما أسست تلك الآراء و الأفكار مدرسية فكرية إسلامية عصرية قائمة بذاتها ، مالك بن نبي هو إمتداد طبيعي لمشوار الإصلاح و التجديد الإسلامي الذي لم يتوقف على مر العصور ، لكن و كأي كتابات فلسفية عميقة ظلت مؤلفات و أراء و أفكاره تدور فقط في الصالونات و بين النخب الفكرية ، و لم تنزل الى الشارع فتحتضنها الجماهير ، و كل ذلك لم يمنع بعض الجيهات الأجنبية التي تراقب ما يدور في العالم الإسلامي بدقة ، من وضع المفكر مالك بن نبي نصب عينيها ، و يمكن حصر خصوم و أعداء مالك بن نبي في

الداخل و الخارج في القائمة التالية : المخابرات الفرنسية ، الماركسيون ، غلاة المستشرقين ، رموز الحداثة ، الموساد الإسرائيلي .

## المخابرات الفرنسية

أظهر مالك بن نبي منذ صغره ميولات فطرية طبيعية ضد الوجود الفرنسي غير الطبيعي في الجزائر ، حيث فتح عينيه على واقع سياسي و إجتماعي و إقتصادي و ثقافي غير متكافىء ، بين شعب فقير بائس غير متعلم ، وهو صاحب الأرض و السيادة ، و مستعمر غبي و حقود يحتكر عبر نخبة من غلاة المعمرين ، كل النشاطات التجارية و الزراعية و الصناعية ، ويستحوذ على أهم ثروات البلاد ، كان مالك بن نبي رغم ثقافته الفرنسية لا يرى في الظاهرة الإستعمارية الخبيثة سوى حالة طارئة و زائلة لا محالة ، و يقينا أن المخابرات الفرنسية التي حولت الجزائر الى سجن كبير ، كانت تضع كل السكان تحت الرقابة ، و تتابع عن قرب تحرك النخب المتعلمة و المثقفة بصفة خاصة ، و قد لعبت المخابرات الفرنسية دورا كبيرا في عدم قبول مالك بن نبي كطالب بمعهد الدراسات الشرقية بباريس ، و كلفت المستشرق الحقود ماسنيون بتنفيذ المهمة ، حيث كانت على معرفة تامة بتوجهاته الفكرية و السياسية ، و كان هاجس المخابرات الفرنسية بصفة خاصة و الغربية بصفة عامة كما هو معلوم ، و في إطار مخطط عالمي للسيطرة على العالم الإسلامي يقوم على عدة ركائز منها ، إحتواء النخب الفكرية و الثقافية العلمانية و تكوينها ، و إستغلالها كطليعة تقوم بنفس المهمة التي فشل الإستشراق الغربي في آدائها ، و من ناحية ثانية محاربة و إضطهاد النخب الإسلامية و الوطنية التي جاهرت في عدائها للغرب الإستعماري ، و يبدو لي و الله أعلم ، أن تاكتيكات التعارف و اللقاء بين مالك بن نبي و الفتاة الفرنسية التي تزوجها فيما بعد كان مفبركا و مخططا من طرف المخابرات الفرنسية ، في محاولة لإستنساخ تجربة طه حسين مع السيدة الفرنسية سوزان و هي تجربة ناجحة بالنسبة للدوائر الفرنسية ، لكن فشل التجربة مع مالك بن نبي يرجع لعدم وجود بذور القابلية للإستعمار لديه بالمقارنة مع طه حسين الذي إستعد لتغيير جلده و أفكاره و حتى معتقداته بمجرد مغادرة الباخرة التي كانت تقلهم من ميناء الأسكندرية متجهة الى فرنسا ، و على كل حال لن تستطيع المخابرات الفرنسية أو غيرها أن تقف في مواجهة القدر الغالب ، و رغم منعه من التسجيل بمعهد الدراسات الفرنسية ، فقد تمكن بن نبي بمجهود ذاتي من تكوين نفسه ليصبح فيلسوف الإسلام الأول في القرن العشرين

## المستشرقون

الإستشراق ظاهرة فكرية ثقافية غربية حديثة ، تعتبر إمتداد للمحاولات القديمة التي إستهدفت إختراق العقل الإسلامي ، و تخريبه من الداخل ، بدأت التجربة في أواسط العصر الأموي بإسترجاع بعض العادات و القيم الجاهلية من طرف ما سمي بالشعوبيين ، و ترسخت في العصر العباسي الأول ، مع دخول أطراف كثيرة في الإسلام بنوايا و أهداف مختلفة ، أما في العصر الحديث فقد بدأ الإستشراق بمحاولات نشطة لإستكشاف ما يسمونه ( سحر الشرق أو الثقافة الشرقية ) و كان لهذه الحركة الثقافية دور كبير في تمهيد الأرضية للإستعمار الغربي الذي أعاد تجربة الحروب الصليبية بشكل جديد ، ونظم حملات إنتقامية ، و أشهر مستشرق فرنسي عاصر مالك بن نبي هو الفرنسي من أصل يهودي لويس ماسنيون الذي إستعمل كل ما يملك من نفوذ وعلاقات مع مختلف الدوائر العلمية و الفكرية و السياسية و العسكرية بطبيعة الحال ، لتضييق الخناق على مالك بن نبي وللحيلولة دون قبول ملفه في معهد الدراسات الشرقية بباريس ، و هو قلعة الفكر و الثقافة و العلم و الإستشراق ، بعد جامعة السوربون ، لكن إرادة الله كانت أقوى ، و تمكن بن نبي من تحدي المستشرق الفرنسي ماسنيون و غيره كما تحدى من قبل المخابرات

الفرنسية و الغربية ، و وصل الى تحقيق معظم أهدافه الفكرية و العلمية ، و هذا لا يعني أن علاقة بن نبي بالوسط الفكري و الثقافي الفرنسي كانت سيئة جدا ، بدليل أنه نسج روابط متينة مع بعض النخب الثقافية و الأدبية الفرنسية و إشتغل لفترة معقولة محررا بجريدة العالم ( لوموند ) اليومية .

## الصهيونية العالمية

وضعت الصهيونية العالمية منذ نشأتها أواخر القرن التاسع عشر ، كل النخب الفكرية و السياسية و العلمية و الدينية التي أنجبها العالم الإسلامي ، تحت المجهر لدراسة أفكارها و إتجاهاتها و مواقفها و أهدافها ، وكانت تركز بشكل كبير على النخب ذات التوجه الوطني و الإسلامي ، و قد قامت الصهيونية العالمية بإغتيال العديد من المفكرين و العلماء و الدعاة و الكتاب و الصحفيين و حتى رسام الكاريكاتور ناجي العلي ، كما إستفادت الحركة الصهيونية من الفكر الإستشراقي و عملت على تشجيع نخبا يهودية للتغلغل في العالم الإسلامي و إختراقه فكريا و ثقافيا ، و لذلك نجد الكثير من الفلاسفة والمستشرقين الفرنسيين من أصل يهودي ، و أغلب النظريات الفكرية و العلمية الحديثة من إنتاج علماء و فلاسفة يهود .

## مالك بن نبي و السلطة الجزائرية

قيل الكثير عن علاقة مالك بن نبي بالثورة الجزائرية ، و برموز النظام الجزائري بعد إسترجاع السيادة الوطنية ، و قد إستعملت بعض الأوساط في وصف هذه العلاقة عبارات كبيرة و ضخمة و مؤثرة ... الأقصاء ، التهميش ، عدم الإهتمام ، و إعتبرتها أوساط ثقافية أخرى نموذجا للصراع الأبدي بين المثقف و السلطة ، وبعد البحث و التحري تبين أن معظم تلك التعليقات لا تستند سوى الى إشاعات مغرضة ، فبالنسبة لعلاقته بالثورة فقد كان في إستقباله عند وصولها الى القاهرة سنة 1956 كلا من السيد أحمد بن بلة و السيد محمد خيضر وهما يمثلان في ذلك الوقت الثورة في القاهرة ، و خصصوا له راتبا شهريا رمزيا من خزينة الثورة ، و من جهته فقد وضع بن نبي نفسه في خدمة الثورة كجندي بسيط ، لكن القيادة رأت أن يتفرغ للفكر و الثقافة و ليكون صوت الجزائر الثائرة التي تلد من تحت الرماد العباقرة ، و كبار المثقفين الجزائريين لم يشاركوا ميدانيا في الثورة و إنما كلفوا بمهام تتناسب مع طبيعتهم ، لأن الثورة لا تحب الفراغ ، أما بعد الإستقلال و سواء في فترة أحمد بن بلة أم في فترة هواري بومدين فقد حظي بن نبي بإهتمام رسمي كبير و فتحت له كل الأبواب و القنوات ، و يكفي أن نؤكد أنه كان الشخص الوحيد الذي إستفاد من ترخيص لإصدار مجلة فكرية باللغة الفرنسية في وقت كان الحزب و الدولة يسيطران على قطاع الإعلام و الثقافة و يحتكران إصدار الصحف ، و قد تبنت الجزائر عدة أفكار و مشاريع أقترحها بن نبي و كان الرئيس بن بلة يردد دائما أمامه إن أفكارك يا بن نبي سابقة لأوانها ، أي أنها تصلح لدولة قوية ،و ليست لجزائر جريحة خارجة لتوها من حرب غير متكافئة دامت سبع سنوات و نصف .

## الماركسيون ... و مالك بن نبي

تبنى النظام الجزائري بعد تحقيق الإستقلال ، الخيار الإشتراكي كمنهج إقتصادي لتحقيق التنمية و إعادة بناء البلاد ، و كانت الإشتراكية في ذلك الوقت حتمية تاريخية و سياسية أملتها ظروف سياسية و إجتماعية و دبلوماسية خاصة ، و قد أعطى هذا التوجه الإقتصادي الذي كان معزولا عن خلفيته الفكرية الشيوعية ، قوة معنوية للنخب السياسية و الفكرية و الثقافية اليسارية الماركسية ، التي حاولت الوقوف مبكرا في وجه النخب السياسية و الفكرية ذات التوجه الإسلامي ،

و منعها من التقارب مع السلطة التي كان بيدها مفتاح اللعبة ، و لم تكن تحمل بطبيعة الحال نفس هواجس النخبة المثقفة ، بحيث سعت منذ الإستقلال لإحتواء كل التوجهات الفكرية و الثقافية ، و قد حاول اليساريون الذين إستفادوا من مواقع جد مؤثرة في قطاعات الإعلام و الثقافة و الشبيبة محاصرة زملائهم ذوي التوجه الإسلامي ، لكن توازنات سياسية مطلوبة جعلت الصراع يتحول الى مجرد حرب باردة ، حيث قامت السلطة بتقسيم المواقع بين كل الأطراف المتنازعة و في فترتي بومدين و الشاذلي كان النصيب الأكبر للتيار العربي الإسلامي في أهم المواقع ، و هكذا فتحت كل المنابر الإعلامية التي كان يسيطر التيار اليساري أمام المفكر مالك بن نبي بأمر من السلطات العليا ، و كانت مجلة الثورة الإفريقية ملتقى اليسار و الفرنكوفون و البربر تنشر مقالات أسبوعية لبن نبي غير مطابقة للخط الإفتتاحي للمجلة ، و قد تجلى صراع اليسار مع مالك بن نبي في مدرجات الجامعة ، ثم تحول الصراع من بن نبي الى صراع مع طلائع التيار الإسلامي خاصة في بداية سبعينيات القرن الماضي ، و كان أبرز رموز التيار اليساري في الجزائر في ذلك الوقت الثلاثي رضا مالك ، مصطفى لشرف ، عبد اللطيف رحال ، حيث كان لشرف يقوم بمهمة التنظير لمنافسة بن نبي ، لكن في واقع الأمر فقد بقيت أفكار مالك بن نبي و آرائه حية و تبنتها العديد من الدول الإسلامية كتركيا وماليزيا ، و هي تدرس حتى في الجامعات الإسرائيلية من باب أعرف أفكار الآخر ، زيادة على أن ما أنتجه بن نبي من كتب يعتبر شئيا عظيما بالمقارنة مع كتاب واحد أنتجه مصطفى لشرف و هو عبارة عن مقالات صحفية نشرت في الصحافة الحكومية و الحزبية . و مع ذلك فقد ماتت أفكاره و دفنت معه .

## التراث ... و التلاميذ و الأمنية الأخيرة

مشكلة مالك بن نبي أن إعتمد بشكل كبير على النشاط الفردي في الترويج لأفكاره و مشاريعه ، التي كانت في معظمها و بشهادة كبار المفكرين ، سابقة لعصرها ، ربما كان في ذهنه أفكار أخرى حول تطوير نشاطه الثقافي و الفكري من حيث الممارسة و التسويق الى مرحلة ثانية تتكفل بها إطار رسمي كجمعية وطنية أو مؤسسة ، و لا نستبعد أن تكون من هذه الخواطر قد جالت بفكره أو على الأقل مرت به أحيانا ، و طافت بخياله ، فكل الرسالات السماوية و الحركات الفكرية و الإصلاحية ، و الثورات عبر التاريخ إنطلقت من مبادرات فردية ذاتية ، ما لبثت أن إنطلقت بشكل تدريجي تجوب الآفاق بعدما تبنتها الجماهير ، فالرسالة أو الفكرة أو المشروع الذي يستهدف تغييرا تدريجيا نحو الأفضل ، هو بالتعبير القرآني أمانة كبرى و عظيمة أبت السماوات و الأرض حملها ... لقد توفي المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي الذي كان نجما ساطعا في سماء الفكر الإسلامي و الفلسفة العالمية الحديثة خلال القرن الماضي ، و ترك للمسلمين في مختلف أرجاء العالم الإسلامي تراثا ضخما من الأفكار و الآراء التي يمكن إستغلالها و الإستفادة منها للنهوض بالأمة الإسلامية ، كما خلف وراءه تلامذة و مريدين في كل مكان في العالم ... و قد كانت له أمنية وحيدة لم يسعفه القدر و الحظ في تحقيقها و هي إنجاز تفسير حديث للقرآن الكريم يفرغ فيه بن نبي كل خواطره و تصوراته و إنطباعاته .

الفصل الخامس ( 5 )

# الإسلام الرسمي ، و رموزه

توفيق المدني، أحمد حماني ، عبد الرحمن شيبان ، مولود قاسم ، طالب الإبراهيمي ، محمد شارف ، عبد الرحمن الجيلالي ، محمد الصالح رمضان

رغم تبني النظام الجزائر مبكرا ، و بإجماع القيادات التاريخية و السياسية و العسكرية خلال مؤتمر طرابلس الخيار الإشتراكي كأسلوب للتنمية ، بناء على عدة معطيات و أسباب تبدو منطقية بمقاييس و ظروف ذلك الوقت ، فإن النظام الجزائري ، و بالأحرى النواة الصلبة فيه و الدوائر الخفية صانعة القرارات و المواقف ، فقد كان يدفع صدقا أو نفاقا في إتجاه تحضير أرضية العودة الى الأصل ، من خلال عدة عمليات و مشاريع على الأرض من ذلك مثلا مشروع التعليم الأصلي الذي تبناه نظام أحمد بن بلة ودعمه نظام العقيد بومدين ، ، بالإضافة الى إستعداد الجزائر تطبيق كل توصيات مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد بباكستان و الذي أتفق فيه رؤساء و ملوك الدول الإسلامية على ضرورة التخلي التدريجي عن القوانين المستوردة أو الموروثة عن الإستعمار ، و قد نظمت الجزائر في نفس الفترة تقريبا ملتقى للفكر الإسلامي بولاية تيزي وزو بالذات ، كان موضوع التشريعات الإسلامية ، هذا من الناحية الرسمية وفي الإتجاه الآخر كان كل الحراك الإسلامي الذي بدأ مع عودة السيادة الوطنية ، يهدف على الأقل الى تحقيق مخرجات و أهداف بيان أول نوفمبر كاملة و غير منقوصة من خلال بنا ( جمهورية ديمقراطية إجتماعية ذات سيادة ، في إطار المبادىء الإسلامية )

## النشاط الإسلامي الرسمي

تمثل النشاط الإسلامي الرسمي في :

ما تقوم به وزار ة الشؤون الدينية من نشاطات عبر مساجد الوطن ، و دروس الوعظ و الإرشاد عبر الإذاعة و التلفزيون ، و عبر منشوراتها كمجلات القبس ، الأصالة ، الرسالة و جريدة العصر .

ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية .

التعليم الإسلامي المتوسط و الثانوي ، الذي خصص له الرئيس هواري بومدين وزارة قائمة بذاتها هي : وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية .

مشاريع كانت على الورق ثم أجهضها العلمانيون ( بوتفليقة ، رحال ، رضا مالك ، مصطفى لشرف ) و من بينها ثلاث ( 3 ) كليات إسلامية واحدة بالعاصمة تدرس العقيدة وسلامية الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان ، و أخرى بوهران خاصة بالشريعة الإسلامية ، وثالثة بقسنطينة و تتخصص في الأدب و اللغة العربية من منظور إسلامي .

تم إستبدال مشروع الكليات الإسلامية الثلاثة ، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية التي وضع حجر أساسها الرئيس هواري بومدين في شهر جانفي سنة 1971 ، لكن أعداء الإسلام في الجزائر من غلاة العلمانيين و الفرنكفون و البربر ، عملوا كل ما في وسعهم لتأخير إنجاز هذا الصرح العلمي و الفكري العظيم ، بعدة دعاوى و حجج باطلة ، و قد توفي الرئيس بومدين دون أن يرى هذا الشروع النور ، و قد تكفل به فيما بعد الرئيس الشاذلي بن جديدب بإتمام المشروع و إفتتاح الجامعة الإسلامية في الموسم الجامعي 84 / 1985 ، و لا أحد ينكر الدور الكبير الذي قام به عدد من الشخصيات السياسسية و الدينية و الفكرية الجزائرية بعد الإستقلال ، من أجل إحياء القيم الإسلامية و الدفاع عنها و التصدي لكل محاولات الإلتفاف حولها أو تجاهل الإنتماء الإسلامي للجزائر الحديثة ، و من دون شك فإن الذين يمثلون ما يسمى بالإسلام الرسمي ، أي النخب التي كانت بحكم وظائفها الرسمية تحتل مواقع قريبة من مصادر القرار و التنفيذ ، كانوا كوكبة مباركة تواجد عناصرها في المستويات الوطنية و المحلية ، ساهمت بطريقتها الخاصة و من داخل النظام في الحراك الإسلامي الذي إنطلق مباشرة بعد إعلان نتيجة الإستفتاء

حول تقرير المصير ، و مع وضع أولى الحروف في أول دستور جزائري سنة 1963حيث شهدت لجنة إعداد مسودة الدستور صراعا عنيفا بين ممثلي الإسلام الرسمي و التيار اليساري البربري الفرنكوفوني ، الذي رفض عبارة الإسلام دين و هي جملة مطاطية و لا أثر لها في الواقع ، زاعما أن الدولة كيان معنوي لا يصح أن ننسب له الدين ، وبما أن قائمة ممثلي الإسلام الرسمي تبدو طويلة جدا ، فسوف نقتصر في هذا الكتاب على رموز التيار و هم حسب الأعمار: السادة أحمد توفيق المدني ، أحمد طالب الإبراهيمي ، أحمد حماني ، مولود قاسم نايت بلقاسم ، عبد الرحمن شيبان .

## أحمد توفيق المدني

يمتد نسبه الى مدينة غرناطة بالأندلس سابقا ( أسبانيا حاليا ) ولد في 1 نوفمبر 1899 ، بدأ دراسته الإبتدائية في الخامسة من عمره بإحدى المدارس القرآنية في العاصمة التونسية ، فحفظ القرآن الكريم و تلقى مبادىء اللغة العربية و الشريعة الإسلامية ، و في سنة 1909 إنتقل الى المدرسة القرآنية الأهلية ( ما يشبه المتوسطة حاليا ) و درس بها أربع ( 4 ) سنوات علوم الدين و اللغة العربية ، و في سنة 1913 سجل بجامع الزيتونة ، لإستكمال دراسة ... كان في بداية حياته التعليمية يميل الى قراءة كتب السيرة و التاريخ و محبا للمطالعة الحرة في مختلف المعارف ، فدعم ثقافته النظامية بثقافة عصامية مكثفة و متنوعة ، ساعدته فيما بعد على التوجه نحو الكتابة السياسية ثم التاريخية ، و إذا إعتمدنا نظام الدراسة بالزيتونة لمدة ثلاث ( 3 ) سنوات ، يكون الأستاذ توفيق المدني قد تخرج سنة 1917 و عمرة 18 سنة ، بشهادة تسمى التطويع .

## نشاطه النضالي

تنبه الأستاذ توفيق المدني مبكرا للعمل الإعلامي و السياسي في تونس ، وأغتنم أحداث الحرب العالمية الأولى ( 1914 . 1918 ) فأسس رفقة عدد من الأصدقاء نواة حركة سياسية مناهضة للإستعمار الفرنسي ، فقبض عليه في 14 فيفري 1915 و سجن الى غاية شهر نوفمبر 1918 ، و في تلك الأثناء تعرف على زعيم الحركة الوطنية التونسية ( الجزائري الأصل ) عبد العزيز الثعالبي ، فشاركه في تأسيس الحزب الدستوري التونسي سنة 1919 ، فعين أمينا عاما مساعد للقلم العربي ، لكن نشاط الحزب لم يستمر طويلا ، بفعل سياسة الإضطهاد و التضييق التي مارستها ضده ادارة الإحتلال الفرنسي ، حيث فرقت شمل مؤسسيه ، فأبعدت توفيق المدني الى بلده الأصلي الجزائر يوم 5 جويلية 1925 ، وفي سنة 1926 ساهم في تأسيس نادي الترقي بالجزائر العاصمة رفقة كوكبة من رجال الدين و الثقافة و المحسنين ، من بينهم الحاج مناد المنصالي ، محمد بن بن ونيش ، و عمر الموهوب ، فكان نادي الترقي منبرا جزائريا حرا ، يشبه المركز الثقافي بالتعبير الحديث ، تلقى في رحابه المحاضرات ، وتنظم الندوات ، و الملتقيات ، فإستقطب في مدة وجيزة عدة أسماء لامعة من الجزائر ، و كان محطة لضيوف الجزائر من العلماء و المفكرين العرب .

## مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بعد النجاح النسبي الذي حققه نادي الترقي في إستقطاب النخب الفكرية الجزائرية و العربية ، و إهتمام الجمهور بنشاطاته المتنوعة ، تطلع المؤسسون الى فضاء آخر أكثر سعة و شمولية لا يقتصر نشاطه على الجزائر العاصمة فقط ، بل يتعداه ليشمل الجزائر بأسرها ، و من هنا برزت فكرة تأسيس جمعية ثقافية وطنية ، و بهذا النادي المبارك وضع رجال الإصلاح الخطوط العريضة لجمعية تقافية تربوية سميت فيما بعد ب ( جمعية العلماء السلمين الجزائريين ) فتكونت لجنة من خيرة علماء الجزائر لتحضير أرضية و ملف التأسيس و أسندت للأستاذ توفيق

المدني مهمة كاتب اللجنة ، كما أسندت رئاسة الجمعية مؤقتا الى السيد عمر إسماعيل ، و تظافرت جهود اللجنة التأسيسية مع الجهود و التحضيرات التي كان يقوم بها في قسنطينة الشيخ عبد الحميد بن باديس من أجل الإنتقال من العمل الإسلامي الفردي الى العمل الجماعي في إطار قانوني منظم ، و أخذ مشروع تأسيس الجمعية وقتا طويلا ، و بعد مخاض عسير و نقاشات طويلة و عريضة تم الإعلان عن تاسيس جمعية العلماء في 5 ماي 1931 و كان للأستاذ المدني دور كبير في إنضاج الفكرة و مرافقة كل مراحل التأسيس ، وصياغة الوثائق القانونية ، و تولى مسؤولية الأمانة العامة في الجمعية ، و رئاسة تحرير جريدة البصائر السان حال الجمعية الى غاية سنة 1956 تاريخ حل الجمعية من طرف الإدارة الإستعمارية ، كما إختاره الشيخ عبد الحميد بن باديس ضمن فريق تحرير جريدة الشهاب المستقلة ، و التي كانت تعبر عن آراء و مواقف الشيخ العلامة إبن باديس ، و ليس لها أية علاقة بالجمعية ،

## من الثورة الى الحكومة المؤقتة

في سنة 1956 و مع إشتداد لهيب الثورة المباركة ضد الإستعمار الفرنسي الكافر ، تم حل جمعية العلماء المسلمين من طرف الإدارة الإستعمارية ، فلم يجد الأستاذ مدني سوى الهجرة نحو مصر ليعيش كلاجىء سياسي مع رفاقه السابقين و اللاحقين ، ومواصلة الكفاح السياسي ، و كانت جمعية العلماء برئاسة الشيخ الإبراهيمي قد أعلنت في بيان رسمي بالقاهرة نشر في 15 نوفمبر 1954 عن تأييد الجمعية و مباركتها و مساندتها لإعلان الثورة من طرف جبهة التحرير الوطني ، كما ساهم الإبراهيمي و الفضيل الورثلاني في صياغة ميثاق الثورة و توقيعه ، لكن على ما يبدو فإن التيار العلماني في قيادة الثورة ممثلا بمحمد بوضياف و حسين آيت أحمد قد رفضا هذه الوثيقة و تم إهمالها من مواثيق الثورة ، وبعد مؤتمر الصومام تم تعيينه في المجلس الوطني للثورة ، ثم وزيرا للشؤون الثقافية في الحكومة الجزائرية المؤقتة ، بعد إسترجاع السيادة الوطنية عين وزيرا للشؤون الدينية و الأوقاف في حكومة الرئيس أحمد بن بلة ، فإقترح مشروع التعليم الإسلامي الموازي للتعليم العام و التقني ، و لاقت الفكرة ترحيب الرئيس بن بلة ، فدعمها بكل قوة و وجد مساعدة كبيرة من الأزهر الشريف ، حيث قال الأستاذ المدني في هذا الإطار ( أننا قاتلنا بكل قوانا من أجل تثبيت المشروع و إنزاله الى الأرض ) متحدثا عن المعارضة التي لقيها المشروع من التيار اليساري الفرنكوفوني و البربري . و ساند بكل قوة حركة 19 جوان 65 التي قادها العقيد هواري بومدين و رفاقه و إستهدفت الإطاحة بالرئيس أحمد بن بلة ، و يبدو أن الأستاذ المدني كان جد متأثر من موقف الرئيس بن بلة السلبي من جمعية العلماء حيث رفض الترخيص لها بالنشاط الثقافي و الفكري و الدعوي و التربوي ، بحجة أن الدولة ستتكفل بكل المهام التي كانت تقوم بها الجمعية في عهد الإحتلال ، في النظام الجديد وجد موقعا هاما فعينه الرئيس بومدين في مناصب تتلائم مع سنه و ظروفه الصحية ( في سنة 1962 كان عمره 66 سنة ) فإشتغل سفيرا للجزائر في باكستان ثم في دول إسلامية اخرى .

## نشاطه الفكري

كان الأستاذ أحمد توفيق المدني من أبرز كتاب المقال السياسي في الجزائر ، حيث خلف تراثا ضخما منشورا في جريدتي البصائر و الشهاب ، يحتاج من الطلبة و الكتاب الشباب نفض الغبار عنه و جمعه و تبيويه ونشره ورقيا أو على الأقل إليكترونيا ، إحتراما لهذا الرجل و نضاله الطويل على مختلف الأصعدة . ، كما صدرت له عدة كتب منها:

تاريخ الجزائر الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1931 .

و كتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 / 1791 سيرته حروبه أعماله .

هذي هي الجزائر .

المسلمون في جزيرة صقلية .

حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر و إسبانيا.

وفاته

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ( تحقيق )

حياة كفاح ( مذكراته الشخصية ) ثلاثة ( 3 ) أجزاء.

## وفاتـــه

الأستاذ أحمد توفيق المدني كاتب و صحفي و مفكر و مؤرخ جزائري ، يأي في مقدمة صفوف النخبة الإسلامية التي تنتمي الى الجيل الأول المؤسس ، جيل الشيوخ إبن باديس و الإبراهيمي ، و محمد العيد آل خليفة ، وقدشكل رفقة الشيخ مبار ك الميلي نواة أول مدرسة تاريخية جزائرية حديثة ، توفي رحمه الله في 18 أكتوبر 1983 عن عمر يناهز 84 سنة .

## أحمد حماني

ولد في 6 سبتبر 1915 بقرية أزنار بلدية العنصر ، دائرة الميلية ، ولاية جيجل ، لكن والده قام بتأخير تاريخ ميلاده الى غاية سنة 1920 من أجل تمكينه من إتمام دراسته قبل أن تدركه الخدمة العسكرية الإجبار ية تحت الراية الفرنسية ، ثم أتجه الى مدينة قسنطينة في ربيع 1930 و دخل المدرسة القرآنية سيدي أمحمد النجار لحفظ القرآن الكريم و إتقان قراءته و تجويده ، و في السنة الموالية إنضم الى إحدى المدارس التي كان يشرف عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و في تلك الأثناء عايش أول مظاهرة شعبية قادها الشيخ إبن باديس ، كما حضر أول إجتاع تعقده جمعية العلماء المسلمين و أنخرط فيها كعضو عامل .

## الى تونس الخضراء

شكلت تونس الشقيقة طيلة فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر، منفذا للنخبة الجزائرية لكي تستكمل دراستها العليا ، بعدما حرمها الإستعمار من إنشاء مؤسساتها الخاصة ، ومع بداية الموسم الدراسي 34 / 1935 قرر الشاب أحمد حماني الذهاب الى تونس الخضراء لمواصلة مشواره التعليمي بجامع الزيتونة المعمور ، حيث درس تسع ( 9 ) سنوات كاملة أي الى غاية نهاية الموسم الدراسي 42 / 1943 ، بإنتظام ودون إنقطاع ، و تحصل في النهاية على شهادة التعليم المتوسط سنة 1936 ثم على شهادة التحصيل التي تعادل شهادجة الباكالوريا ، ثم شهادة العالمية بكسر اللام سنة 1943هي تعادل شهادة الليسانس ، و بداية من سنة 1937 بدأ يكتب مقالات في صحافة جمعية العلماء كما فتحت له الصحافة التونسية المناضلة صفحاتها للتعبير عن آرائه و نشرت كتاباته المفعمة بالوطنية الأصيلة ، أما نشاطه السياسي فقد ساهم مع زميله الشاذلي المكي في تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين ، و دفعه حماس الشباب و جرأته الى الإتصال بالألمان أثناء الحرب العالمية الثانية لمعرفة نواياهم فتبين له أن الكفر ملة واحدة ، حيث أخبروه أن أرض إفريقيا تعتبر مستباحة و حقا مشروعا للأوروبيين ، وعداوتهم لفرنسا ليست من أجل

سواد عيون العرب المسلمين ، بل من أجل مصالح ألمانيا ، لكن عيون المخابرات الفرنسية إكتشفت تلك الإتصالات فقامت بإعتقال عددا كبيرا من الطلبة الجزائريين بتهمة الإتصال بالعدو الألماني ، و لما علم الشاب حماني بإعتقال زملائه بتلك التهمة دخل عالم السرية بداية من سنة 1943.

## العودة الى الجزائر

عاد أحمد حماني في سرية تامة الى الجزائر في 30 آفريل سنة 1944 ، و بمدينة قسنطينة بدأ نشاطه المهني كمعلم بمدارس التربية و التعليم التي فتحتها جمعية العلماء السلمين ، في الوقت الذي كانت السلطة الإستعمارية تبحث عنه في كل مكان بالتهمة الأولى و أضافت له تهمة ثانية هي التهرب من أداء الخدمة العسكرية الإجبارية ، فما لبثت مصالح الإحتلال أن ألقت عليه القبض بحكم تواجده اليومي في مقر عمله و بمقر جمعية العلماء بقسنطينة ، فقدم الى المحكمة و جرت الجلسة يوم 20 مارس 1945 ، و إستغلت جمعية العلماء المسلمين علاقاتها و ساهم السكان في الضغط غير المباشر على المحكمة ، و بعد تدخلات ووساطات ، و نتيجة لخلو ملف القضية من أي دليل مادي حكمت المحكمة الإستعمارية ببراءة المتهم و رفاقه ، و خففت الأحكام عن متهمين آخرين ، و في تلك الأثناء شهد التعليم الإسلامي الحر الذي تشرف عليه جمعية العلماء المسلمين ، قفزة نوعية بالإنتقال الى التعليم الثانوي ، حيث تم إفتتاح معهد للتعليم الثانوي للذكور و تم إسناد إدارته لأحمد حماني ، و معهد ثان للبنات وأسندت إدارته الى السعيد حافظ ، وفي سنة 1946 عينته إدارة جمعية العلماء كاتبا مكلفا بولايات الشرق مهمته متابعة نشاطات الجمعية و تطوير فروعها ، و الإشراف المادي و البيداغودي على مؤسساتها التعليمية ، و في سنة 1951 أنتخب عضوا في جمعية العلماء و أسندت له مسؤولية كاتب عام مساعد ، و بعد إعلان ثورة أول نوفمبر سنة 1945 لم يتردد لحظة في تأييدها و الإنضمام إلى صفوفها ، فكان من جنود الخفاء الذين شكلوا خلايا دعم و إسناد الثورة ، فجعل من دار الطلبة التابعة لجمعية العلماء مركزا إسناد للثورة ، و أستمر في نشاطه الثوري السري الى غاية إكتشاف أمره و إلقاء القبض عليه من طرف الأمن الفرنسي في 11 أوت 1957بالجزائر العاصمة ، حيث إستولت السلطات الإستعمارية على مقر دار الطلبة و حولته الى مركز إستنطاق و تعذيب المجاهدين الجزائريين ... قضى أحمد حماني ما يقارب الشهرفي فترة عصيبة من حياته ... تعذيب متعدد الأشكال ، تحقيقات و إستنطاقات عسيرة ، و تنقلات بين السجون ، و بعد محاكمة عسكرية هزلية حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، فنقل الى سجن لامبيزب: تازولت ولاية باتنة، وبقي في السجن من 11 أوت 1957 الى 4 آفريل 1962 حيث أفرج عنه في إطار إتفاقية وقف إطلاق النار... تمكن أحمد حماني من تحويل زنزانات السجون الى خلايا سياسية وثورية تعمل لصالح الوطن ، كما قام بتكوين ما يشبه لجنة التربية و التعليم داخل السجن لتقوم بتقديم دروس للمساجين في مختلف المعارف الدينية و اللغوية ، و نشر الوعي السياسي ، فتخرجت على يدية عدة دفعات من الطلبة المساجين ، كما كان يشرف على تنظيم مختلف الشعائر الإسلامية و الإحتفال داخل السجن بالمناسبات الدينية ، وتعتبر خطبته التي ألقاها بمناسبة عيد الأضحى بمثابة البيان السياسي الذي أيقظ الكثير من النوام من سباتهم ، و أحدث حركة عنيفة داخل السجن ، عندما طالب السلطات الإستعمارية بإحترام حقوق المساجين التي وافقت عليها مختلف الدول ، فيما يتعلق بالمعاملة الإنسانية و توفير أبسط ضروريات الحياة ، و قد أحدثت هذه الخطبة ضجة كبيرة بعدما تسربت خارج أسوار السجن ، وبعد سقوط الطاغية الفرنسي دسيبلين ، إفتك المساجين السياسيين بعض الحقوق و تحسنت معاملتهم من طرف إدارة السجن ، فوفرت لهم الصحف و المجلات و الكتب ، وسمحت لهم بمتابعة الإذاعات ، و بعد الإعلان عن إستقلال الجزائر في 5 جويلية سنة 1962 عين

أحمد حماني عضوا في اللجنة المسؤولة عن قطاع التعليم بولاية قسنطينة ، ومديرا لمعهد إبن باديس .

## المجلس الإسلامي الأعلى

من اللجنة الولائية للتعليم بقسنطينة ، إنتقل أحمد حماني الى العاصمة بعد تعيينه مفتشا عاما للتعليم العربي ، وبعد إفتتاح كلية اللغة العربية بجامعة الجزائر ، عاد من جديد الى التعليم كأستاذ للأدب العربي ، وبقي في هذا المنصب الى غاية سنة 1972 حيث عينه الرئيس هواري بومدين رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى ، و في بداية سنة 1989 احيل الى التقاعد وبذلك ينتهي مساره المهني .

## النضال السياسي و الدعوي

يعتبر أحمد حماني من المثقفين الجزائريين الذين أنجبتهم و كونتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كما يعتبر من مثقفي النخبة الثورية ، إنخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني في الساعات الأولى بعد أعلان الثورة ، ساهم في العمل الثوري السري و كان من جنود الخفاء ... ذاق مرارة الإعتقال و السجن ، بعد الإستقلال إكتسب بطريقة آلية العضوية في حزب جبهة التحرير الوطني و المنظمة الوطنية للمجاهدين ، و يحكى أن الرئيس هواري بومدين و هو بصدد تشكيل حكومته الأولى فكر في تعيين الأستاذ أحمد حماني وزيرا للأوقاف و الشؤون الدينية ، فأرسل إليه عبر قنوات رسمية معروفة من يخبره بذلك و يستطلع رأيه ، فرد عليه الأستاذ حماني أن هذا العرض مسؤولية كبيرة و ضخمة و سأرد عليه بعد أن أستخير الله و أصلي صلاة الإستخارة ، ولكن الرئيس بومدين و كأنه كان في عجلة من أمره لم ينتظر رد الأستاذ حماني و قام بتعيين شخصية أخرى في نفس المنصب ، و هذه الرواية قد تكون صحيحة و قد تكون من نسج الخيال الشعبي لكنها تحمل دلالات و عبر ، وفي سنة 1983 أنتخب عضوا في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني ، وبعد صدور قانون الجمعيات سنة 1990 أعاد رفقة العديد من الشخصيات الدينية و الفكرية من تلامذة الشيخ إبن باديس ، تأسيس جمعية العلماء المسلين الجزائريين ، فأنتخب الشيخ أحمد حماني رئيسا للجمعية ومديرا لجريدة البصائر لسان حال الجمعية ، و من الطرائف التي تحكى عنه أنه سئل لماذا لم نعد نراك واعظا في التلفزيون الجزائري فقال ، منذ أفتيت بحرمة لعبة اللوطو اصبحت منبوذا لدى مسؤولي التلفزيون و الوزارة المعنية بلعبة اللوطو ... يعتبر الشيخ حماني من أكثر الشخصيات الإسلامية التي تخندقت مع النظام منذ الإستقلال ، في إطار مشروع الإصلاح من الداخل ، تحمسا لإعادة الإعتبار الى المرجعية الإسلامية كأساس للدولة الجزائرية ومصدر للتشريع ، و لا شك أنه ناضل في صمت و قدم مقترحات و أفكار و نصائح للمسؤولين الكبار، و تعبر محاضرته التي ألقاها في ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي ، المنعقد بولاية تيزي وزو من 10 الى 22 جويلية 1973 و عنوانها روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليومي ، أكثر تعبيرا عن موقفه من موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية الذي كان و مازال و سيضل أهم مطلب للتيار الإسلامي ، حيث أكد بصراحة و دون لف أو دوران أن الإسلام دين ودولة ، و أن كلمة التوحيد لاإله إلا الله ليست مجرد جملة يرددها الإنسان ليعلن دخوله في الإسلام أو يعبر بها عن إنتمائه الديني ، و لكن هي إلتزام معنوي و عقد مع الله ، يستلزم القيام بتبعات العقد و مخرجاته ، و لا يجوز للمسلم أن يؤمن ببعض الكتاب و يكفر ببعض ... واقع التشريع في العالم الإسلامي اليوم ( جويلية 1973 ) يبعث على الأسى و يدمي القلب و يثير الهم و القلق ، أمم الإسلام و دوله تجمع على إهمال الشريعة الإسلامية ، والتخلي عنها كمصدر وحيد لأحكامها و نظمها ، مقبلة على القوانين الوضعية التي

فرضت عليهم من الأعداء ، أو التي وضعوها بأنفسهم ، إن شريعتنا عامة شاملة كاملة صالحة بما إحتوت عليه من نصوص مرنة لكل زمان و مكان ، ومما يؤثر عنه و سجله التاريخ و كاميرات التلفزيون الجزائري ، خطبته العصماء التي ألقاها في إحدى إجتماعات اللجنة المركزية للحزب ، و التي تناولت موضوع العودة التدريجية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، حيث قال في آخر الخطبة متهكما و موجها كلامه لكبار مسؤولي الدولة ( أخشى أنكم لما تموتوا قد تضطرون لإستيراد شيوخ يغسلونكم و يكفنونكم ويصلون عليكم صلاة الجنازة و يدفنوكم وفق الشريعة الإسلامية ) و جاءت كلمة الشيخ حماني في وقت تخلت فيه الدولة عن تكوين الإطارات الإسلامية العليا ، بحيث أصبح الجزائريون يلجؤون الى فتاوى وافدة من دول إسلامية مشرقية ، الشيخ حماني في زمانه هو آخر عمالقة العقيدة الأشعرية و الفقه المالكي ، و ترجع إليه كلمة الحسم في المسائل الفقهية المعقدة ، وتتميز فتاويه المنشورة في الصحف بالدقة و التوسع و الإقناع .

## مؤلفاته

لم يتسع وقت الشيخ أحمد حماني كثيرا للكتابة و التأليف ، بالنظر الى مسؤولياته كأستاذ بجامعة الجزائر ، و رئيس للمجلس الإسلامي ، الأعلى وواعظا ورئيس للجنة الإفتاء بوزارة الشؤون الدينية ، و مع ذلك فقد ترك للمكتبة الإسلامية المؤلفات التالية:

صراع بين السنة و البدعة

فتاوى الشيخ أحمد حماني 3 أجزاء

شهداء معهد عبد الحميد بن باديس ( رد فيه على المشككين في دور جمعية العلنماء و مساهمتها في الثورة )

## وفاتـــــه

توفي في 29 جوان 1998

## عبد الرحمن شيبان

عبد الرحمن شيبان من مواليد 23 فيفري 1918 بقرية الشرفة بلدية مشدالة ولاية البويرة ، حفظ القرآن الكريم و تعلم مبادىء اللغة العربية و العقيدة و الفقه ، بمسقط رأسه ، ثم درس في الزاوية الشخبونية بني وغليس الواقعة شمال وادي الصومام بولاية بجاية ، ثم إنتقل الى مدينة قسنطينة لإستكمال در استه بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتتلمذ على يدي الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس ، وفي سن العشرين أي سنة 1938 شد الرحال كعادة الشباب الجزائري المتعلم الى تونس للإلتحاق بجامع الزيتونة المعمور ، و بعد ثماني ( 8 ) سنوات من الدراسة تخرج بشهادة التحصيل في العلوم سنة 1947 ، و في تونس شارك الطالب عبد الرحمن شيبان في عدة نشاطات ثقافية و فكرية ، و كان عضوا نشطا في جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين

## العودة الى الجزائر

بعد تخرجه من جامع الزيتونة عاد الى الجزائر سنة 1948 فعينه الشيخ البشير الإبراهيمي بصفته رئيسا لجمعية العلماء ، أستاذا للأدب العربي بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديش

بقسنطينة ، وتم إنتخابه عضوا عاملا بالجمعية ، و أختير ضمن لجنة التعليم العليا المكلفة بإعداد و صياغة مناهج التعليم والكتب المدرسية ، و ساهم من موقعه ككاتب في مختلف الصحف و المجلات التي أصدرتها جمعية العلماء ، و صحف إسلامية جزائرية أخرى النجاح ، المنار ، الشعلة ، و في سنة 1954 صنفه المجلس الإداري لجمعية العلماء ضمن الطبقة الممتازة ألأولى ، و ضمن سلك الأساتذة الممتازين ، في شهر آفريل 1956 إلتحق بصفوف الثورة وعين بمصلحة الإعلام في جبهة التحرير الوطني ، و كان محررا بنشرية المقاومة لسان حال الثورة ، ثم عين مستشارا بسفارة الجزائر بليبيا.

## الجهاد بالقلم

إستغل عبد الرحمن شيبان موهبة الكتابة التي وهبها له الله عز و جل ، في الدفاع عن إسلامية و عروبة الجزائر ، و حقها في العيش حرة مستقلة ، فكان من أوائل الكتاب الجزائريين المنجاهدين بالقلم و المناهضين للإستعمارالفرنسي ، وبقراءة عابرة لبعض مقالاته المنشورة في الصحافة الجزائرية الصادرة أواخر أربعينيات القرن الماضي الى ما قبل الإستقلال ، نلاحظ إتجاهه المبكر الى الكتابة الملتزمة بهموم و قضايا الوطن الجزائري بصفة خاصة ، و العالم الإسلامي بصفة عامة و هكذا كتب ... فلسطين و الشيخ الإبراهيمي ماي 1948 ، ماذا ننتظر إمداد فلسطين جوان 1948 ، الإسلام شريعة الجهاد و الإجتهاد ، جوان 1948 ، المعهد و مستقبل الأدب الجزائري سبتمبر 1949، القضية الجزائرية قضية حرية أو موت آفريل 1956 ، و غيرها من المقالات التي تمنحه مكانة محترمة في صفوف كتاب الثورة المجيدة الذين قاوموا الإستعمار الفرنسي بالقلم ، و دافعوا عن الثوابت الوطنية و مقومات الشخصية الجزائرية .

## الإستقلال ... و معركة الدستور

أدرك ألأستاذ عبد الرحمن شيبان بحكم ثقافته الإسلامية الأكاديمية و الحرة ، معنى الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر ، فالمعركة مع المستعمر الغاشم ( و هي الجهاد الأصغر ) قد إنتهت بإستقلال الجزائر و عودة السيادة الوطنية ، لكن الجهاد الأكبر معركة مستمرة و طويلة و لا نهاية لها ألا بالموت ، فحياة المسلم كلها جهاد في سبيل الله ... قبيل الإستقلال بأيام قلائل بدأ التنافس على الكرسي بين الأقطاب الثلاث ، الوطنيون المحافظون ، اللائكيون ، البربر ، و كان مؤتمر طرابلس فرصة لحسم الموقف لكنه إنتهى الى تبني الإشتراكية و التخلي عن مشروع بيان أول نوفمبر الى حين ... بعد الإستقلال برزت معركة الهوية من خلال دستور 63 الذي ينسب الى الرئيس أحمد بن بلة ، كان الأستاذ عبد الرحمن شيبان عضوا في لجنة صياغة الدستور و هو يمثل التيار العربي الإسلامي رغم أمازيغيته التي لا يستطيع إخفائها ، و قد أبلى الأستاذ شيبان في هذه اللجنة المتعددة الإتجاهات بلاء حسنا وقاوم من أجل تثبت مادة الإسلام دين الدولة التي إعتبرها الإتجاه العلماني غير دستورية .

## الى قطاع التعليم

في سنة 1963 عينه الرئيس أحمد بن بلة مفتشا عاما للغة و الأدب و التربية الإسلامية بوزارة التربية الوطنية ، و أثناء الأزمة التي أثارها بيان الشيخ البشير الإبراهيمي الذي نشره يوم 16 آفريل 1964 ، حاول التوسط بين الشيخ و الرئيس بن بلة ، غير أن أطرافا لائكية تدخلت لتوسيع الهوة بين الشيخ و الرئيس و قطع شعرة معاوية بين النظام و الإسلاميين ، و بعد التصحيح الثوري في 19 جوان 1965 إستدعاه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي الذي أصبح وزيرا للتربية الوطنية في أول حكومة للرئيس هواري بومدين ، و أقترح تعيينه مفتشا عاما لوزارة التربية

مكلفا بالمراقبة و صياغة المناهج ، فأدى هذه المهمة بكفاءة و نجاح ، و إستمرت الكتب المدرسية التي أشرف عليها الأستاذ شيبان لتدرسها عدة أجيال من أبناء الجزائر ، وأستمر في منصبه الى غاية سنة 1980 .

## شيبان ... وزيرا للشؤون الدينية

في بداية ثمانينيات القرن الماضي تم تعيينه من طرف الرئيس الشاذلي بن جديد وزيرا للشؤون الدينية ، حيث أعطى دفعا كبيرا للقطاع ، من خلال تجديد الرؤية الفكرية و التنظيمية لتشاطات الوزارة ، و أدخل تعديلا على تسمية الملتقيات الفكرية السنوية ، و برمج محاور للنقاش تتماشى مع متطلبات المرحلة و مطالب شعبية ، فدرس الملتقي تباعا مصادر التشريع الإسلامي الأربعة ( 4) القرآن و السنة و الإجماع و القياس و المصالح المرسلة ، و من مآثره التي حكاها الأستاذ عبد الرزاق مقري رئيس حركة مجتمع السلم ، ما كتبه في يومية الشروق ع 20 أوت 2011 ، أي بعد وفاة الشيخ شيبان رحمه الله ( حينما أخرج الشيخ محفوظ نحناح و رفيق دربه محمد بوسليماني رحمهما الله من السجن ، في بداية الثمانينيات ، وجدا نفسيهما بلا عمل ولا قدرة على التحرك أو البذل ، فرق لحالهما الشيخ شيبان رحمه الله ، و كان يعرف فضلهما و مقامهما ،فصنع لهما معروفا ) قال لي الشيخ شيبان ذات يوم ، سأحكي لك قصة عن محفوظ نحناح و بوسليماني لا يعرفها الناس ، كنت وزيرا للشؤون الدينية ، حينا خرج الرجلان من السجن ، فقررت أن لا أتركهما في تلك الحالة ، و أن أوفر لهما فرصة أخرى ليواصلا مشوارهما الدعوي ، فناديتهما عندي في الوزارة ، و قلت للشيخ محفوظ نحناح: سأوظفك و صاحبك في قطاع الشؤون الدينية ، و أمنحكما سيارة تتحركان بها ، و إذهبا حيث شئتما ، إذا أحتجتك سأتصل بك ، و إذا إحتجتني أتصل بي ... أنا أعلم أنك زعيم في أصحابك و الله يسهل عليك أنا لا علاقة لي بجماعتك ، فأنا كذلك زعيم ، إذهب حيث شئت و أفعل ما تريد ) و يضيف الأستاذ مقري معلقا ( لقد كان موقف الشيخ شيبان هذا مخاطرة كبيرة ، فقد أخبرني أن مسؤول المخابرات في ذلك الوقت لامه على ذلك لوما شديدا ، و حذره من مغبة فعله ، فقال له الشيخ شيبان أنا مسؤول عن الرجل ما دام عندي ، و كل ما يقوم به خارج إطار الشؤون الدينية أنتم مسؤولون عنه و لا شأن لي بالموضوع ) و بعد ظهور المواقف الوطنية للشيخ نحناح أثناء الأزمة الأمنية السياسية و الإرهاب ، قال نفس المسؤول المخابراتي للشيخ شيبان ، لقد كان رأيك في الرجل صائبا. و لا شك أن رأي الشيخ شيبان كان صائبا ، لأن أحتواء النخب الفكرية و الدعوية ذات الشعبية الكبيرة هو نوع من الإستثمار الفكري طويل الأمد ، و توسيع للقاعدة الإجتماعية اللدولة . و قد شهدت هذه الفترة تدشين مشروع المدرسة الأساسية ، و إستحداث فرع العلوم الإسلامية في معظم ثانويات الوطن ، و التحضير لإفتتاح المعهد العالي لأصول الدين بالعاصمة .

## بعد التقاعد

شارك الشيخ عبد الرحمن شيبان بعد التقاعد في إعادة تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، ثم تولى رئاستها بعد وفاة رئيسها الأول الشيخ أحمد حماني ، و يعتبر الشيخ شيبان من أشد المعارضين لنظام الرئيس بوتفليقة ، حيث إعتبره في تصريح للصحافة بأن أسوأ نظام عرفته الجزائر .

## من أقوالــه

كلمات من محاضرته الإفتتاحية لملتقى ال 15 للفكر الإسلامي المنعقد في الجزائر العاصمة من 1 الى 7 سبتمبر 1981

إن الملتقى الخامس عشر للفكر الإسلامي ، يكتسي أهمية خاصة يستمدها من إعتبارات شتى:

أولها : أن محوره هو القرآن الكريم ، أساس تشريع المسلمين ، ومصدر هدايتهم ، و منبع حضارتهم ، وباعث نهضتهم .

ثانيهما: انه يصادف صحوة إسلامية شاملة ، و فترة يحتفل فيها المسلمون بالقرن الخامس الهجري .

ثالثتها: أنه ينعقد في الوقت الذي تسعى فيه الجزائر الى تعميق أسس شخصيتها العربية الإسلامية ، بوعي إسلامي صحيح ، يربط ماضيها بحاضرها ، و يحمي مسيرتها من التعثر ، و يقي بناءها من التفكك ، و يدفعها الى تجديد الصلة بالقرآن الكريم و الإهتمام بحفظه و دراسته و تدبر معانيه و التأدب بآدابه

## وفاتـــه

توفي رحمه الله يوم 12 أوت 2011 و دفن بمسقط رأسه قرية الشرفة ولاية البويرة .

## مولود قاسم نايت بلقاسم

مجاهد و مفكر و شخصية سياسية وطنية من مواليد 06 جانفي 1927 بقرية بلعيال بلدية أقبو ولاية بجاية ، بدأ حياته الدراسية بمسجد القرية ، فحفظ القرآن الكريم ، وتعلم مبادىء اللغة العربية و العقيدة و الفقه ، و لا تذكر معظم المصادر التاريخية أية معلومات عن دراسته الإبتدائية أو المتوسطة أو الثانوية ، فقد أشار الشيخ محمد الطاهر آيت علجت الى أن والد الأستاذ مولود قاسم قام بتسجيله بالمدرسة الفرنسية ، غير أنه لم يستمر في الدراسة لبعد المدرسة عن مقر سكناه ، حيث ينتقل كتاب سيرته مباشرة من التعليم المسجدي الى ذهابه الى تونس للدراسة في جامع الزيتونة عندما بلغ سن التاسعة عشر ( 19 ) أي في سنة 1946 ، و بعد أربع ( 4 ) سنوات يتحصل على شهادة الأهلية ، فينتقل مباشرة الى القاهرة سنة 1950فسجل للدراسة بجامعة القاهرة و تخرج بعد أربع سنوات بشهادة اللسانس في الفلسفة ، و لكن حالة الغموض و الإضطراب التي سجلناها في مشواره التعليمي المتوسط والثانوي ، لازمته في مرحلة التعليم مابعد الليسانس ، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أنه إنتقل سنة 1954 الى العاصمة الفرنسية باريس وسجل بحثا للحصول على شهادة االدكتوراه في الفلسفة بعنوان ( الحرية عند المعتزلة ) و في سنة 1956 و بعد إعلان إضراب الطلبة الجزائريين الشهير بداية من يوم 19 ماي ، إستجاب لنداء الإتحاد العام للطلبة الجزائريين ، بالتخلي عن مقاعد الدراسة و الإلتحاق بصفوف الثورة ، و بعد مضايقات متكررة من الأمن الفرنسي،إضطر الى الهجرة نحو جمهورية التشيك ، و قام بتسجيل بحث للحصول على شهادة الدكتوراه في الفلسفة بعنوان ( الحرية عند كانط ) لكنه سرعان ما تخلى عن مشروع الدكتوراه في الفلسفة وأستجاب طواعية و دون تردد لنداء الوطن مرة أخرى ، حيث إستدعاه الأستاذ سعد دحلب . عضو لجنة المفاوضات مع الحكومة الفرنسية . و كلفه بإعداد رد مفحم على المفاوض الفرنسي جوكس ، الذي كان يصر أثناء مفاوضات إيفيان على فصل الصحراء الجزائرية عن الوطن الأم .

## المسار النضالي

بدأ مولود قاسم مشواره النضالي من العاصمة التونسية و هو طالب بجامع الزيتونة ، من خلال إنخراطه في خلية حزب الشعب التي كونها مجموعة من الطلبة الزيتونيين ، و بالقاهرة إلتقى

بالعديد من الطلبة الجزائريين ، و تعرف على قادة الثورة ، حيث إستفادوا منه خاصة في مجال الترجمة الى عدة لغات .

## مولود قاسم و جمعية العلماء

رغم أن الحظ لم يسعفه للدراسة في مدارس جمعية العلماء في الجزائر أوالإستفادة من خدماتها عن طريق مكتبها بالقاهرة ، فأنه يبدو متأثرا بشكل كبير بمبادىء و أدبيات الجمعية ، حيث نلمس ذلك التأثر في أول ظهور إعلامي له أثناء تقديم محاضرة بالنفق الجامعي في العاصمة ، سنة 1968 بعنوان نداء الى الأمة ، حيث جاء تركيزه على المبادىء الثلاثة التي إعتمدها الشيخ بن باديس كأساس ضروري لعودة الوعي و البناء الحضاري ، وهي تشكل حسما مبكرا للهوية الجزائرية الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا ، فأعاد صياغتها في شكل جديد ( اللغة ، الدين ، التاريخ ) و قد لقيت هذه المحاضرة تجاوبا كبيرا من الجمهور العريض الذي حضر ، كما لقيت أصداءطيبة خارج العاصمة .

## التعليم الأصلي

مع بداية الإستقلال ، إعتمدت الجزائر أربعة ( 4 ) أنظمة تعليمية هي التعليم العام و التقني ، و شبه العسكري . مدارس أشبال الثورة ، و التعليم الأصلي أي الإسلامي ، و كانت الفكرة أو المشروع كما ذكرنا سابقا ، من إقتراح الأستاذ أحمد توفيق المدني ، ثم تبنتها وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف في عهد الرئيس أحمد بن بلة ، و في عهد الرئيس هواري أصبح المشروع ضمن أولويات الحكومة وخصصت له ميزانيات معتبرة في مخططاتا التنمية ، و أصبح تحت وصاية وزارة قائمة بذاتها هي وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، حيث إقترح عليه الرئيس هواري بومدين سنة 1972 هذه الحقيبة ، فقام بتغيير المناهج التعليية التي كانت مستوردة من مصر و مطابقة للمنهج الأزهري ، فتم جزأرة التعليم بنسبة كبيرة من حيث المنهج و أدخلت عليه الكثير من المواد التي المبرمجة في التعليم العام ، مع إضافة وتكثيف المواد الإسلامية كالعقيدة و الفقه و التفسير و السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف ، و قد تحول التعليم الأصلي الذي تم إقتراحه مع بداية الإستقلال لإستيعاب التلاميذ الكبار الذين لم يتمكنوا من متابعة الدراسة في فترة الإحتلال ، الى أكبر منافس للتعليم العام خاصة في فترة مولود قاسم ، حيث كانت نسبة النجاح في الإمتحانات الفاصلة ، الأهلية و الباكالوريا مرتفعة جدا.

## مجلات مولود قاسم

إرتبط إسم مولود قاسم نايت بلقاسم بعدة مطبوعات جزائرية راقية صدرت بعد تعيينه مباشرة وزيرا للتعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، و على ما يبدو فإنه كان مولعا بالمطبوعات الورقية ، بدليل أن كل أشغال ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي كانت تطبع في كتب ضخمة و توزع مجانا عتلى مختلف مساجد الجمهورية ، و قد إطلعت شخصيا على نسخ منها بمكتبة مسجد قرية القراح ( القرزي ) مسقط رأسي ، وأذكر من هذه المطبوعات:

**1 ـ مجلة القبس:** و هي كما يروي الأستاذ بلعلام صديق و رفيق الأستاذ مولود قاسم ليومية الشروق ، شهرية فكرية صدرت بعد تعيين مولود قاسم وزيرا للتعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، و قد أسندت إدارتها الى الأستاذ بلعلام و قد إستقطبت العديد من الأقلام الجزائرية و العربية ، لكن هذه المجلة لم تعمر طويلا و إستخلفتها مجلة أخرى ، ولم يسعفني الحظ في الحصول على أي

عدد من هذه المجلة رغم إهتمامي بالجرائد و المجلات منذ الصغر ، ربما لم توزع بشكل جيد ، ولم تصل الى أكشاك و مكتبات مدن شرق البلاد .

**2 ـ مجلة الأصلة:** هي في الأصل مجلة شهرية فكرية جامعة ، صدرت مع بداية سبعينيات القرن الماضي ، و كتب إفتتاحية العدد الأول الرئيس هواري بومدين ، و بشر بقرب صدور مجلة فكرية أخرى بعنوان الثقافة ، لكنها تأخرت الى بداية الثمانينيات ، كان لي شرف الإطلاع على أعداد متفرقة من مجلة الأصالة من خلال مكتبة مسجد القرية التي ولدت و عشت فيها حتى الأربعين من عمري ، و من هذه المجلة المحكمة تعرفت على العديد من الكتاب الجزائريين و العرب ، وتعتبر مجلة الأصالة التي إستمرت في الصدور بشكل دوري الى غاية الثمانينيات ، مرأة صادقة للحياة الفكرية و الثقافية طيلة العشرية الممتدة من 1970 الى 1980 ، وهناك طرفة تحكى عن العدد الأول ، حيث صدر بغلاف فيه صورة البطل النوميدي الأمازيغي يوغورطا ، فقامت قيامة التيار الفرنكوفوني الذي وجدها فرصة للتخلص من مولود قاسم ، فكتبوا في الصحف بأن الأستاذ مولود قاسم الذي يزعم أنه يدافع عن عروبة الجزائر هاهو قد ظهر على حقيقته و لم ينس أمازيغيته ، لكن الرئيس الراحل هواري بومدين لما علم بالقصة أدرك ما يريد أن يوصله مولود قاسم من رسائل الى الفرنكوفون و البربر و حتى غلاة المعربين و الإسلاميين ، الأستاذ مولود قاسم كان يود بنشر صورة البطل النوميدي يوغورطا في غلاف أول عدد من مجلة الأصالة ، أن الوطنية الحقيقية لا تعني نكران الماضي السحيق وتجاهل أبطال التاريخ ، كما أراد تذكير الجزائريين بأنهم كلهم بربر أمازيغ ولا يمكن لأي أحد أن يدعي أنه بربري أكثر من الآخر ، و نفس الأمر بنطبق على العروبة و الإسلام .

## الإنقلاب الشيوعي

عاش مولود قاسم فترة الشموخ و التحدي التي وصلت فيها الجزائر الى منتصف الجسر و تحولت البلاد الى ورشة مفتوحة ، من خلال المشاريع المكثفة التي شملت مختلف مدن وقرى الجزائر ، و في نفس الفترة شهدت البلاد صراعا إيديولوجيا بين عدة تيارات سياسية و ثقافية متناقضة ، الإسلاميون و المعربون من جهة و اليسار و الفرنكوفون و البربر من جهة ثانية ، و لم يكن الصراع بين سلطة و معارضة فقط ، بل إمتد الى القمة داخل النظام ، حيث كان الرئيس بومدين محاطا بنخب مختلفة الإتجاهات و الأهداف ، و بعدما حكم البلاد مدة عشر ( 10سنوات من دون دستور و لا برلمان ) قرر الرئيس بومدين مشروع الميثاق الوطني والدستور، و تم فتح المجال أمام كل فئات و شرائح الشعب الجزائري لماقشة المشروع التمهيدي للميثاق الوطني ، لكن المشكلة أنه تم إسناد صياغة الميثاق الوطني الى ثلاثي يساري شيوعي فرنكوفوني ، وتلك كانت غلطة فادحة للرئيس بومدين الذي كان يثق كثيرا في وزير خارجيته عبد العزيز بوتفليقة ، وبعد وصول التقارير الولائية و الجهوية تبين أن الشعب الجزائري أختار التعليم الأصلي كنموذج للتعليم الجزائري ، لكن النخبة الفرنكوفونية الشيوعية مدعومة بعبد العزيز بوتفليقة ، رأت أنه ليس من مصلحة الجزائر إعتماد نظام التعليم الإسلامي ، فقامت بالتحايل من خلال تأكيد إدماج التعليم العام و التعليم الأصلي في نظام تعليمي واحد نظريا ، وتم تدوين هذه الفقرة في الميثاق الوطني لسنة 76 ، لكن في واقع الأمرهو إلغاء التعليم الأصلي من أساسه و تحويل إطاراته و ممتلكاته و عقاراته الى وزارة التربية ، و مما يؤسف له حصول إجماع و بالأغلبية الساحقة في مجلس الوزراء ، عند التصويت على مقترح إلغاء التعليم الأصلي ، حيث من مجموع 32 وزيرا ، لم يصوت ب لا سوى وزيرين و هما مولود قاسم نايت بلقاسم و بن حبيلس ، وقد تأثر الأستاذ مولود قاسم كثير بهذه المؤامرة و هو الذي كان يحضر نفسه لإستلام حقيبة التربية بعدما أسر له الرئيس بومدين بتلك الأصداء الطيبة القادمة من أعماق الجزائر ، لكن تدخلات و ضغوطات فرضت تعيين

الفرنكوفوني اليساري مصطفى لشرف وزيرا للتربية ، و مما يؤسف له أيضا أن مصطفى لشرف كان قد أبدى إعجابا كبيرا بتجربة التعليم الأصلي في الجزائر ، لكن و بمجرد وصوله الى المسؤولية و القرار ، غير رأيه 180 درجة مع العلم أن الأستاذ مولود قاسم هو الذي توسط لدى الرئيس بومدين من أجل تعيين مصطفى لشرف في الحكومة ، و هو الذي إقترح إنشاء ثلاث ( 3 ) أو أربع ( 4 ) كليات للتعليم الإسلامي العالي بالجزائر تغطي مختلف مناطق الوطن من الشمال الى الجنوب و من الشرق الى الغرب ، لكن إقتراحه قوبل برفض وعرقلة من طرف التيار العلماني داخل النظام ، و قد حارب مولود قاسم على عدة مستويات أعداء الداخل من العلمانيين اليساريين و الفلرنكوفون و البربر ، و أعداء الإسلام من المسيحيين المبشرين خاصة ، و قد طلب من المديرية العامة للبريد بحجز كل الطروف أو الكتب و المجلات و المنشورات القادمة من وراء البحر ، ويثبت بالدليل أنها منشورات مسيحية تبشيرية ، و لما جمعت الإدارة المعنية تلك الرزم و حجزتها ، أخذ عينة منها و قدمها لأحد القساوسة الكاثوليك الذين كانو يمثلون دولة الفاتيكان في الجزائر ، فأنكر ذلك و قال له نحن لا نمارس التبشير بهذه الطرق ، و ألصق التهمة بإخوانه البروتستنت.

## تعميم إستعمال اللغة العربية

في فترة الرئيس الشاذلي بن جديد ، و في غمرة الإهتمام الرسمي و الإعلامي و الشعبي بموضوع التعريب ، تم إسناد كتابة الدولة لتعميم إستعمال اللغة العربية للأستاذ مولود قاسم ، و كما أبلى بلاءا حسنا في قطاع التعليم الأصلي وصارع خصومه المندسين داخل النظام و خارجه ، أبلى بلاءا حسنا في قطاع التعريب ، و في هذا السياق رويت عنه حكايات و طرائف تقترب من الأساطير ، و قد سمعته ذات مرة يقول في التلفزيون مستنكرا ، كيف لصاحب محل صغير بإحدى مداشر منطقة القبائل يبيع الكسبر و الجاوي ، يكتب على واجهة محلة باللغة الفرنسية EPICERIE DE LA VILLE و تذكر بعض المصادر أنه كان يحمل في سيارته و هو كاتب للدولة علبة دهن سوداء وفرشاة ، وكلما صادفته علامة أو عبارة باللغة الفرنسية في الشوارع أو المحلات قام بمحوها.

## مع الإما م الخميني

بعد إنتصار الثورة الإسلامية الشيعية في إيران سنة 1979 أرسله الرئيس الشاذلي بن جديد ضمن بعثة جزائرية لتهنئة القيادة الإيرانية الجديدة بإنتصار الثورة ، و لما إستقبله الإمام الخميني تحدثه معه باللغة الفارسية ، فتأسف الأستاذ مولود قاسم و شعر بالحزن الشديد ، لأن إيران الإسلامية تستقبل ضيوفها العرب باللغة الفارسية ، فقال للمترجم قل لرئيسك يكلمني باللغة العربية ، و إلا سأكلمه بلغة لن يجد لها مترجما ، و بطبيعة الحال فإن اللغة التي يقصدها مولود قاسم هي اللهجة القبائلية .

## مؤلفاته

لم يؤلف الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم كتبا كثيرة ،لأنه إشتغل طول حياته كما الرجال العظام في تكوين و تأليف الرجال ، لكنه ترك للمكتبة الجزائرية بعض المؤلفات منها

إنية و أصاله في عدة أجزاء .

أصالية أم إنفصالية .

ردود الفعل الأولية على غرة أول نوفمبر.

## وفاتـــــه

توفي رحمه الله سنة يوم 27 أوت 1992 متحسرا على عودة التيار العلماني الفرنكوفوني المعادي للقيم الوطنية و الروحية ، حيث كان أول قرار يصدره المجلس الإنتقالي هو تجميد قانون تعميم إستعمال اللغة العربية .

## أحمد طالب الإبراهيمي

ولد أحمد طالب الإبراهيمي في 5 جانفي 1932، بمدينة سطيف بالشرق الجزائري ، و هو إبن الشيخ البشير الإبراهيمي ، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و رئيسها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، لم يعش الطفل أحمد طفولته بمسقط رأسه مدينة سطيف ، أو بين أحضان عائلته الكبيرة بضواحي مدينة برج بوعريريج ، لأن ظروفا قاهرة إقتضت تنقل والده الى مدينة تلمسان بالغرب الجزائري ، ليتخذ منها مقرا جهويا لجمعية العلماء تنطلق منها المرحلة الثانية من الثورة الثقافية ، التي بدات بإحتشام و بإمكانيات فردية متواضعة من طرف الشيخ إبن ياديس ، لكنه عاش طفولته المبكرة بمدينة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية العريقة ، و لما بلغ السن القانونية للتمدرس رفض أبوه تسجيله في المدرسة الفرنسية خوفا على فلذة كبده من الأفكارالعلمانية و المسيحية التي تحرص الإدارة الفرنسية على زرعها في أذهان التلاميذ العرب ، لكن وبعد تردد و خوفا من حرمان أبنه من نعمة التعليم ، سجل الطفل أحمد الإبراهيمي في المدرسة الفرنسية بتلمسان و تدرج في التعليم و قطع كل أشواطه و مراحله بنجاح ، فتحصل على شهادة الباكالوريا في نهاية الموسم الدراسي 48 / 1949، و في الموسم الجامعي 49 / 1950سجل في السنة التحضيرية فرع الطب و بعد خمس ( 5 ) سنوات من الدراسة في الطب ، سافر الى العاصمة الفرنسية باريس لإستكمال دراسته العليا ، و سجل في كلية الطب و أجتازالإمتحان النظري النهائي للتخرج بنجاح ، مما أتاح له الفرصة لتعميق دراساته التطبيقية بعدة مستشفيات فرنسية ، ليتحصل في نهاية مشواره الدراسي على شهادة الدكتوراه في الطب.

## النضال السياسي

تأثر أحمد طالب الإبراهيمي بحياة و نشاط والده الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، و أدرك منذ شبابه المبكر بشاعة الإستعمار الفرنسي المجرد من كل روح إنسانية ، وأكتشف زيف الأطروحة الفرنسية حول حقوق الإنسان و مبادىء ثورتها ، حيث عايش عن قرب إنسانية فرنسا عندما أقدم جنودها على إعتقال والده بطريقة عنيفة لا رحمة و لا شفقة فيها ، ثم الحكم عليه بالإقامة الجبرية في مدينة الأغواط ، لا لشيء فقط لأنه كنخبة إسلامية واعدة وجد نفسه بالفطرة رافضا للظاهرة الإستعمارية و سياسة الأمر الواقع ، و أثناء الدراسة الجامعية التي تزامنت مع فترة الشباب بدأ يدرك بصورة واضحة و جيدة طبيعة الصراع بين الجزائريين الذين يمثلون السكان الأصليين للأقليم الجزائري و هم اصحاب الأرض ، و المستعمرين الفرنسيين الغزاة ، في مدرجات جامعة الجزائر التي وجد فيها عدد قليل من الطلاب الجزائرين ، إكتشف الشاب أحمد الإبراهيمي آلية تسمى النضال السياسي ، و من مدرجات جامعة الجزائر في بداية خمسينيات القرن الماضي بدأ حياته النضالية ، و كأنه يستعيد تجربة المؤسسون الأوائل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، عندما إستغل الصحافة المكتوبة لمقارعة الإستعمار الفرنسي فكريا ، و توضيح الموقف الجزائري ، إختار الشاب أحمد الإبراهيمي كذلك أن تكون الصحافة هي وسيلته النضالية الفضلى للنضال السياسي حيث كان متحمسا لإصدارجريدة أختار لها إسما مميزا و

معبرا هو ( الشاب المسلم ) فكانت بحق معبرة عن النخبة الشابة الجزائرية المسلمة المتعلمة باللغة الفرنسية ، ثم كان من المؤسسين الأوائل للإتحاد العام للطلبة المسلميمن الجزائرين رفقة الزملاء أمين خان ، محمد الصديق بن يحي ، ثم أصبح رئيسا للتنظيم الطلابي ، و بعد إعلان الثورة حيث صادف وجوده بفرنسا لم يتردد في الإنضمام أليها عبر فدرالية جبهة التحرير بفرنسا ، فقام بعدة أنشطة سياسية تعبوية لصالح الثورة ، فتفطنت إليه مصالح الأمن الفرنسي في شهر آفريل سنة 1957 فزجت به في إحدى السجون الفرنسية أين إلتقى الزعماء الأبعة ( 4 ) و الصحفي المرافق لهم مصطفى لشرف ، الذين إختطفتهم المخابرات الفرنسية أحمد بن بلة ، محمد بوضياف ، حسين آيت أحمد محمد خيضر ، وفي السجن الفرنسي إكتشف أحمد الإبراهيمي سلبية قادة الثورة و صراعاتاهم الهامشية على الزعامة و هم داخل السجن محرمين من أبسط الحقوق .

## بعد الإستقلال

عانى المجاهد المثقف الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي بعد الإستقلال من الإضطهاد و الإقصاء من طرف نظام أحمد بن بلة ، على خلفية صراعه السابق و خلافاته مع والده التي إمتدت من عهد الثورة الى عهد الإستقلال ، حيث رفض الشيخ الإبراهيمي تقديم صك على بياض و تزكية مجانية لنظام أحمد بن بلة ، الذي رد على هذا الموقف بموقف أكثر تشددا حيث رفض الترخيص بالنشاط لجمعية العلماء ، و بعد الإطاحة بالرئيس أحمد بن بلة من طرف العسكر ، عينه الرئييس هواري بومدين وزيرا للتعليم الإبتدائي و الثانوي قائلا له : ألم يكن والدك يحلم بتشييد مدرسة و مسجد في كل قرية ؟ ... سننفذ حلم والدك و نبني في كل قرية مسجد و مدرسة .

## بداية المعركة

إختيار العقيد هواري بومدين الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي لهذا المنصب الحساس ، في ظل تلك الظروف الصعبة ، التي تميزت بعودة الخلافات و الصراعات التي أجلتها الثورة بين الإخوة الثوار، فلم يكن الإختيار إعتباطيا أو لمجرد سد فجوة و إستكمال قائمة أعضاء الحكومة ، بل كانت إختيارا مدروسا ، يحمل عدة دلالات منها على سبيل المثال:

تجفيف مخلفات جراحات الماضي القريب بين جمعية العلماء ممثلة برئيسها السابق الشيخ البشير الإبراهيمي و عدد من قادة الثورة ، أحمد بن بلة على وجه الخصوص ، حيث إمتدت الخصومة الى قبيل الإستقلال بأيام و الى ما بعد الإستقلال.

إعادة الإعتبار و لو بصفة رمزية لجمعية العلماء الي قادت ثورة ثقافية بإمكانيات بسيطة و عملت على تكوين عدة دفعات من الطلبة و الطالبات ، كانوا في طليعة ثوار أول نوفمبر .

رسالة قوية الى التيارات الفرنكوفونية و اليسارية و البربرية التي تحلم بالنموذج التونسي ، بأن الجزائر ليست تونس و أن المدرسة اللائكية لا مكان لها في الجزائر .

و شكل تعيين شخصية وطنية مثقفة قريبة من التيار الإسلامي ، بل ولدت وسط أجوائه و ترعرعت تحت ظلاله ، غصة في حلق العلمانيين و الفرنكوفون و البربر ، و من هنا بدأت الحرب الباردة بين تلك التيارات مجتمعة و التيار العربي الإسلامي و الذي إمتد الى غاية اليوم ( فيفري 2021 )

## طالب الإبراهيم على خطى أسلافه

كان الدكتور طالب الإبراهيمي رغم دراسته العليا في الطب باللغة الفرنسية ، متحمسا لقضية التعريب التي أصبحت ملحة و من الأولويات ، أما الملف الثاني الذي إشتغل عليه الدكتور وكان يحمل هو الآخر الطابع الإستعجالي هو إعادة الإعتبار لجمعية العلماء ليس كتنظيم ثقافي و فكري و دعوي و تربوي ، و لكن كفكرة و كمنهاج ، وأول إقتراح قدمه للحكومة هو إعتبار يوم 16 آفريل ذكرى وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس ، يوما للعلم تحتفل به كل المؤسسات التعليمية ، كإلتفاتة رمزية لهذا الرجل العظيم و لرفاقه و لجمعية العلماء ، و القضية الثالثة التي سعى الدكتور طالب الإبراهيمي لتدخل فيها من وقعه كوزير في حكومة الرئيس بومدين ، هي قضية إعدام المفكر الإسلامي العظيم سيد قطب ، حيث يقول الدكتور طالب بالحرف الواحد ( إتصلت بالرئيس بومدين و عرضت عليه قضية سيد قطب، و قلت له ، صحيح أن النظام المصري و الرئيس عبد الناصر قدما الكثير من الدعم الى الثورة الجزائرية ، و للعديد من حركات التحريرفي العالم العربي ، لكن كل ما قدمه عبد الناصر للثورة الجزائرية و حركات التحرير عندما يوضع في كفة ، و إعدام سيد قطب في كفة ثانية ، سيسقط كل ما قدمه و يمح كل مآثره ... إستمع الرئيس ألي بهدوء و بإهتمام شديد و لم يرد علي سوى بقوله : صحيح أن الحكم لا يتناسب مع التهمة الموجهة الى سيد قطب.

## ملف التعريب

تبنى الدكتور طالب الإبراهيمي قضية التعريب بصورة آلية بإعتبارها إحدى أهم أهداف الثورة المكملة للسيادة الوطنية ، و هي من الأهداف التي ناضلت و عملت من أجلها جمعية العلماء ، و اللغة العربية كما يعرف الجميع هي إحدى ركائز و مقومات الشخصية الوطنية ، فلا إستقلال ولا سيادة إذا كانت لغة الإستعمار هي السائدة و السيدة في البلد ، في الإدارة و الإعلام و البنوك و المعاملات التجارية و المحيط ، و لذلك سارع النظام الجزائري الى فتح هذا الملف مباشرة بعد إسترجاع السيادة الوطنية ، وعن هذا الموضوع قال الدكتور طالب الإبراهيمي :إلتقينا مع الرئيس هواري بومدين لمناقشة موضوع التعريب ، و لاحظت على وجوه بعض الحاضرين ، بعض التحفظات أو التخوفات الصامتة ، وربما يكون الرئيس قد لاحظ ذلك ، و عند أخذ الكلمة سعى الى حسم الموقف بصفة نهائية ، وتبديد مخاوف المترددين فقال بالحرف الواحد: موضوع التعريب من حيث المبدأ قضية لا نقاش فيها ، و نحن هنا لمناقشة موضوع التعريب من حيث الوسائل و الطرق و الكيفيات التي تساعدنا على إعادة الإعتبار للغة العربية إحدى أهم مقومات السيادة الوطنية .

## طالب الإبراهيمي ... و الرئيس هواري بومدين

تحدث الإبراهيمي ف مذكراته و في لقاءاته التلفزيونية بكثير من الإعجاب و الحميمية عن الرئيس هواري بومدين ، و سعى في كل مناسبة لتفنيد كل الأكاذيب و الإشاعات التي حيكت و روجت عن الرئيس بومدين ، كقول بعض السفهاء من الناس:أنه إضطهد النخب المثقفة ، بفندها الإبراهيمي قائلا : ذات صباح إتصل بي الرئيس بالهاتف و طلب مني معلومات تخص كاتب روائي يدعى الطاهروطار ، كان قد ألف رواية حاول بعض المغرضين تقديمها الى الرئيس و كأنها تسيىء الى نظام الحكم من خلال بعض الإسقاطات و الرموز ، فقلت له: سيدي الرئيس إن الطاهر وطار هذا هو كاتب و روائي جزائري ، و هو قبل ذلك مواطن جزائري و عضو بارز في الحزب ، يحتل منصب المفتش العام ، يعني أنه واحد من أبناء العائلة ، و حتى و إن قام بنقد موضوعي و

بناء لبعض الأخطاء ، فإنه بالمقابل من الذين ثمنوا كل ما تحقق من إنجازات - و معلوم أن الطاهر وطار هو من أبرز كتاب و أدباء ما سمي ب الواقعية الإشتراكية و كان من خصوم التيار الإسلامي و هو محسوب على اليسار العربي ، وعن قضية إغتيال المجاهد كريم بلقاسم و التي تنسب الى الرئيس بومدين فقد سئل الدكتور الإبراهيمي الرئيس بومدين عن حيثياتها فأجابه بأنها قضية تصفية حسابات .

## مع الرئيس الشاذلي

مع مجيء الرئيس الشاذلي بن جديد سنة 1979 حاول الحفاظ على طبيعة النظام شكلا ومضمونا لكنه قام بتصفية الوجود اليساري الشيوعي من داخل النظام ، وفي نفس الوقت أقر مصالحة تاريخية مع معارضي النظام السابقين ، و قد تزامن صعود العقيد الشاذلي بن جديد الى الحكم بعد وفاة الرئيس بومدين بعدة أحداث عالمية مست العالم الإسلامي منها نجاح الثورة الإيرانية الإسلامية الشيعية في الإطاحة بنظام الشاه ، و الإعلان عن جمهورية إسلامية بقيادة الناشط الإسلامي الإمام الخميني ، و بداية الصحوة الإسلامية و إنتشارها التدريجي في كل ربوع العالم الإسلامي و حتى الغربي ( أوروبا و أمريكا ) و تم تعيينه من طرف الرئيس بن جديد وزيرا للشؤون الخارجية فحمل الموقف السياسي الجزائري و دافع عن القضايا العربية و الإسلامية في كل المحافل الدولية ، و من الحقائق التي يرويها طالب الإبراهيمي في السنوات الأولى لحكم الرئيس بن جديد ، مشكلة الوزير السابق للشؤون الخارجية عبد العزيز بوتفليقة ، و الحساب البنكي بالعملة الصعبة في إحدى البنوك السويسرية ، حيث ذكر سفير الجزائر بسويسرا الحكومة الجزائرية بوجود حساب سري في إحدى البنوك السويسرية ، و علم الرئيس بن جديد بالموضوع فأستدعى على جناح السرعة الوزير السابق للشؤون الخارجية عبد العزيز بوتفليقة و طلب منه توضيحات للموضوع ، فقال بوتفليقة أنه حساب سري كان يستعمله الرئيس بومدين لتمويل بعض العمليات الخارجية ، لكن السيد مسعود زقار الذي كان مكلفا بالأمور الإقتصادية و المالية السرية في عهد الرئيس بومدين ، نفى بشدة أن يكون للرئيس بومدين حساب سري بالعملة الأجنبية أو حتى الوطنية ، و يضيف الدكتور الإبراهيمي ، فأمر الرئيس بن جديد الوزير السابق بوتفليقة بتسوية الموضوع في أقرب وقت ، و بعد أيام قلائل طلب بوتفليقة زيارة الرئيس بن جديد و سلمه صكا بالمبلغ الموجود في الحساب السري وشرح له كيفية غلقه ، فما كان من الرئيس بن جديد سوى أن طلب من بوتفليقة أن لا يرى وجهه في الجزائر إطلاقا - و يعتبر هذا الإجراء من رئيس دولة نوعا من النفي ، حيث غادر بوتفليقة الجزائر و لم يعش فيها طيلة فترة حكم الرئيس بن جديد ، و قد ساهم بدوره في إعادة النظر في ميثاق 76 المشحون بحمولة ثقيلة من الإشتراكية التي كانت مجرد خيار إقتصادي معزول عن جذوره الإلحادية و الإباحية ، فتحول في ميثاق 76 من طرف رضا مالك و مصطفى لشرف الى عقيدة و منهج حياة ، و في سنة 1986 أقتنع الرئيس بن جديد بضرورة التخلي التدريجي عن الإشتراكية فإقترح مشروع لإثراء الميثاق الوطني و أسند مهة صياغة الجانب الإديولوجي الى لجنة تتكون من أحمد طالب الإبراهيمي و عبد الرحمن شيبان و العديد من الشخصيات الوطنية المحسوبة على التيارالعربي الإسلامي ، لكن عمليا لم يتجاوز عمل هذه اللجنة التخفيف من الحمولة الماركسية التي طغت على ميثاق 76 دون أن تشير الى طبيعة المرجعية الوطنية التي نص عليها بيان أول نوفمر في أهم أهدافه .

## في عمق الأزمة السياسية و الأمنية

كان إسم الدكتور أحد طالب الإبراهيمي مطروحا لدى قيادة الجيش الجزائري ( الجنرال خالد نزار ومجموعته ) من الإنقلابيين ، كأحد البدائل الممكنة لسد الفراغ الذي ترك ، إستقالة الرئيس الشاذلي بن جديد ، بعد ظهور نتائج الدور الأول من الإنتخابات التشريعية و فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بأغلبية المقاعد ، و رفض مسؤول الجبهة أنذاك عبد القادر حشاني تنفيذ الإتفاق الذي تم بين الرئيس بن جديد و الشيخ عباسي مدني الرئيس الفعلي للجبهة الإسلامية للإنقاذ المسجون بالسجن العسكري بالبليدة ، حيث ذكرت بعض المصادر أنه في إجتماع للمجلس الأعلى للأمن لتسوية مشكلة الفراغ الدستوري ، إقترح الجنرال خالد نزار بصفته وزيرا للدفاع الوطني ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي كرئيس مؤقت للبلاد أو رئيس لمجلس أعلى للدولة يستكمل ما تبقى من عهدة الرئيس المستقيل الشاذلي بن جديد ، لكن رئيس آلحكومة التي أشرفت على تنظيم أول إنتخابات تشريعية تعددية حرة ونزيهة ، سيد أحمد غزالي و هو إطار في الدولة ووزير سابق ، إستعمل الفيتو لمنع مرور هذا الإقتراح ، مؤكدا للحاضرين بلهجة عامية فجة أن أحمد طالب الإبراهيمي هو ( فيس ) يعني متعاطف مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ( FIS ) كما تختصر باللغة الفرنسية ، و نلاحظ هنا أن بعض الجنرالات و رغم سلبياتهم الكثيرة يفكرون بعد الأزمة بمنطق واقعي ، فقد كان إقتراح طالب الإبراهيمي خلفا للرئيس المستقيل بن جديد يمكن أن يمتص غضب الشارع بعد إلغاء نتائج الدور الأول من الإنتخابات التشريعية وتجنب حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، و إيجاد حلول توافقية تبعد البلاد عن شبح الأزمة السياسية و الأمنية و الحرب الأهلية ، وهكذا ضرب العسكر صفحا عن هذا الخيار و إتجهوا نحو شخصية جزائرية ثورية عاشت نصف حياتها منفية بالمغرب الشقيق ، وأسندوا له منصب رئيس المجلس الأعلى للدولة و لم تمض سوى أشهر قليلة ويت إغتياله على المباشر ، كان محمد بوضياف العلماني المتطرف الخصم العنيد لجمعية العلماء و التيار الإسلامي ، هو رهان التيار العلماني لتصفية حساباته التاريخية مع التيار العربي الإسلامي ، لكن جرت رياح الجزائر بما لا تشتتهي سفن العلمانيين و البربر و دخلت البلاد في أزمة سياسية و أمنية ، أصبح فيها كل الناس مستهدفون برصاص الأرهاب ، و كل الناس ضحايا ومتهمين ... في تلك الأثناء و قبل إستقالة الرئيس بن جديد وإلغاء المسار الإنتخابي من طرف العسكر ، حاول طالب الإبراهيمي التوسط بين قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ممثلة بالمهندس عبد القادر حشاني ، والنظام برئاسة الشاذلي بن جديد ، لكن على ما يبدوا فإن الجناح المتطرف هنا و هناك كان له رأي آخر... كان من نتائجه ومخرجاته عشرية كاملة من الدماء و الدموع و تعطل المسار السياسي و الإقتصادي و التنموي ، و تحول البلاد الى جحيم ، و تكبدت خسائر باهظة في الرجال و الأموال و المنشآت نتيجة إرهاب أعمى مجهول الهوية و المصدر و الهدف.

## رئاسيات آفريل 1999

شارك الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في رئاسيات آفريل 1999 مع مجموعة من المترشحين ( حسين آيت أحمد ، مولود حمروش ، عبد الله جاب الله و ثلاثة مترشحين أرانب ) عرفوا فيما بعد بالفرسان الستة ، لمنافسة مرشح النظام الرئيس عبد العزيز بوتفليقة ، و بعد حملة إنتخابية جادة و قوية ، و حامية الوطيس ، لكنها مهذبة ومحترمة ، إنسحب المترشحون الستة ( 6) مباشرة مع بدْء تصويت المكاتب الخاصة ، الجيش و الدرك و الشرطة و الجمارك و أعوان الحماية المدنية ، و مع أن أغلب المترشحين هم من أبناء النظام أوقريبين منه ، ولديهم علاقاتهم الخاصة بمفاصل النظام ، فقد إلتقطوا أخبارا شبه مؤكدة تقول أن هناك تعليمات و أوامر أعطيت لأفراد الجيش و ألأمن و الأسلاك شبه العسكرية ، بالتصويت لصالح مرشح النظام عبد العزيز بوتفليقة ، وأن

المخابرات بقيادة الجنرال توفيق و الإدارة يعملان جنبا الى جنب من أجل ضمان فوز المترشح بوتفليقة وبأي ثمن . رغم أن الرئيس زروال إلتزم أمام الله و أمام الشعب أنه سينظم إنتخابات حرة و نزيهة . الأمر الذي أدى الى إنسحاب المترشحين الستة و منهم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي . و لما سئل بأن القانون الجزائري لا يسمح بإنسحاب المترشح أو المترشحين في مختلف الإنتخابات إلا في حالة العجز البدني عن المواصلة حتى الإعلان عن نتائج الإنتخابات . أجاب الإبراهيمي : أننا كمترشحين نشعر بالعجز التام أمام إصرار بعض الأطراف على توجيه أوراق الناخبين لتصب في صندوق مترشح معين . و قد أثر إنسحاب الفرسان الستة بشكل سلبي على العملية الإنتخابية برمتها . و على نسبة المشاركة الحقيقية حيث لم تتجاوز 15 في المائة . لكن تم تضخيم نسبة المشاركة و رفعها من طرف وزارة الداخلية الى 70 في المائة . و لو أن العلية الإنتخابية سارت بشكل طبيعي فإن الدكتور الإبراهيمي من دون شك سيكون فائزا في الدور الأول بأغلبية الأصوات أو على الأقبل مع مترشح آخر . ليحسم السباق في الدور الثاني .

## مؤلفاته

ساهم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي عندما كان وزيرا للثقافة في عهد الرئيس هواري بومدين في نشر تراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و منها:

عيون البصائر ، هو كتاب جمع المقالات التي كتبها والده في جريدة البصائر لسان حال الجمعية.

أما أهم مؤلفاته فهي:

ديوان الشاعر محمد العيد آل خليفة.

من تصفية الإستعمار الى الثورة الثقافية.

مذكرات في ثلاثة ( 3 ) أجزاء .

بالإضافة الى مقالات منشورة في أهم المجلات الجزائرية . الأصالة . الثقافة .

## محمد شارف

من مواليد سنة 1908 بمدينة مليانة ولاية عين الدفلى . حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادىء الإسلام و اللغة العربية على يد والده الشيخ عبد القادر بن حاج . ثم تابع دراسته الإبتدائية بأحدى المدارس بمسقط رأسه . ثم سافر الى الجزائرالعاصمة فتتلمذ لدى مجموعة من الشيوخ الأفاضل منهم السادة: بن سهادة . حسين بلحاج بوعرقة . محمد وكال . عبد القادر بن عودة . عبد الله الدراجي . محمود بن دالي . و في سنة 1936 شارك في مسابقة إنتقاء توظيف الأئمة ونجح بإمتياز . غير أنه لم يتمكن من شغل الوظيفة بعدما فرضت الإدارة الإستعمارية التجنيد الإجباري على الجزائريين للمشاركة في الحرب العالمية الثانية . حيث وقع السيد شارف أسيرا لدى الجيش الألماني من سنة 1939 الى 1944. وفي المحتشد تحول من سجين الى مدرس للغة العربية و علوم الدين . فإستفاد من خدماته الكثير من الأسرى المسلمين من مختلف الدول . بعد إطلاق سراحه تم تعيينه مؤذنا بالمسجد الكبير بالجزائر العاصمة . ثم تمت ترقيته الى وظيفته الأصلية

كإمام بمسجد سيدي رمضان بحي القصبة العتيق ، و في نفس الوقت مارس الخطابة في المسجد الكبير ، بعد إسترجاع السيادة الوطنية نظمت وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية مسابقة لإعادة تصنيف الإئمة ، فشارك فيها و كان من الناجحين ، فعين إماما خطيبا ، و تولى هذه الوظيفة في عدة مساجد بالعاصمة الى غاية خروجه الى التقاعد سنة 1987. و كان من المشاركين الدائمين في مختلف النشاطات الإسلامية و مرشدا و موجها و مربيا .

## مؤلفاته

فتاوى الشيخ محمد شارف.

الأمانة و أنواعها .

مناسك الحج و العمرة .

لغة العرب في القرآن .

رسالة في السدل و القبض .

الخطب المنبرية .

## عبد الرحمن الجيلالي

هو أشهر من نار على علم ، حيث يعرفه الجمهور الجزائري من جيل الستينيات برنامجه اليومي على القناة الإذاعية رأي الدين ، الذي يجيب فيه على أسئلة الجمهور في مدة قصيرة لا تتجاوز عشر ( 10 ) دقائق ، كما عرفته الأجيال الأخرى من خلال إطلالته السنوية عشية رمضان المبارك و عيد الفطر ، و لد عبد الرحمن الجيلالي سنة 1908 بالجزائر العاصمة ، تلقى تعليمه الأولي بمساجد العاصمة التي كانت في ذلك الوقت تمثل أهم المؤسسات التعليمية الحرة ، و بعد إفتتاح نادي الترقي بالعاصمة من طرف مجموعة من العلماء و المحسنين ، كان الشيخ الجيلالي من المداومين على حضور مختلف الفعاليات التي تقام فيه من محاضرات و ندوات فكرية وأدبية ، التي كان يلقيها أو يشارك فيها رواد الحركة الثقافية في ذلك الوقت ، عبد الحميد بن باديس ، الإبراهيمي ، العربي التبسي ، مبارك الميلي ، فإستفاد من ذلك الزخم الثقافي و ظهرت عليه منذ شبابه ميولات للثقافة الموسوعية بصفة عامة والتاريخ بصفة خاصة ، و لذلك عرف في الأوساط الاثقافية بأنه مؤرخ و فقيه ، حيث إقترح على إدارة الإذاعة الجزائرية سنة 1940 برنامجا يوميا مدته 15 دقيقة يقدم فيه فتاوى بسيطة و يجيب على أسئلة المواطنين المختلفة ، و بعد إسترجاع السيادة الوطنية إنضم الى سلك التعليم و ترقى فيه حتى أصبح أستاذا جامعيا ، و الشيخ عبد الرحمن الجيلالي هو ثالث مؤرخ جزائري أنجبته جمعية العلماء السلمين االجزائريين بعد مبارك الميلي ، و أحمد توفيق المدني .

## في المجلس الإسلامي الأعلى

بعد تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى في فترة الرئيس هواري بومدين ، وأسندت رئاسته الى الشيخ أحمد حماني ، أختير الشيخ عبد الرحمن الجيلالي كعضو نشط في المجلس الإستشاري ، و رئيس لجنة الفتوى ، حيث كان يعتبر من الناحية الشعبية مفتي الجزائر دون وظيفة رسمية ، و ساهم بإقتراحاته في إعادة التنظيم الإداري لوزراة الشؤون الدينية على المستويين المركزي و

المحلي ، و شارك بقلمه في إثراء مختلف الصحف و المجلات التي أصدرتها وزارة الشؤون الدينية الأصالة ، الرسالة ، العصر ، كما كان عضوا نشطا وفعالا وحاضرا في ملتقيات الفكر الإسلامي ومختلف النشاطات الإسلامية .

## الدكتوراه الفخرية

في ندوة تكريمية نظمتها مؤسسة الشروق للإعلام و النشر سنة 2008 ، قال الدكتوربوعمران الشيخ استاذ الفلسفة بجامعة الجزائر و رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقا، أن الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي يستحق دكتوراه في الفقه و أخرى في الأدب وثالثة في التاريخ ، و قد كرمته وزارة التعلي العالي و منحته دكتوراه فخرية من جامعة الجزائر، و تعتبرهذه الإلتفاتة أهم محطة في مساره المهني و الفكري و الثقافي الطويل .

## مؤلفاته

تاريخ الجزائر العام.

تاريخ المدن الثلاث : الجزائر ، المدية ، مليانة .

العلامة الدكتور إبن أبي الشنب .

العملة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر .

إبن خلدون في الجزائر.

## محمد الصالح رمضان

من مواليد سنة 1914 بمدينة القنطرة بوابة الصحراء الجزائرية . و هي مدينة جميلة تقع بين ولايتي باتنة و بسكرة في نقطة فاصلة بين الهضاب و الجنوب ، تلقى دراسته الأولى باللغة الفرنسية ، لكن تعمد معلمه إسقاطه في إمتحان الشهادة الإبتدائية ، وحرمه من مواصلة التعليم بشكل طبيعي و الإنتقال الى المرحلة المتوسطة ، هذه الحادثة أثرت في نفسيته أيما تأثير و هو لا يزال غلاما طريا لم يشتد عوده بعد ، فقاطع الدراسة و لم يمنح لنفسه إعادة السنة و تكرار التجربة لعل و عسى ، متجها مباشرة الى إحدى مراكز التكوين المهني ، وأختار تخصص النجارة و مداعبة الخشب ، وكما قال المولى عز و جل في كتابه العزيز ( و عسى أن تكرهوا شيئا و يجعل الله في خيرا كثيرا ) فلم يكن حرمانه من مواصلة مساره التعليمي بشكل طبيعي ، سوى أن الله سبحانه وتعالى قد إختار له طريقا آخرى ، ومسارا تعليما وتعليميا مغايرا ، هو أحسن و أفضل مما كان يفكر فيه ثم يتأسف عليه ، فالخيرة ما أختار الله فهو بكل شيء عليم ، إنتظر محمد الصالح رمضان مدة عشر ( 10 ) سنوات كاملة ليحن الى مقاعد الدراسة بعدما سمع بالمدارس الجزائرية الحرة التي تفتحها جمعية العلماء أوحزب الشعب أو الزوايا و المحسنين هنا وهناك ، و في سنة 1928 أصبح مدرسا بإحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين ، حيث تفتحت مواهبه في نظم الأناشيد الخاصة بالأطفال و الشباب ، ثم تحولت تلك الأناشيد الى أغان جزائرية يترنم بها الشباب و الأطفال ، وأصبحت مقررة في البرنامج الدراسي لجمعية العلماء ، ترقى في وظيفته من معلم اللغة العربية الى مدير مدرسة ثم مفتشا لمادة الأدب العربي.

## تراث الشيخ عبد الحميد بن باديس

حسبما ذكر المؤرخ محمد أرزقي فراد في مقال نشره بيومية الشروق يوم 24 ديسبر 2008 فإن الأستاذ محمد الصالح رمضان ، هو أول مثقف جزائري ينفض الغبار عن التراث الفكري للشيخ عبد الحميد بن باديس ، حيث تولى جمع كتابات الشيخ إبن باديس المنشورة في الجرائد و المجلات التي أصدرتها جمعية العلماء ، و إعدادها للطباعة و النشر ، عندما كان مكلفا بمديرية التعلي الديني بوزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، و هذه الكتب هي:

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير و هو تفسير لما تيسر من القرآن الكريم.

من هدي النبوة : و الظاهر انه شرح لبعض الأحاديث النبوية ، مع الملاحظة بأن هناك كتاب للشيخ إبن باديس مطبوع تحت عنوان مجالس التذكير من كلام البشير النذير، و يتعلق بشرح أحاديث نبوية من كتاب الموطأ للإمام مالك .

رجال السلف و نسائه . و القصص الهادف

العقائد الإسلامية.

و ذكر الأستاذ فراد أن الأستاذ رمضان تألم كثيرا عندما أعادت وزارة الشؤون الدينية نشر تراث الشيخ عبد الحميد بن باديس ، أواخر القرن الماضي ، دون الإشارة الى جهوده السابقة في هذا المجال ، و جدير بالذكر أن الدكتور عمار طالبي أسشتاذ الفلسفة و أول رئيس لجامعة الأمير عبد القادر للعلو الإسلامية ، يقول هو الآخر أنه قام بجمع و تحقيق جزء من تراث الشيخ إبن باديس ، و الطبعات التي نشرت من كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير و تضم تفسيرا لبعض الأيات ، كان الشيخ ينشرها أحيانا في جريدة الشهاب ، صدرت سنة 1982 عن دار البعث بقسنطينة دون الإشارة الى المحقق الذي أشرف على جمع المادة و تنسيقها وتبويبها ، ويظهر أن هناك نزاع حول هذا الموضوع .

## رائد أناشيد الأطفال

يعتبر الأستاذ محمد الصالح رمضان ، و من دون منازع رائد ا أنشودة الأطفال في الجزائر ، و من كبار كتاب المسرحيات الذهنية الهادفة .

## مؤلفاته

الخنساء : مسرحية .

من الفصيح الدارج في عاميتنا .

مغامرات كليب : قصة للأطفال.

شهيد الكلمة:رضاحوحو.
من عيون بلادي .

رحلة الى الصيف.

. الطاهر آيت علجات

من مواليد 7 فيفري 1917 بقرية تامقرة ولاية بجاية ، تلقى أولى مبادىء اللغة العربية و الدين الإسلامي بمسقط رأسه ، وحفظ القرآن الكريم وهوفي السنة الثانية عشر ( 12 ) من عمره ، ثم تتلمذ على يد نخبة من العلماء الأجلاء منهم السادة : السعيد البحري ، محمد علي الطيبي ، الحلو الخياري ، السعيد الحناش ، و من الشيوخ التوانسة مصباح ، محمد الغزواني ، محمد قريبة ، سافر الى تونس لمواصلة مشواره الدراسي بجامع الزيتونة ، فتتلمذ على مشايخ كبار و قامات إسلامية تونسية منهم السادة : إبن عاشور ، بن خوجة ، الشاذلي النيفر، الزغواني ، بن ميلاد ، و بعد نهاية الدراسة بالزيتونة عاد الى بلده سنة 1938ليتولى تدريس مادتي الأدب العربي و العلوم الإسلامية بزاوية سيدي يحي العدلي بمسقط رأسه ، و بقي في ذلك المنصب الى غاية سنة 1956 حيث تعرضت الزاوية الى قصف وحشي من طرف الطيران العسكري الفرنسي الغاشم ، فكان رد فعله هو الإلتحاق الفوري بجيش التحرير في الجبال من أجل الإنتقام من الجيش الفرنسي ، في أول لقائه مع الثوار إحتضنه العقيد عميروش و عينه مستشارا شخصيا و قاضيا ومفتيا في المنطقة الأولى من الولاية الثالثة ( القبائل الكبرى ) في مطلع سنو 1958 و بإقتراح من العقيد عميروش كلفته قيادة الثورة بالسفر الى تونس للإشراف على بعثات الطلبة الجزائريين الذين يدرسون بجامع الزيتونة ، لكنه تجاوز مهته تلك الى البحث عن آفاق أخرى للطلبة الجزائريين ، حيث نجح في إرسال مجموعة من الطلبة لمواصلة دراساتهم الجامعية في الجامعات العربية و الإسلامية ، نذكر من بينهم الشيخ محمد الشريف قاهر ، محمد أرزقي فراد.

## بعد الإستقلال

بعد الإستقلال إتضم الشيخ لأيت علجات الى سلك التعليم الإسلامي الذي كان تحت إشراف وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، وبعد إلغاء التعليم الإسلامي الذي كان يسمى ( ألأصلي ) مع نهاية الموسم الدراسي 76 / 1977 في إطار مؤارة الشيوعيين رضا مالك و مصطفى لشرف و من والاهما ، عين أستاذا لمادة الأدب العربي في التعليم الثانوي الى غاية تقاعده .

## النشاط الدعوي

الشيخ الطاهر آيت علجات هو أحد أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حيث إنضم اليها في حياته المبكرة ، و إن لم يتخرج من مدارسها أو معهدها ، فتأثر بأفكارها التي جمعت بين الإسلام و الوطنية ، و منهجها التربوي و الدعوي الوسطي الواقعي ، بعد تقاعده واصل نشاطه الدعوي في المساجد و تقديم النصائح و التوجيهات و الفتاوى للمواطنين ، و يعتبر الشيخ علجات من أهم مراجع العقيدة الإسلامية الأشعرية و الفقه المالكي ، و كعادة الرجال الذين يكونون الرجال ، لم يؤلف الشيخ علجات كتبا كثيرة ، و لكن لدية شروحات سمعية على موطأ الإمام مالك في الحديث النبوي الشريف ، و رسالة إبن أبي زيد القيرواني في العقيدة و الفقه و التصوف ، و هما يحتاجان من يعيد صياغتهما مع المحافظة على النصوص الأصلية و نشرهما إلكترونيا.

## محمد الصالح الصديق

ولد الشيخ محمد الصالح الصديق في 19 ديسمبر 1925 بقرية أبيزار ولاية تيزي وزو ، في عائلة محافظة و متدينة ، إشتغل أبوه إما بمساجد المنطقة لمدة أربعين ( 40 ) سنة و هو الذي علمه الحروف الأبجدية و بعض آيات الذكر الحكيم ، ثم سجله بزاوية سيدي منصور و بها حفظ القرآن الكريم و عمره تسع ( 9 ) سنوات ، ثم أنتقل الى زاوية الشيخ البيلولي و بها تعلم مبادىء

اللغة العربية والعلوم الشرعية ، ومكافئة له على تفوقه الدراسي كانت جائزته عبارة عن رحلة سياحية الى مدينة الجزائر العاصمة للتجول و التعرف على معالمها ، وحضور جانبا من تظاهرة ثقافية نظمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و بالعاصمة تعرف رفقة والده و لأول مرة على الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الصحافة و الثقافة و الفكر و الإدب و الإصلاح الديني و الإجتماعي و الثقافي ، بعد إعلان ثورة الفاتح من نوفمبر المباركة ، لبى ندائها دون تردد ، فأختير للعمل المدني كرئيس خلية مكلفة بجمع الأموال لدعم الثورة ، غير أن الإدارة الفرنسية ما لبثت أن أكتشفت أمره ، وبعد أشهر من الإستنطاق لم يعثر الأمن الفرنسي على أي دليل مادي يدينه ، فأفرجت عنه في ربيع سنة 1956 ، حيث أرسلته قيادة الثورة الى العاصمة الليبية طرابلس للعمل في إذاعة صوت الثورة الجزائرية ، و بقي هنالك الى غاية توقيف إطلاق النار في 19 مارس سنة 1962.

## التربية و التعليم

بعد إسترجاع السيادة الوطنية في 5 جويلية 1962 إنضم كبقية رفاقه المتعلمين ، الى سلك التعليم لتغطية بعض العجز الذي كانت تعاني منه البلاد في هذا المجال ، و بالموازاة مع ذلك مارس عدة أنشطة ثقافية و فكرية أخرى ، كالكتابة في الصحف و المجلات و تقديم دروس مسجدية و تنشيط الموائد المستديرة و الندوات ، وإشتهر في ثمانينيات القرن الماضي بتقديم الحديث الديني في التلفزة الجزائرية ، و كتابة عمود يومي في الصفحة الأخيرة من يومية الشعب الحكومية بعنوان ماقل ودل ، ورقم إتقانه للغة العربية نطقا و قراءة و كتابة ، بقي محتمسكا بشكل عجيب و جميل بلكنته القبائلية ، و في سنة 1981 تم تكايفه على مستوى وزارة الشؤون الدينية برئاسة اللجنة الوطنية لإحياء التراث ، وكانت باكورة أعمالها هو جمع وطبع و نشر تراث جمعية العلماء المسلمين و هو يضم في الغالب كتابات شيوخها عبد الحميد بن باديس ، البشير الإبراهيم ، العربي التبسي ، مبارك الميلي و غيرهم

## مؤلفاته

يعتبرالشيخ حمد الصالح الصديق من أكثر النشطاء الإسلاميين الرسمين ، غزارة في الكتابة و التأليف ، كما يمكن إعتباره أحد أعمدة الصحافة الإسلامية في الجزائر ، و لم تقتصر كتاباته على الجانب الديني الشرعي أي الفقه أو السيرة ، و لكن تجاوزتها الى معالجة قضايا فكرية وثقافية و إجتماعية من منظور إسلامي ، و بأسلوب بسيط سهل ممتنع و أهم مؤلفاته هي:

مقاصد القرآن.

الجزائر بين الماضي و الحاضر.

أوراق في الدين و الأخلاق و الأدب .

محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين .

البيان في علوم القرآن .

أعلام من المغرب العربي .

الشيخ عبد الحميد بن باديس.

مولود قاسم نايت بلقاسم .

و غيرها من المؤلفات التي تجاوزت الأربعين ( 40 ) كتابا .

# الفصل السادس( 6 )

# دعاة و نشطاء من المذهب الإباضي

إبراهيم بيوض ، بلحاج شريفي

مريح في المشهد الثقافي لبلدته ، و كسب ثقة شيوخه في فترة مبكرة ، حيث تبناه شيخه عمر بن يحي و شجعه على دخول عالم التدريس و الخطابة و الدعوة ، فكان خير خلف لخير سلف ، فتولى التدريس بعد وفاة شيخه بن يحي سنة 1921 و كان عمره 21 سنة ، ثم إنخرط في الحركة الثقافية و أصبح عضوا نشطا في الهيئة الدينية العليا التي سميت ب ( حلقة العزابة ) ثم ما لبث أن تولى التدريس و الخطابة في مسجدها ، ثم أنتخب رئيسا لمجلس العلمي للهيئة ، و هو في السادسة و العشرين من عمره ( ماي 1925 ) فأدخل لمسات تجديدية على نظام التعليم الذي كان سائدا في تلك الفترة ، فبدأ بتأسيس معهد الشباب لتعليم الثانوي الذي عرف فيما بعد بمعهد الحياة ، و الذي أصبح قبلة لطلاب العلوم الإسلامية وفق المذهب الإباضي ، ومع بداية ظهور ملامح الحركة الإصلاحية الدينية والثقافية في الجزائر على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس ، إنطلاقا من مدينة قسنطسنة ، و التي توجت بتأسيس جمعية العلماء ، سارع الى تأييدها و الإنضمام إليها فأصبح عضوا مؤسسا في جمعية العلماء ممثلا للمذهب الإباضي وساهم في صياغة قانونها الأساسي و هو عضوا في إدارتها الأولى ، ثم نائبا لأمين المال في الإدارة الثانية سنة 1937 ، و لم يمنعه نشاطه الدؤوب في مجال التعليم و الإرشاد و مشاركة نشاطات جمعية العلماء ، من تأسيس جمعية محلية تحت تسمية الحياة تنشط على مستوى منطقة بني ميزاب في مجال التربية و التعليم و الأعمال الخيرية و بناء المدارس و المساجد ، كما ساهم و شجع و تبنى العديد من الجمعيات الثقافية و الرياضية و الخيرية ، فتفطنت له إدارة الإحتلال و أدركت خطورة تلك الأعمال التي يقوم بها على مستقبل الإستعمار في تلك المنطقة ، فسارعت سنة 1940الى محاصرته و تضييق الخناق عليه ، و بعد محاكمة صورية غير عادلة بطبيعة الحال ، حكمت عليه بالإقامة الجبرية داخل مدينة القرارة لمدة أربع ( 4) سنوات ،إستغلها لتكوين نخبة ممتازة من رجال الثقافة والفكر و الأدب و الدعوة ، ليكونوا في طليعة الجيل الجديد و يواصلون رسالته الثقافية و العلمية ، ويقارعون الإستعمار باللغة التي يفهمها و هي طبعا لغة الرصاص و الرشاش ، و في سنة 1947 قر دخول عالم السياسة رغم المخاطر المحدقة به و غياب النزاهة و إنحياز الإدارة الإستعمارية ، و فاز في أول تجربة سياسية له بعضوية المجلس الجزائري ( البرلمان ) كممثل لمنطقة وادي ميزاب ، و أعيد إنتخابه للمرة الثانية سنة 1951 ، و تحت قبة المجلس الجزائري ، دافع بشراسة عن وحدة التراب الوطني .

## في قلب الثورة

بعد أعلان ثورة الفاتح من نوفمبر المباركة ، إنخرط فيها بكل قواه و أصبح محورا للعمل السياسي و العسكري في منطقة بني ميزاب ، وبعد 5 جويلية 1962عين عضوا في اللجنة التنفيذية المؤقتة أوما يعرف إعلاميا ب ( حكومة بومرداس ) مكلفا بالشؤون الثقافية ، و في سنة 1963 عاد الى نشاطه الطبيعي مدرسا و خطيبا و واعظا ، و أعاد تنشيط الهيئة العليا لمجلس العزابة و أنتخب رئيسا له الى غاية وفاته.

## مؤلفاته

حاول الشيخ بيوض كغيره من رجال الفكر و التجديد و الإصلاح ، أن يجمع بين تأليف الرجال و تكوين النخب ، وتأليف الكتب ، حيث خاض معركة ثقافية محلية عسيرة رغم قلة الوسائل ، أنجبت العديد من رجال الثقافة و الأدب و السياسة ، و إستغل بعض الأوقات المتاحة في تأليف الكتب و من أهم مؤلفاته:

في رحاب القرآن : وهو تفسير عصري للقرآن الكريم ، وفق الرؤية الفلسفية الإباضية ، أكمل تفسير على إمتداد خمسة و عشرون ( 25 ) سنة كدروس كان يلقيها في المسجد الرئيسي لمدينته .

أشرطة سمعية تم تسجيلها من طرف تلامذته ، و تضم العديد من الخطب و المحاضرات و الدروس المسجدية التي ألقاها في فترة تعادل ربع قرن .

## وفاتـــه

توفي الشيخ بيوض يوم الأربعاء 14 جانفي 1981 وتم تشييع جنازته في موكب مهيب.

## الشيخ بلحاج شريفي

من مواليد 27 جوان 1927 بمدينة القرارة ولاية غرداية حاليا ، و هي تمثل معقلا للفكر الإسلامي الإباضي الحديث ، من عائلة مسلمة محافظة ، أبوه العلاة الشيخ سعيد شريفي الذي لقنه أبجديات اللغة العربية و مبادىء الدين الإسلامي ، و بعد بلوغه سن التمدرس سجله والده بمدرسة الحياة الحرة التي كانت تحت وصاية مجلس العزابة ، فحفظ القرآن الكريم و تعلم بعض المعارف اللغوية و الفقهية ، ثم إنتقل للدراسة بمعهد الشباب الذي أسسه الشيخ أحمد بيوض الذي رشحه ليكون ضمن بعثة المعهد الطلابية نحو تونس الشقيقة ، لمواصلة الدراسة في جامع الزيتونة ، بقي في تونس كطالب علم مدة سنتين ( 2 ) فإستفاد من دروس ومحاضرات أقطاب المالكية في ذلك الوقت السادة : الفاضل و الطاهر بن عاشور و محمد المختار ، وفي سنة 1948 رجع الى مسقط رأسه و تزوج من فتاة أختارها له شيخه أحمد بيوض ، و لم تكن العروس سوى ربيبته التي ترعرعت في بيته ، ليعيد الكرة مرة أخرى و يسافر الى تونس الشقيقة بعدما أنفتحت شهيته لطلب العلم و الرزق لتأمين حياة أسرته الصغيرة ، وفي الموسم الدراسي 51 / 1952 سجل للدراسة بمعهد الدراسات العليا بالعاصمة تونس ، لكنه لم يمكث طويلا وعاد الى الجزائر لتسجيل في الجامعة ، لكن عدم حصوله على شهادة الباكالوريا حال دون ذلك ، فأتجه صوب المعهد الإسلامي العالي المجاور لمسجد كتشاوة بحي القصبة بالجزائر العاصمة وكان يشرف عليه المستشرق الفرنسي هنري بيريس ، حيث كان يقدم دروسا في مختلف العلوم الإسلامية برؤيةإستشراقية فرنسية ، غير نزيهة بطبيعة الحال ، و يمنح شهادات عليا و متوسطة معترف بها لدى الإدارة الفرنسية ، و تسمح بمزاولة مهن التدريس و الخطابة و الإرشاد ، بعد تخرجه من معهد الإستشراق الفرنسي إتجه الى مزاولة التعليم الثانوي ، و في سنة 1956 تحصل على شهادة الأستاذية التي سمحت له بالترسيم و الترقية في منصبه كأستاذ ثانوي ، حيث بقي في منصبة مدة 14 سنة متتالية ، حيث واصل العمل في نفس المهنة بعد الإستقلال ، اى غاية سنة 1970 إين تقدم لإجتياز مسابقة الحصول على شهادة التبريز التي جرت بالعاصمة الفرنسية باريس ، وهي تعادل شهادة الدكتوراه درجة ثالثة ، حيث فتحت أمامه أبواب الترقية في العمل ، و تم تكليفه من طرف وزارة التعليم العالي بالإشراف على اللجنة العلمية التي أسندت لها مهمة تعريب قسم الفلسفة بجامعة الجزائر ، و كان ضمن أعضائها الشيخ محفوظ نحناح الداعية المعروف ، و بعد إفتتاح المعهد العالي لأصول الدين بحي الخروبة بالجزائر العاصمة في الموسم الجامعي 82 / 1983عين فيه كأستاذ جامعي فمكث فيه ستة و عشرون سنة (26 ) مدرسا و محاضرا وموجها ومناقشا للطلبة والأساتذة الشباب ، و مشرفا على رسائل الماجستير و الدكتوراه الى غاية سنة 1996 حيث أحيل الى التقاعد ، ثم أعادت وزارة التعليم العالي توظيفه في نفس المعهد الذي أصبح يسمة كلية الشريعة الإسلامية ، كأستاذ متعاقد .

## ـ بين الإباضية و المالكية و الإستشراق

كان من المفروض و بإعتباره الإبن و التلميذ المدلل للشيخ أحمد بيوض ، آخرعمالقة الفكر الإسلامي الإباضي بالجزائر خلال القرن الماضي ، أن يكون الشيخ بلحاج شريفي هو خليفته المنتظر ، يحافظ على المرجعية الإباضية و يسلمها الى الإجيال القادمة ، لتبقى منارة تنير طريق إخواننا الإباضيين و علامة على ثراء و تنوع الفكر الإسلامي ، و على التسامح الفكري و الديني الذي تعيشه الجزائر ، غير أن القدر الغالب ساقه أولا الى جامع الزيتونة ليغترف من بحور العلم على يد فطاحلة المذهب المالكي بتونس ، ثم يعود الى الجزائر و يسجل للدراسة العليا في معهد فرنسي يقدم تعليما إسلاميا عاليا من منظور مدرسة الإسشتشراق الفرنسي المتعصبة ، وفي ذلك حكمة بالغة و فائدة كبيرة للفكر الإسلامي الحديث ، فدراسة الإستشراق والإطلاع على آراء المستشرقين و مواقفهم من الإسلام ، بعد حصول المسلم على قاعدة فكرية عقائدية متينة و أصيلة ، يفتح له أبوابا وافاقا كبيرة أقلها ان يكون على بينة بمخططات الغرب و أهدافهم من خلال نظرتهم الضيقة و المتعصبة للإسلام ، وهي نفس الأهداف التي كانت تسعى إليها حكومة الرئيس هواري بومدين في منتصف سبعينيات القرن الماضي ، عندما أرسلت دفعة من حاملي شهادة الباكالوريا شعبة تعليم أصلي ( إسلامي ) لمتابعة الدراسة العليا في العلوم الإسلامية بمعاهد و كليات فرنسية وبلجيكية ، وبذلك يكون الشيخ شريفي قد درس الفكر الإسلامي من خلال ثلاث ( مرجعيات ) و هي الإباضية ، المالكية ، النظرة الإستشراقية .

## ـ مؤلفاته

تحقيق أقدم تفسير للقرآن الكريم وفق رؤية إباضية ، قضى عشرون سنة في جمع أشتاته من عدة مدن و قرى ميزابية ، و من مدينة جربة التونسية ، و يعود التفسير للشيخ إبن المحكم الهواري من علماء القرن الثالث ( 3 ) الهجري ، و هو مختصر لتفسير إبن سلام البصري المتوفي سنة 200 هجرية .

الفصل السابع ( 7 )

# رموز و نشطاء
# جماعة الدعوة و التبليغ

إحياء سنة الإعتكاف ، و هي تقترب كثيرا من مدارس التصوف السني المعتدلة ، و ثالث هذه الحركات هي جماعة الإخوان المسلمين ، التي إستفادت من بعض هفوات الحركات السابقة وحاولت أن تكون حركة إسلامية شاملة ، تجسد شمولية الإسلام للحياة الدنيا و للآخرة ، و تعتبر الإسلام دين و دولة عقيدة وشريعة ، أما من حيث الرجال فقد تأثر الحراك الإسلامي الجزائري بداية من منتصف سبعينيات القرن الماضي ب العلماء و الدعاة و المنظرين الإسلاميين ، شيوخ جمعية العلماء خاصة إبن باديس و الإبراهيمي ، حسن البناء ، سيد قطب ، أبو الأعلى المودودي ، سعيد حوى ، ثم في مرحلة ثانية أي بداية من منتصف الثمانينيات ، سطع في سماء الفكر الإسلامي علماء و منظرين جدد أبرزهم الشيوخ محمد الغزالي ، سعيد رمضان البوطي ، يوسف القرضاوي. و هناك دعاة و علماء و مشايخ جزائريين أثروا بدورهم في جيل الستينيات و السبعينيات .

## ـ جماعة الدعوة و التبليغ

تأسست سنة 1926 على يد الشيخ محمد إلياس ، وبعد وفاته ترأسها إبنه محمد يوسف ، وكان الشيخ أبو الحسن الكاتب و الداعية العروف في شبه القارة الهندية ، من أصدقاء المؤسس الأول للجماعة التي بدأت مشوارها الدعوي من ضواحي العاصمة الهندية دلهي ، وأنتشرت سريعا في آسيا و إفريقيا ، ومددت نشاطها فيما بعد ليشمل العديد من دول أوروبا و أمريكا ، وتميزت جماعة الدعوة و التبليغ ببساطها أسلوبها في الدعوة ليستهدف عامة الناس و ليس نخبتهم ، وفي تبسيط المعارف الدينية و الإقتصار على كتب بسيطة و سهلة المنال و في متناول الجميع في مجالي العقيدة و الفقه ، و تعتمد في دعوتها على ثلاثة ( 3) مراجع أساسية و هي: القرآن الكريم ، وتختار أبسط التفاسير و هو تفسير الجلالين ، وكتاب رياض الصالحين الذي يضم مختارات من الأحاديث النبوية الصحيحة ، و كتاب الأذكار في التزكية و يضم مختارات من الأدعية و الأذكار المأثورة ، و احيانا تستعين بكتاب الترغيب و الترهيب للشيخ المنذري و كذلك يحتوي عللاى مختارات من الأحاديث النبوية الصحيحة ، و تبتعد الجماعة كثيرا عن إثارة الخلافات العقائدية و المذهبية ، و لا تدخل في الجدل مع المسلمين المخالفين أو مع الكفار، و تكتفي بدعوة الكفار الى الدخول في الإسلام و المسلمين المتهاونين في آداء الواجبات الدينية الى العودة الى صلاة الجماعة في المساجد ، و يرتكز نشاطها الدعوي على دعوة المسلمين الى أداء الصلاة و تحفيظهم بعض السور القصيرة و ألأحاديث النبوية و الأذكار و الأدعية ، و يعلمونهم طريقة الغسل و الوضوء للصلاة ، و بمجرد ما يتعلم المسلم هذه الأمور و يواظب على حضور صلاة الجماعة في المسجد يصبح واحد منهم ، ويتولى بدوره تعميم الدعوة و إقناع مسلمين آخرين بآداء فريضة الصلاة جماعة في المسجد و هو الركن الأساسي في الإسلام ، وأشتهرت الجماعة بالخرجات الجماعية لدعوة المسلمين الغافلين لتوعية الناس و إرشادهم الى الطريق المستقيم ، من خلال إقتحام الأسواق ، ووسائل النقل الجماعي كالحافلات و القطارات ، و إستغلال المناسبات الدينية و الإجتماعية كالأعراس لتبليغ رسالتها ، وأهتمت بشكل كبير بإحياء أهم المظاهر الإسلامية الشكلية كإرتداء القميص و إسدال اللحية وإستعمال السواك ومختلف العطور ، ويعتمد نشاط الجماعةبصفة عامة على المبادى التالية:

التقشف في المأكل و الملبس والإعتماد على النفس في كل شيء.

يتقاسمون أعباء الدعوة ماديا و عمليا ، من خلال الأفواج المتخصصة ، حيث يتولى كل فوج مهمة خاصة.

التذكير: من خلال خطبة يومية موجزة تذكر المسلمين بواجباتهم الدينية ، و تدعوهم الى العودة الى الله.

تطلب الجماعة من كل منتسب إليها تخصيص ثلاثة ( 3 ) أيام في الشهر لدعوة الناس و إقناعهم بآداء فريضة الصلاة جماعة في المساجد .

لا يتقبلون إستضافتهم من أي أحد ، ويفضلون النوم في المساجد أوبجوارها أو فيالساحات العامة أو في الخلاء ، ويحتفظون دائما بفراشو غطاء بسيط وخفيف .

يعتبرون سنة قيام الليل من الواجبات و يستغلونها لنشردعوتهم و تذكير الناس بواجباتهم نحو الله.

أحيوا سنة الإعتكاف خاصة خلال شهر رمضان ، و الخلوة في سائر الأيام من أجل التدريب النفسي و التزكية الروحية ، والإبتعاد عن مشاغل الدنيا و الإهتمام بالآخرة .

## المبادى الستة ( 6 ) للجماعة

من خلال طول التجربة ، و التآمل و الدراسة و التفكير في سيرة المصطفى ﷺ و حياة الصحابة الكرام ، والعلماء و رجال الإصلاح على مدى القرون ، وجدت الجماعة أن هناك ستة ( 6) مبادىء أو جوامع مشتركة في حياة هذه الكوكبة المباركة من الرجال العظماء ، يمكن أن تشكل دستورا مصغرا يعتمده كل مسلم في حياته للنجاح في الدنيا و النجاة في الآخرة و الفوز بجنة الرضوان ، وهذه المبادىء الستة ( 6 ) هي:

1 . شهادة أن لاإله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، نطقا باللسان ،إعتقادا في القلب ، وعملا بالجوارح و هذه الشهادة هي مفتاح الدخول في الإسلام ، و مفتاح الجنة ، و مدخل التوبة و تجديد الإيمان.

2 . الصلاة: بعد إحسان الوضوء و الإتيان بأركانها و فرائضها و سننها و مندوباتها في خشوع و خضوع .

3 . العلم و الذكر : تعلم الضروري من علوم الدين ( العقيدة و العبادات و الأخلاق و الآداب ) و المداومة على ذكر الله و الإستعفار لتمتين الصلة بالله وتجنب الغفلة .

4 . الزهد و العفاف :المادي و المعنوي والإكتفاء بالقليل في المأكل و الملبس ، و الكرم و الجود ، وإجتناب ضغائر الذنوب قبل كبائرها،كالغيبة و الحسد و النميمة و تتبع عورات المسلمين .

5 . الإخلاص : في النوايا و الإعمال لله ، والبعد عن الرياء ومدح النفس أو تزكيتها ، ومراقبتها و محاسبتها يوميا و تصحيح مسارها بتجديد التوبة .

6 . الخرجات الدعوية الجماعية : وفق اربعة ( 4) شروط هي:

المشاركة الفردية عن قناعة و رضى .

أن يكون المال ، أي نفقات السفر و التموين حلال .

أن يكون الوقت المخصص للمشاركة في الدعوة الجماعية ، وقت فراغ .( ليس التغيب عن العمل أو الدراسة مثلا )

الإعتماد على الله و إخلاص النية و الإبتعاد عن الرياء.

و إذ نقدم بعض الفقرات عن هذه الجماعة الإسلامية التي بقيت صامدة في موطنها الهند و بعض الدول الإسلامية الأسيوية ، خاصة و أن الجماعة الإسلامية التي أسسها المفكر الباكستلاني أبو الأعلى المودودي ، وخاضت معارك فكرية مع خصومها العلمانيين ، و ركزت على الجانب السياسي ، وطالبت بعودة الحكم بما أنزل الله ، قد غطت على نشاطات جماعة الدعوة والتبليغ ، و نحن نقوم بهذا الواجب فالأمانة العلمية تقتضي عدم تجاهل هذه الجماعة بغض النظر عن الحصيلة التي وصلت إليها و الأهداف التي حققتها ، وهل كانت إيجابية أم سلبية ، ثم أنني شاركت في بعض نشاطاتها لما كنت شابا في سن السادسة عشر تقريبا ، وتعرفت على طريقتها البسيطة في الدعوة و التبليغ.

## شيوخ الجماعة في الجزائر

لم نعثر على أي أثر ورقي مكتوب أوعلى الأنترنت ، يتناول موضوع جماعة الدعوة و التبليغ في الجزائر ، أو يذكر بعض الشيوخ الجزائريين الذين إقتنعوا بأفكارها وأسلوبها الدعوي البسيط ، وكل ما إستطعنا الحصول عليه هو كلام عابر أدلى به الشيخ أحمد مراني عضو مؤسس لجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ليومية الشروق ، أكد فيه ( أنه تأثر في بداية حياته بفكر و منهج هذه الجماعة و أنخرط في مشروعها وشارك في نشاطها بالجزائر ، وحسب تصريح ألأستاذ مراني ليومية الشروق ع 03 ديسمبر 2012 فإن جماعة الدعوة و التبليغ قد بدأت في إستكشاف المناخ العام للجزائر سنة 1965 من خلال زيارة وفد من سوريا ، وتكررت زيارات الوفود الإسلامية للجزائر سنتي 72 / 1973 أما البداية الفعلية للجماعة في الجزائر حسب الشيخ مراني فقد كانت في سنة 1970 وكدا أن أول رئيس لفرع جماعة الدعوة و التبليغ بالجزائر هو السيد بشير عمرون ، وقد تخلى عن نشاطه لأسباب غير معروفة سنة 1975 و كان يساعده في أداء مهامه المتحدث أي الأستاذ أحمد مراني و السيد محمد الوناس ) وحسب نفس المصدر فإن هذه الجماعة لاتزال موجودة في الجزائر ، و تنشط في مجال الدعوة بطريقتها الخاصة ، و أذكر أنني إلتقيت سنوات التسعينيات بمسجد حسن باي بمدينة قسنطينة بعد صلاة العصر بعضو في هذه الجماعة وتحدثت معه حول طبيعة الجماعة و أسلوبها في العمل الإسلامي ، فوجدت أنهم يستعملون طرق بدائية تتطلب كثيرا من الوقت و الجهد ، فهم يستغنون عن إستعمال السيارات مثلا و يفضلون المشي على الأرجل ، فيقطعون مسافات طويلة و كلما أحسوا بالتعب توقفوا للراحة و الأكل و الصلاة ، وبعد الإنفتاح السياسي و الثقافي سنة 1989 كان من المفروض أن تبرز هذه الجماعة الى الساحة من جديد لكن على ما يبدو لم تستطع منافسة فصائل الإسلام السياسي و فضلت البقاء في الظل ، و في سنة 2016 ذكرت مصادر صحفية أنها رصدت تحركات لهذه الجماعة بنفس الشكل و الأسلوب بولاية أم البواقي ، يخرجون في مجموعات صغيرة ويقدمون مواعظ و إرشادات الى العامة في الشوارع و الساحات العمومية .

# الفصل الثامن ( 8 )

## شيوخ الصحوة الإسلامية

عبد اللطيف سلطاني ، أحمد سحنون ، عمر العرباوي

# رواد الحراك الإسلامي المستقل ( الجيل الثاني )

من خلال دراسة وتحليل العديد من طبيعة و أفكار الشخصيات التي مارست العمل الإسلامي بصفة تطوعية مستقلة و فردية ، في الجزائر من سنة سنة 1980 الى سنة 2012 نهاية الفترة المحددة في هذا الكتاب ، نجد أن معظم النشطاء الإسلاميين بما فيهم الشيخ محفوظ نحناح ورفيق دربه محمد بوسليماني ، كانوا ينشطون بإعتبارهم موظفين لدى وزارة الشؤون الدينية كأئمة و كمرشدين متجولين كما هو الحال بالنسبة للشيخ نحناح و رفيقه ، أو على الأقل مقربين منها كما هو الشأن بالنسبة للسادة عباسي مدني أحمد سحنون ، عمر العرباوي ، عبد اللطيف سلطاني ، بل منهم من كان عضوا في الحزب الحاكم حزب جبهة التحرير الوطني و ترشح في قوائمه وفاز في الإنتخابات البرلمانية و أصبح نائبا ، وإستفاد من منحة حكومية للدراسة في إنجلترا ، و كان من الكتاب الدائيمين في مختلف المجلات التي أصدرتها وزارة الشؤون الدينية كالشيخ عباسي مدني مثلا .

## عبد اللطيف سلطاني

من واليد 8 جوان 1902 بالقنطرة بوابة الصحراء بين ولايتي باتنة في الهضاب و بسكرة مدخل الجنوب الجزائري من الجهة الشرقية ، ينتمي الى عائلة محافظة ، تفتحت أذنيه على أصوات عذبة للقرآن الكريم كان يرتلها والده بصفة منتظمة و في أوقات ثابتة ، و هو الإبن السادس في العائلة ( ثلاثة إخوة ذكور و أختين )

### دراستـــــه

إنتقل سنة 1916 الى زاوية ببلدة سيدي عقبة فحفظ عدة أجزاء من القرآن الكريم ، ثم إنتقل الى مدينة طولقة ، و بزاوية الشيخ علي بن عمر أتم حفظ القرآن الكريم ، وفي سنة 1922 إلتحق بجامع الزيتونة ودرس على يد شيوخها الكبار السادة أحمد بيرم ، و محمد الطاهر بن عاشور ، محمد رضوان ، صالح المالقي ، و تحصل على شهادة التطويع سنة 1929.

### السار المهني

إنخرط عبد اللطيف سلطاني مبكرا في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وتولى الإشراف على نشاطاتها التربوية والثقافية بمسقط رأسه بلدة القنطرة بولاية بسكرة حاليا ، ثم تم تحويله لتدريس بمدينة لقرارم قوقة بولاية ميلة حاليا ، حيث تبنى مشروع بناء مدرسة حرة تابعة لجمعية العلماء ، و نجح الى حد كبير في إقناع السكان بأهمية وجدوى المشروع بالنسبة لمستقبل أطفال وشباب المنطقة ، و تم تدشين المدرسة التي سميت ب مدرسة الهدى و فتحها لإستقبال التلاميذ سنة 1947 ، وبعد فترة قصيرة قضاها بمدينة قسنطينة معلما و مرشدا ( 49 1951 ) قررت إدارة جمعية العلماء نقله الى الجزائر العاصمة ، ليباشر مهامه كنائب لرئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي الذي غادرالجزائر متوجها الى مصر ، هروبا من إضطهاد السلطات الإستعمارية ، و للإشراف على شؤون البعثات الطلابية الجزائرية نحو الجامعات العربية و الإسلامية ، فأصبحت جمعية العلماء من الناحية العملية تحت إشراف الشيخ العربي التبسي ، في العاصمة جمع الشيخ سلطاني بين وظيفة رسمية و هي التدريس في مدارس الجمعية و إلقاء الدروس و الخطب في أهم مساجد الأحياء العاصمية رويسو ، بلكور ، المدنية ، و في سنة 1955 إنخرط بشكل رسمي في صفوف الثورة ضمن مجموعة المجاهد بن يوسف بن خدة و عبد المالك تمام وعبان رمضان التي كان نشاطها الثوري يقتصر على المجال السياسي وليس العسكري ،

فنفطنت السلطات الإستعمارية لنشاطه السياسي و علاقته الوطيدة مع قادة الثورة ، فألقت عليه القبض و سجنته لفترة قصيرة ثم اطلقت سراحه ، فتعرض للتهديد بالقتل من طرف المنظمة الإرهابية الفرنسية ( اليد الحمراء ) سنة 1960 و طالبته بالرحيل من مدينة الجزائر ، فأصر الشيخ سلطاني على موقفه و قرر البقاء متحديا تهديدات تلك المنظمة الفرنسية الإرهابية ، و أكثر من ذلك فقد قام بشراء فلا من أحد المعمرين الفرنسيين بحي القبة بالجزائر العاصمة ، ليؤكد لجميع إستقراره بالعاصمة تطبيقا للمثل الشعبي ( هنا يموت قاسي )

## الشيخ سلطاني و فتنة الإشتراكية

قبيل أيام من الإعلان عن إستقلال الجزائر و رحيل المستعمر الغاشم ، إجتمع الإخوة الثوار بمدينة طرابلس الليبية ، لوضع الخطوط العريضة لجزائر ما بعد الثورة ، وبدل الإلتزام برسالة الشهداء و الوفاء بالعهد ، نسوا بيان أول نوفمبر كأول وثيقة مرجعية للثورة تحدد أهدافها بدقة و من بينها ( إقامة جمهورية ديمقراطية إجتماعية ذات سيادة في إطار المبادىء الإسلامية ) وتفرقوا شيعا و جماعات و تناقشوا و تصارعوا على إقتسام الكعكة و إمتيازات الحكم و السلطة ، و في خضم ذلك الهرج و المرج و الفوضى التي ميزت مؤتمر طرابلس ، حيث نزل مستوى النقاش الى الحضيض بين أحمد بن بلة مرشح محتمل لرئاسة الدولة و الحكومة ، و يوسف بن خدة رئيس سابق للحكومة المؤقتة ، في تلك اللحظات الحرجة ، أخرج لهم الشيطان الأكبر الشيوعي الفرنكوفوني البربري على هارون ورقة الحسم التي لاقت قبولا من طرف جميع الحاضرين ، إنها الإشتراكية ... الواجهة السياسية و الإقتصادية للفكرة الشيوعية التي وعدت العالم بتحويل الأرض الى جنة النعيم ... كانت الإشتراكية كبديل عن النظام الرأسمالي هي موضة العصر خاصة لدى البلدان التي خرجت لتوها من الإستعمار ، كما أنها كانت الخيار الوحيد في ظل إنعدام بدائل إقتصادية و إجتماعية عملية ونماذج على الأرض ، و هناك أساب أخرى فرضت على الجزائر هذا النهج منها على سبيل المثال حاجتها للتعاون الإقتصادي والعسكري مع دول المعسكر الإشتراكي القوية في ذلك الوقت ،الإتحاد السوفياتي ، الصين ، يوغوسلافيا ، كوبا ، زيادة على أن نواة النظام الجزائري ونخبته عاشت طيلة فترة الثورة في القاهرة و عايشت تجربة النظام المصري مع الإشتراكية التي تحولت من مجرد خيار إقتصادي الى عقيدة و دين جديد ... بطبيعة الحال و كأي مثقف مسلم عقائدي رفض الشيخ سلطاني تبني النظام الجزائري للإشتراكية ، وكان من أشد المعارضين له ، وإستعمل دروسه المسجدية وخطبه المنبرية بصفته إماما بمسجد كتشاوة لتوضيح موقف الإسلام من تصرفات النظام الجزائري ، و من القضايا التي أثارها في إحدى كتبه ، نقده على المباشر في خطبة الجمعة المنقولة على أمواج الإذاعة الجزائرية نوفمبر سنة 1965 في بداية فترة العقيد هواري بومدين ، لبعض مظاهر الإحتفال بذكرى إندلاع الثورة ، و ذكر على وجه التحديد ظهور فتيات صغيرات بلباس البحرلآداء بعض الرقصات في شوارع العاصمة ، حيث ردت عليه جريدتي الشعب والمجاهد بإيعاز من وزير الإعلام في ذلك الوقت بشير بومعزة ، وإستمر الشيخ سلطاني في توجيه الإنتقادات للنظام الجزائري رغم نصائح بعض المقربين منه بضرورة تهدئة ملاحظاته للنظام خوفا من إعتقاله أو عزله ، لكنه تمادى في إستعمال الدروس و الخطب المسجدية لنقد نشاطات و مواقف النظام الذي كان يتأرجح بين مرجعية أول نوفمبر و الإشتراكية الوافدة لدرجة أنه حاول إحتواءها و تجريدها من جذورها الفلسفية الإلحادية ، فسماها الإشتراكية الإسلامية دون أن يستعمل هذا المصطلح في خطابه السياسي أوالإعلامي ، فلم تمر إنقادات الشيخ للنظام و تصريحاته النارية ضده ، فصدر قرار بعزله عن ممارسة وظيفة الإمامة و الخطابة بمسجد كتشاوة و كل مساجد الجمهورية الجزائرية .

## تغيير الأسلوب

بعد عزله من وظيفة الإمامة و الخطابة ، تحول الشيخ عبد اللطيف سلطاني الى تأليف الكتب و عرض أفكاره ومواقفه من النظام الجزائري ، أما كتاب المزدكية الذي أصدره سنة 1974 و تم منعه من الطباعة في الجزائر ، فتعرض فيه الشيخ الى الجذور الفلسفية للإشتراكية و الشيوعية و إعتبر أنها تعود الى المزدكية نسبة الى رجل فارسي ظهر قبل سنوات من الرسالة النبوية الخاتمة في إيران ، وبشرهم بنظام فوضوي يجعل المال و النساء شيوعا بين الناس ، فالمال لا يجب أن يكنز و يوفر بل يقسم بين الناس حتى يتساوى الجميع ويكونوا في مستوى مالي واحد ، ومن أعجبته إمرأة متزوجة أو عزباء يجامعها في أي وقت و في أي مكان دون قيد أوشرط أو إلتزام ، و الفكرة العامة التي جاء بها مزدك هي شيوع المال و النساء بين الناس و في المجتمع حتى لا يبقى فقيرا أو محروما من مداعبة النساء ، وقد حاول بعض البرجوازيين داخل النظام ممن صادر الرئيس بومدين بعض ممتلكاتهم و أراضيهم الشاسعة في إطار التأميم ، إستعمال هذا الكتاب لتبرير موقفهم من التأميمات العشوائية التي باشرها النظام و أعتبروها ظلما و تعسفا في حقهم ، ليقولوا للرئيس بومدين أن الإشتراكية حرام مستدلين بما جاء في كتاب المزدكية للشيخ سلطاني ، وتذكر بعض المصادر أن الرئيس بومدين لما أطلع على نسخة من كتاب المزدكية إبتسم إبتسامته الصفراء المعتادة و لم يعلق و لو بجملة قصيرة عن الكتاب ، و في فترة الرئيس الشاذلي بن جديد التي عرفت بإنفتاح تدريجي على كل الحساسيات و شهدت إطلاق كل سجناء الرأي ، ألف الشيخ سلطاني كتاب سهام الإسلام الذي طبع سنة 1980 عن مطبعة أحمد زبانة التابعة للشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، و صادرته وزارة الثقافة في عهد عبد الحميد مهري الذي إعتبر ما جاء في إحدى فقرات الكتاب إستهانة بالشهداء الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله و الوطن ، حيت رأت الوزارة الثقافة أن تفسير الشيخ سلطاني لمصطلح الشهيد و الشهداء في غير محله و هو محاولة لإسقاط بعض الأخطاء الشخصية التي وقع فيها الإخوة الثوار سواء في علاقاتهم بالله سبحانه و تعالى أو مع المجتمع ، وتعميمها على كل المجاهدين ... واصل الشيخ عبد اللطيف سلطاني معارضته الشرسة للنظام في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد ، فأعتقل سنة 1982 بعد التجمع الذي نظمته نخبة من رموز التيار الإسلامي بمحيط جامعة الجزائر ، و حكم عليه بالإقامة الجبرية حتى وفاته ، و الغريب في الأمر أنه كان من كتاب مجلة الرسالة التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية عندما كان بوعلام باقي وزيرا و هي نفس الفترة التي حكم عليه بالإقامة الجبرية .

## ـ مؤلفاته

ألقى الشيخ عبد اللطيف سلطاني الكثير من الخطب و الدروس و المحاضرات ، منذ الإستقلال الى غاية وفاته ، و لو جمعت هذه المادة السمعية لأنتجت الآلاف من الأشرطة السمعية ، لكن يبدو أن تلامذته و المتعاطفين معه لم ينتبهوا لتسجيل خطبه و دروسه ، ولذلك لم يترك الشيخ سلطاني الكثير من الكتب ، سوى ثلاثة ( 3 ) مؤلفات هي:

المزدكية هي أصل الإشتراكية صدر بالمغرب سنة 1974، يعرض فيه حوصلة تاريخية عن المزدكية التي تنسب الى المدعي الفارسي مزدك و التي أشاع فيها المال و النساء ، و قال إن شيوعية ماركس و لينين تستمد أصولها و مبادئها من مزدكية فا رس .

سهام الإسلام: صدر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة 1980. و يتضمن شرحا و تحليلا مبسطا لسهام الإسلام الثمانية التي وردت في الحديث النبوي الذي رواه حذيفة عن رسول الله ﷺ و

هي الإسلام و الصلاة و الصيام و الزكاة والحج وو الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وقال في آخر الحديث وقد خاب من لا سهم له .

في سبيل العقيدة : و صدر سنة 1982 عن دار البعث بقسنطينة ،و هو يقدم نماذج من سيرة الأنبياء و الصحابة و الصالحين .

## وفاتـــــــــــه

توفي في آفريل سنة 1984 و هو تحت الإقامة الجبرية .

## أحمد سحنون

من مواليد سنة 1907 بقرية ليشانة ضواحي مدينة بسكرة ، توفيت أمه و هو رضيع ، فتولى والده تربيته و رعايته وتحفيظه القرآن الكريم ، و تلقينه مبادىء اللغة و الدين الإسلامي ، إنتقل بعد ذلك الى الزاوية العثمانية بمدينة طولقة بولاية بسكرة حاليا ، ليتلقى دروسا في الثقافة الإسلامية على ثلة من الشيوخ الأكارم من بينهم عبد الله بن مبروك الذي تخرج من جامعتي الزيتونة بتونس و الأزهر الشريف بمصر ، و توفي بالبقاع المقدسة و دفن في مقبرة البقيع التي تضم جثامين الصحابة الكرام ، ، كما تلقى دروسا عن الشيخ محمد خير الدين و هو من أوائل مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبعض المصادر التاريخية تؤكد أنه صاحب الفكرة .

## أول لقاء مع الشيخ إبن باديس

إلتقى الشيخ سحنون لأول مرة بالعلامة المجدد عبد الحميد بن باديس سنة 1936 و يقول عن هذا اللقاء ( جمعني به لأول مرة مجلس فبادرني بسؤاله .ماذا طالعت من الكتب ؟ فأخذت أسرد له لسوء حظي أو لحسنه قائمة بمختلف القصص و الروايات فنظر إلي نظرة عاتبة غاضبة وقال: هلا طالعت العقد الفريد لإبن عبد ربه ؟هلا طالعت الكامل للمبرد بشرح المرصفي ؟ و أستمر في سرد قائمة من الكتب النافعة فكانت تلك الكلمات النافعة خيرتوجيه لي .

## في جمعية العلماء

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، هي ملاذ النخبة الجزائرية التي نالت حظا من التعليم العربي أو الفرنسي ، و ملتقى كل الغيورين على وطنهم و دينهم و لغتهم ، حيث كانت تمثل في ذلك الوقت ثلاث ( 3 ) وزارات هامة وتؤدي نفس وظائفهم و مهامهم بكل ثقة و تواضع رغم قلة الموارد و الإمكانيات ، هذه الوزارات هي التربية و التعليم ، الشؤون الدينية ، الإعلام و الثقافة ... في سنة 1936 إنضم أحمد سحنون بصفة رسمية الى جمعية العلماء ، كمعلم و خطيب و كاتب في مختلف الصحف و المجلات التي كانت تصدرها ، و في سنة 1947 أصبح عضوا عاملا في مجلسها الإداري و معلما في مدرسة التهذيب الحرة ، بحي بولوغين بالجزائر العاصمة ، و بعد عام واحد من العمل رقي الى منصب مدير بنفس المدرسة .

## مع الثورة

أدرك أحمد سحنون كغيره من رجال الطليعة الإسلامية الجزائرية ، أن كل الظروف التي كانت سائدة في الجزائر بعد الثامن ماي 1945و إنقسام حزب الشعب الجزائري ، ستؤدي لامحالة الى الإنفجار الكبير الذي طال إنتظاره و الذي سيقض مضاجع الستعمر الفرنسي الكافر، و من خلال

خلفيته السياسية و الثقافية الإسلامية ، أدرك أيضا أن ساعة إعلان الجهاد و الثورة على المستعمر الغاشم لامحالة قادمة ، فالثورة الثقافية التي بدأها الشيخ إبن باديس بمفرده و جهوده الخاصة سنة 1913 و توجت بإعلان الإطار الرسمي للعمل الثقافي و التربوي الإسلامي سنة 1931 قد حققت الكثير من أهدافها ، و كونت الطليعة الثقافية التي ستقود الثورة و تخوض معه حرب الخلاص ، و أن النضال السياسي السلمي الذي إستمر أكثر من نصف قرن لم يجد نفعا ، فسارع احمد سحنون الى تكوين خلية فدائية سرية مقرها مسجد الأمة بالجزائر العاصمة تزود المجاهدين بالأموال و المعلومات ، و تقوم من حين لآخر بعمليات فدائية بطلب و تخطيط من قادة الثورة بالعاصمة.

## المرونة و الإعتدال

بعد إسترجاع السيادة الوطنية في 5 جويلية سنة 1962 ، أدمج الشيخ سحنون في قطاع الشؤون الدينية ، وعين إماا بالمسجد الكبير بالجزائر العاصمة ، فإعتمد منذ تنصيبه في دروسه و خطبه و مواقفه ، منهج الإعتدال و المرونة ،و أبتعد عن التشدد و النقد المجاني للنظام ، معتقدا أن البلاد و هي خارجة من حرب ضروس و غير متكافئة بحاجة أكيدة الى الهدوء و الإستقرار و إصلاح ما أفسده الإستعمار الفرنسي طيلة قرن و أكثر من ربع قرن ، في العقيدة و السلوك و الأخلاق يحتاج الى وقت طويل و تكاتف الجهود لإصلاحه ، وأستمر الشيخ في نشاطه كإمام ومرشد الى غاية مجيء نظام الرئيس الشاذلي بن جديد مطلع سنة 1979 و أنتظر الشيخ سحنون أربع سنوات كاملة لإختبار نوايا النظام الجديد الذي أبدى رغبة في الإنفتاح السياسي على كل المكونات السياسية و الثقافية للمجتمع الجزائري ، و في تلك الفترة التي تزامنت مع وقوف التيار اللائكي بكل فصائله ضد قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية ، و في هذه الفترة خرج الشيخ سحنون عن صمته و تموقع في الصفوف الأولى للمدافعين عن الإطار الطبيعي العربي الإسلامي للجزائر ، و بعد إنتفاضة 8 أكتوبر تحلى بالكثير من الصبر و لم يتسرع الى غاية تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وبعد ما أصدر الرئيس بن جديد دستور فيفري 1989 الذي يعتبر قفزة طويلة لم يكن أكثر المتفائلين من الناس يحلمون بها ، حيث تخلى عن نظام الحزب الواحد ، و فتح الأبواب أما تعدد الأحزاب و الجمعيات و أقر حرية الرأي و التعبير و إنشاء الصحف و المجلات ، رأى الشيخ سحنون ضرورة عدم التسرع في إنشاء تنظيمات سياسية إسلامية و الإكتفاء فقط بجمعيات وطنية ثقافية و خيرية ، و بادر رفقة مجموعة من النشطاء الإسلاميين الى تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية ، لتأكيد أولوية العمل الدعوي و الفكري على العمل السياسي ، لكن شخصيات محسوبة أو دخيلة على التيار الإسلامي ، متعطشة للسلطة سارعت في تأسيس تنظيم سياسي إسلامي ، لم يعمر سوى سنوات قليلة وكان سببا في دخول البلاد الى الفتنة و الإقتتال و الإرهاب .

## الشيخ سحنون الشاعر

يعتبر الشيخ أحمد سحنون من كبار الشعراء الإسلاميين الذين أنجبتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و أغلب قصائده تدور حول قيم و مثل الإسلام ، و نصرة القضايا الإسلامية ، و التغني بحب الوطن و الدعوة الى جهاد المستعمر الكافر ، و في مجال التأليف ترك الشيخ سحنون في المكتبة الجزائرية بعض المؤلفات منها:

توجيهات إسلامية : ضمنه أهم مقالاته التي نشرها في صحف و مجلات جمعية العلماء و وزار ة الشؤون الدينية .

ديوان شعر : ضمنه قصائده التي كتبها و ألقاها في مناسبات عديدة ، وهي تمثل نموذج جي للشعر الإسلامي الحديث .

## وفاتـــــه

خلال فتنة العشرية الحمراء ، إلتزم الشيخ سحنون بخط الإعتدال و الوسطية و الحياد الإيجابي ، فلم يؤيد صراحة إلغاء المسار الإنتخابي مطلع سنة 1992 وفي نفس الوقت كان ضد إستعمال العنف من طرف الجيش و مطاردة وسجن و إعتقال إطارات الجبهة الإسلامية للإنقاذ لمجرد إنتمائهم السياسي ، و رفض أيضا إستعمال العنف المضاد ضد الدولة و رموزها و هياكلها ، و ضد المثقفين و رجال الإعلام لحسم الخلافات الإيديولوجية ، و قد دفع ثمن وسطيته وحياده الإيجابي حيث تعرض لعملية إغتيال فاشلة عندما كان متوجها من بيته الى مسجد الحي لأداء صلاة الصبح ، و كتب الله له الحياة مدة معتبرة و توفي بشكل طبيعي يوم: 08 ديسمبر سنة 2003.

## عمر العرباوي

ولد الشيخ عمر العرباوي سنة 1912 بدشرة أولاد سيدي عامر ، بلدية سيدي عيسى ولاية المسيلة حاليا ، نشأ في أسرة جزائرية بسيطة ،كان أبوه معلما للقرآن الكريم و هو الذي لقنه مبادىء اللغة و الدين الإسلامي و حفظه القرآن الكريم ، حيت أتم حفظه و إتقانه لم بلغ الخامسة عشر من عمره ، بزاوية الشيخ ساعد البوطويلي بمدينة شلالة لعذاورة وهي مقر إقامة أخواله ، ثم إنتقل الى زاوية سيدي المهدي بضواحي مدينة البليدة وأتقن حفظ القرآن الكريم ، و درس أحكام القرأة و التجويد و التوحيد و الفقه و الأدب الأعربي ، و أختير من طرف شيوخه للتدريس في الكتاتيب المنتشرة في ولاية البليدة ، وبعد حصوله على تجربة معقولة في التدريس إنتقل الى حي بئر خادم بالجزائر العاصمة و شرع في جمع التبرعات من المحسنين و المواطنين لبناء مدرسة جزائرية حرة ، لتعليم اللغة العربية و مبادىء الدين الإسلامي .

## الى جمعية العلماء

عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر ماي سنة 1931 ، كان عمر الشاب عمر العرباوي 23 سنة ، وهي مرحلة البلوغ و الرشد و بداية الوعي ، فسمع بنشاط الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ونجاح مشروع الثورة الثقافية التي خاضها بإمكانيته المحدودة بداية من سنة 1913، فقرر الإنضمام الى الجمعية و عرض خدماته ، وكان الشيخ الطيب العقبي أحد رجالات الجمعية هو حلقة الوصل بينه و بين الجمعية ، حيث سهل له طريق الإنضمام و الإنخراط فيها ، وأنطلق في النشاط الدعوي و التربوي و الثقافي بإسم الجمعية من حي السحاولة بالجزائر العاصمة ثم إنتقل الى كافة أحياء العاصمة معلما و مرشدا و خطيبا وواعظا .

## الإعتقال ... و السجن

واصل الشاب عمر العرباوي نشاطه الدعوي و التربوي بأحياء العاصمة و مساجدها ، و شيئا فشيئا أخذت دروسه و خطبه و مواعظه مسارا ثوريا منسجما مع طبيعة المناخ السياسي السائد آنذاك قبيل إندلاع الثورة المباركة ، و لما إنطلقت أول رصاصة من جبال شلعلع بالأوراس ليلة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 كان عمر العرباوي من أول المؤيدين لها بالقول و الفعل ، فأتخذ من مساجد العاصمة مجالا للدعوة لها وتجنيد المواطنين حولها بإعتباره خطوة شجاعة نحو الخلاص من الإستعمار الكافر البغيض ، فكانت معظم دروسه وخطبه حول فضائل الجهاد في سبيل الله و

الثورة على الستعمر الغاصب ، وكان يتخذ من دروس ووقائع التاريخ الإسلامي المجيد و من صفحاته الناصعة نماذج و أمثلة يحاول إسقاطها على الواقع الجزائري البائس ، لكن عيون المخابرات والأمن الفرنسي التي كانت تراقب كل كبيرة و صغيرة في الجزائر ، و تكثف مراقبتها للنخبة المثقفة المنتسبة لجمعية العلماء ، ئتفطنت لما يقوم به من نشاط دعوي و إعلامي لصالح الثورة ، و أعتبرته مساسا بالأمن العام ، و في شهر رمضان المبارك سنة 1955 و أثناء صلاة الجمعة بالمسجد العتيق بحي بلكور الشعبي في الجزائر العاصمة ، حضرت قوات من الشرطة الفرنسية مدججة بالأسلحة ، وحاصرت المسجد و ألقت القبض على الشاب عمر العرباوي و ساقته الى مقر محافظة الشرطة ، حيث تعرض الى تعذيب وحشي ، و تم إستنطاقه ، ثم نقل الى سجن البرواقية الرهيب بولاية المدية حاليا ، و هناك في غيابات السجن واصل رسالته الدعوية و الثقافية و التربوية حيث وجد في السجن الكثير من الشبان الجزائريين الذين يحتاجون الى الثقافة و العلم ، فتمكن من تحويل ظلمات السجن الى نورالعلم ، و من معتقل الى مدرسة ، فكان يقدم دروسا منتظمة في اللغة العربية ومبادى الإسلام كالتوحيد و الفقه و السيرة و الحديث النبوي و تفسير آيات من الذكر الحكيم ، ويؤم المساجين في الصلوات الخمس ، و بعد ثلاث ( 3 ) سنوات بسجن البرواقية نقل الى معتقل بوسوي و هناك إلتقى بالشيخين أحمد سحنون و مصباح حويذق ، فلم ترتاح السلطات الإستعمارية لتواجد ثلاثة ( 3 ) من النخبة الإسلامية المناهضة للإستعمار في سجن واحد ، فقامت بعزل عمر العرباوي و نقله الى معتقل أركول ، الى غاية سنة 1961 حيث إستفاد من تسريح مشروط مع الإقامة الجبرية الى غاية الإعلامن عن الإستقلال يوم 5 جويلية سنة 1962.

## الجهاد الأكبر

بعد إسترجاع السيادة الوطنية بصفة رسمية في الخامس من شهر جويلية سنة ألف و تسع مائة و إثان و ستون ، عاد الشيخ العرباوي الى مجاله الطبيعي ، ليواصل رسالته التربوية والدعوية ، حيث تم إدماجه في سلك التعليم كوظيفة رسمية ، وإماما وواعظا متطوعا بمساجد العاصمة ، وإستقر به المقام بمدينة الحراش ضواحي العاصمة ،التي تحولت مع مرور الوقت الى معقل الصحوة الإسلامية الحديثة بداية من سنة 1975وهي نفس السنة التي تحصل فيه الشيخ العرباوي على التقاعد ، ليتفرغ بصفة تامة للعمل اللإسلامي ، حيث ساهم رفقة الشيوخ عبد اللطيف سلطاني ، أحمد سحنون ، مصباح حويذق في ترشيد و توجيه الصحوة الإسلامية و توجيه الشباب نحو العلم و الثقافة و الفكر أولا وقبل كل شيء ، بإعتبارهم مفتاح كل عمل إسلامي سليم ، بالإضافة الى توضيح الموقف الإسلامي من كل الأحداث و القرارات التي تصدر عن الحكومات الجزائرية ، وكانت كل الدروس و الخطب و المحاضرات ، لا تخرج عن مطالبة النظام الجزائري بالوفاء لرسالة الشهداء تحقيق أهم أهداف الثورة البارکة ، و التي نص عليها بيان أول نوفبر و هي إقامة ( جمهورية ديمقراطية إجتماعية ذات سيادة في إطار المبادىء الإسلامية )

### مؤلفاته

لم يؤلف الشيخ العرباوي الكثير من الكتب ، و لكن كون الكثير من الشباب و الطلبة و التلاميذ ، الذين من دون شك سيواصلون رسالته التبوية و الدعوية و الثقافية ، و من أهم مؤلفاته :

كتاب التوحيد : وهي عبارة عن دروس في العقيدة الإسلامية كان الشيخ قد ألقاها على طلبة معاهد التعليم الأصلي .

كتاب الإعتصام بالإسلام: وهو عبارة عن مقالات متفرقة في السياسة و التاريخ

## وفاتـــه

توفي يوم الأحد 2 ديسمبر سنة 1984 و تم تشييع جنازته في موكب مهيب بمقبرة سيدي رزين بالجزائر العاصمة.

# الفصل التاسع ( 9 )


## شباب الصحوة الإسلامية

عباسي مدني ، محفوظ نحناح ، محمد بوسليماني سليم قلالشة، شرفي الرفاعي، مصطفى العبودي ، أبو جرة سلطاني ، عبد الله جاب الله .

يمكن تصنيف عباسي مدني بحكم تاريخ الميلاد ، ضمن فئة المخضرمين من النخبة الإسلامية الجزائرية التي وجدت نفسها بين الجيل الأول المؤسس كالشيوخ سحنون و أحمد حماني من مواليد العشرية الأولى من القرن العشرين ، و من حيث طبيعة نشاطه أيضا ضمن النشطاء الإسلاميين المخصرمين بين الرسميين و المستقلين ، بحكم أنه كان عضوا من الطبقة المتوسطة في الحزب الحاكم حزب جبهة التحرير الوطني ، وترشح في قوائم الحزب للمجلس الشعبي الولائي ، و كان مقربا من وزارة الشؤون الدينية و كاتبا في مجلاتها و صحفها ، فهو من حيث السن من مواليد سنة 1931 و الفارق بينه و بين النشطاء الرواد هو ( 20 ) سنة و الفارق بينه و بين الجيل الثالث ( 3 ) من جماعة نحناح و جاب الله يفوق العشر ( 10 ) سنوات حيث يأتي على رأس قائمة الجيل الثالث الشيخ محفوظ نحناح و هو من مواليد سنة 1942 و اصغرهم الشيخ جاب الله و هو من مواليد سنة 1956 و بينه و بين الشيخ عباسي مدني 24 سنة . و هو في إتجاهه السياسي و الفكري يجمع بين كل المدارس الإسلامية ، فهو مقرب من الإسلام الرسمي ، و متأثر بمدرسة مالك بن نبي ، و بجماعة الإخوان و يبدي تعاطفا مع التيار السلفي .

## حياته و مساره التعليمي

ولد الشيخ عباسي مدني سنة 1931 ببلدة سيدي عقبة ولاية بسكرة حاليا ، حيث ضريح الفاتح العظيم عقبة بن نافع ، و هو من عائلة مسلمة محافظة و متواضعة ، كان أبوه إماما ومعلما للتربية الإسلامية ، فكان أول المعليم الذين تتلمذ على يدهم الطفل عباسي مدني ، و لما بلغ السادسة عشر من عمره إنتقل لمتابعة الدراسة لدى الشيخ نعيم النعيمي و هو معلمه الثاني ، ويمكن القول أن مساره التعليمي كان مغايرا تماما لمسارأبناء جيله ، فهو لم يلتحق بمدارس جمعية العلماء ، و لم ينخرط في صفوفها ، و لم يسافر الى تونس لمتابعة التعليم في جامع الزيتونة ، و فضل العمل السياسي مباشرة من خلال حزب الشعب الجزائري ، رائد الحركة الوطنية السياسية ، كان ضمن مناضليه بداية من سنة 1948ثم أختير كعضو في المنظمة السرية اتي أسسها محمد بلوزداد ، و بعد إندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، كان عباسي مدني في الصفوف الأولى للفدائيين بالجزائر العاصمة ، و قام بأول عملية في نفس الليلة المباركة رفقة مجموعة من المجاهدين ، قاموا بهجوم على مقر الإذاعة الفرنسية بالجزائر العاصمة ، فكانت هذه العملية أول و آخر مشاركة له في الثورة ، حيث قبض عليه بعد أيام من العملية الفدائية و زج به في السجن الى غاية الإعلان عن الإستقلال يوم 5 جويلية سنة 1962حيث فضل العودة الى مقاعد الدراسة بالجامعة و سجل بقسم الفلسفة سنة 1971 و عمره ثلاثون ( 30 ) سنة ، وفي سنة 1975أرسلته وزارة التعليم العالي للدراسة ببريطانيا ، في إطار بعثة علمية خاصة بالمناضلين و الإطارات المتوسطة لحزب جبهة التحرير الوطني ، من أجل الحصول على شهادة في الدراسات العليا لعلم التربية تم معادلتها بشهادة الدكتوراه من الدرجة الثالثة ، وبعد عودته من بريطانيا عين أستاذا في كلية التربية بجامعة الجزائر .

## النشاط الدعوي

بعد إسترجاع السيادة الوطنية سنة 1962 ساهم في تأسيس جمعية القيم ، ولم يبد عباس مدني أية معارضة لنظام الحكم و عاش في أحضان الحزب الحاكم ، و في سنة 1980 على سبيل المثال كان عباسي مدني ضمن هيئة تحرير مجلة الرسالة و في العدد ألأول و على إمتداد صفحتين 32 . 33 نشر مقالا بعنوان الهداية ، وفجأة تحول عباسي مدني من الإبن المدلل لحزب و النظام الى معارض شرس ، تقول بعض التحليلات التي درست شخصية عباسيي مدني الطموحة من غير حدود ، أنه لم يكن أبدا راض عن موقعه داخل الحزب ، ولم يقتنع بوظيفة أستاذ جامعي رغم أنه

إستفاد من بعثة للدراسة في أرقى المعاهد البريطانية على حساب الدولة ، و لم يتحصل علىى شهادة الباكالوريا وكان يتطلع و ينتظر في كل مرة أن يأتي دوره و يتذكره المسؤولين الكبار ، و يعيينوه في منصب تنفيذي محترم كرئيس دائرة مثلا ، وهي المناصب التي كانت توزع كإمتيازات لأشخاص مقربين من مصادر القرار في الدولة ، ولذلك يشك الكثير من المتتبعين للشأن الإسلامي الجزائري في نوايا الشيخ عباسي مدني و في صدق معارضته للنظام و التي بدأت في 2 نوفمبر سنة 1982 من خلال ما عرف إعلاميا بتجمع الجامعة المركزية الذي إستغله عباسي مدني ليتزعم التيار الإسلامي في غفلة من الزمن ، و بعد الإنفتاح السياسي الذي أعقب إنتفاضة 5 أكتوبر 1988 كان عباسي مدني إنتهازيا للغاية حيث لم يلتزم بما أجمع عليه النشطاء الإسلاميين من ضرورة تقديم الدعوة على السياسة و التريث قليلا لمعرفة صدق نوايا النظام صقوره و حمائمه ، قبل الإعلان عن تنظيم سياسي كبير يضم تحت لوائه كافة الفصائل الإسلامية ، و غافل الجميع و أعلن رفقة علي بلحاج عن تأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي تحصلت على الإعتماد الرسمي في خريف 1989 و ما لبثت أن دخلت في صراع مع الجميع الحزب الحاكم ، الأحزاب اللائكية ، الأحزاب الإسلامية ، و إستغلت أجواء الحرية لحشد الجماهير و تجييش الشارع ، و بالغت في تنظيم المسيرات الشعبية وبالغت في إطلاق التصريحات السياسية النارية ضد خصومها و حتى أصدقائها من نفس العائلة السياسية ، ولم تقرأ الجبهة الإسلامية بشكل جيد الوضع المحلي و الإقليمي ، و جن جنون قادتها عباسي مدني وعلي بلحاج خاصة بعد فوزها بعدد كبير من مقاعد المجالس البلدية و الولائية ، حيث رأت أن السلطة و الحكم و الإمتيازات أصبحت قاب قوسين أوأدنى ، و تمادى الشيخ عباسي مدني في رفع سقف مطالبه ، الى أن وصل الى الطريق المسدود و هو فأعلن عن إضراب سياسي مفتوح الهدف منه هو إسقاط النظام على الطريقة الخمينية الإيرانية ، لكن الشيخ عباسي نسي أن نضال الإمام الخميني إمتد على مدى عشرين ( 20 ) سنة إستعمل فيه هو و رفاقه كل الوسائل الدعائية الممكنة و المتاحة و كون عدة أجيال من الشباب و الشيوخ عن طريق الشريط السمعي ، و تمكن الإمام الخميني من التأثير في كل مكونات المجتمع الإيراني و أسس أرضية صالحة لقيام الثورة و عندما جاء الموعد كانت كل الظروف مهيئة لتغير النظام ، حتى أن مبعوث الولايات المتحدة الأمريكية الذي حضر الى إيران لمنع سقوط النظام و رغم لقاءاته الليلية المتكررة مع الجنرالات ، أدرك أن عمر نظام الشاه قد إنتهى ، و لم ينتظر إنتصار الثورة ففر ليلا و عاد الى أمريكا يجر أذيال الخيبة ، في إعتقادي أن كل محاولات الشيخ عباسي مدني لزعزة النظام كانت بدافع نفسي غرضه الإنتقام من النظام الذي لم يمنحه ما كان يطمح إليه من مناصب ، و أن تصنيف عباسي مدني ضمن نشطاء الحراك الإسلامي هو على سبيل المجاز ليس أكثر ، فهو لم يكن أصلا من معارضي النظام و كان يعيش في كنفه الى غاية 1980 على الأقل ، و لو أنه تريث قليلا و لم يتسرع في تأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ و أكتفي مثلا بجمعية وطنية ثقافية أو خيرية تمهد أرضية تأسيس التنظيم السياسي ، لفوت على المتربصين بالتجربة الديمقراطية الجزائرية فرصة إجهاضها في أقرب فرصة .

## الإعتقال .. السجن ، المنفى

بعد الإضراب السياسي الذي دعا إليه الشيخ عباسي مدني بصفته رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، تم أعتقاله و محاكمته بالمحكمة العسكرية و الحكم عليه ب 12 سنة سجن رفقة الشيخ علي بلحاج و أربعة آخرين ، و في فترة الرئيس ليامين زروال تم الإفراج المشروط عنه وتحويله الى الإقامة الجبرية ... عاش الشيخ عباسي مدني بقية حياته منفيا بقطر ، وتوفي بمستشفى الدوحة العاصمة القطرية في: 24 آفريل 2019 .

## محفوظ نحناح

من مواليد 17 جانفي 1942 بمدينة البليدة .نشأ بين أحضان عائلة محافظة متمسكة بتعاليم الإسلام ، تتنفس اللغة العربية و التاريخ الإسلامي ، تتلمذ على يد شيوخ المدينة في ذلك الوقت ، و لم يتمكن من مواصلة تعليمه بسبب ظروف إعلان ثورة أول نوفمبر و كان في عمره 14 سنة فإلتحق بالجبال و هو صغير لمساندة الثوار و دعمهم حيث كان من براعم الثورة المباركة ، و قضى فترة شبابه الأولى بين المجاهدين في الجبال المحيطة بمدينة البليدة ، فعندما إندلعت الثورة كان عمره 12 سنة ، و عند الإستقلال كان عمره 20 سنة ، و بعملية حسابية بسيطة نجد أنه قضى ثمان ( 8 ) سنوات من عمره كمجاهد صغير، لكن بعض المصادر تشكك في هذه الرواية بحكم أن المعني لم يذكر ظروف مشاركته في الثورة إطلاقا ، سواء لإصدقائه و رفاقه أوفي دروسه و خطبه و محاضراته ، و هناك رواية تذكر أنه شارك في الثورة سنة 1960 لما بلغ عمره 18 سنة ، بعد إستعادة السيادة الوطنية سنة 1962 واصل محفوظ نحناح مساره التعليمي بشكل طبيعي و تحصل في نهاية الموسم الدراسي 55 / 1966 على شهادة الباكالوريا و سجل في الجامعة في موسم 66 / 1967 بمعهد الآداب و اللغة العربية ، و تخرج من الجامعة سنة 1971 بشهادة الليسانس في اللغة العربية ، و في نفس السنة سجل في جامعة القاهرة بقسم الدراسات العليا أدب عربي .

## مع مالك بن نبي ... نقطة البداية

إلتقى الشاب محفوظ نحناح بالمفكر الإسلامي الجزائري العظيم ، مالك بن نبي وتأثر بأفكاره وآرائه و شارك في مختلف النشاطات الثقافية و الفكرية و الدعوية التي كان يشرف عليها بن نبي ، و في مدرسة مالك بن نبي تعلم محفوظ نحناح مبادى الفكر الإسلامي و أصول العمل الإسلامي المعاصر ، و من مسجد الجامعة الذي أسسه بن نبي بدأ نحناح مساره الدعوي بين الطلبة إماما و مرشدا و موجها ، ثم إنتقل الى مساجد مدينة البليدة ثم مدينة الجزائر ، لإلقاء دروس الوعظ و الإرشاد بعد حصوله على رخص من مديرية الشؤون الدينية ، و كانت معظم مساجد الجمهورية مفتوحة للمتطوعين من الشيوخ و الشباب لإلقاء الدروس و الخطب بعد موافقة إدارة الشؤون الدينية ، حتى لا تتحول الأمور الى فوضى و تصبح المساجد مفتوحة لكل من هب و دب .

## من الوعظ الى السياسة

مع منتصف سبعينيات القرن الماضي و بالضبط في سنة 1975 وصلت الجزائر من حيث التنمية الى منتصف الطريق ، أو منتصف الجسر بتعبير صحفي فرنسي عاش تلك الفترة ، وبلغت مرحلة الحسم في بعض المسائل والخيارات المصيرية الكبرى ... كان الصراع الهادىء على أشده في القمة و القاعدة ، في الجامعة و الثانويات و المحيط ، بين أنصار العروبة و الإسلام ، و دعاة الإشتراكية و الشيوعية و الفرنكوفون و البربر... و جاءت ساعة الحسم و أطلق الرئيس هواري بومدين مشروع الميثاق الوطني و بدأت حملة وطنية لأثراء محاور الميثاق الوطني و تحولت أجواء الجزائر الى عرس ديمقراطي كبير ، عبر فيه المواطنون بكل حرية عن أرائهم ومواقفهم في كل محاور الميثاق الوطني المطروحة للمناقشة و الإثراء ، وجاءت المحاضر مبشرة بالخير و أختار الجزائريون أن تعود الجزائر بعد 13 سنة من الإستقلال الى تطبيق أهداف بيان أول نوفمبر نصا و روحا ، و في المجال التربوي أختار الجزائريون نموذج التعليم الأصلي الناجح ، لكن مشكلة الرئيس بومدين أنه وضع على رأس لجنة المرجعية الفكرية و الجانب الإيديولوجي رموز التيار الشيوعي الفرنكوفوني في الجزائر في ذلك الوقت ، و هم رضا الك ، عبد اللطيف رحال

مصطفى لشرف ، و أغلق بذلك مجال المناقشة في هذا المحور الهام و الأساسي ، و كان من المفروض وهو يحضر للعودة الى منابع أول نوفمبر أن تتولى عملية صياغة الميثاق الوطني بناءا على المحاضر الجهوية و المحلية لجنة وطنية تضم رموز وكتاب و منظرين من التيار العربي الإسلامي ، حتى يأتي الميثاق الوطني مطابقا لتطلعات الجماهير الشعبية التي رأت فيه محاولة ذكية من النظام لحسم الخلاف الإيديولوجي ، لكن الذي وقع أن الميثاق الوطني لسنة 76 حول الإشتراكية من مجرد خيار إقتصادي مؤقت و منهج تنموي مبتور من جذوره الفلسفية الشيوعية الإلحادية الى عقيدة و إيديولوجية و فلسفة و ربما دين جديد ، وجاء مشحونا بالمصطلحات و الأدبيات الشيوعية ، العقيدة الإشتراكية ، المجتمع الإشتراكي ، الطليعة الإشتراكية ، و أقحمت بعض العبارات في النص إقحاما غير مبرر... فكان عبارة عن صورة من الميثاق الوطني للبلدان الإشتراكية الشيوعية ، من هنا بدأ محفوظ نحناح معارضته لنظام الحكم و لم يكتف بالنقد البناء و الهادف من خلال الخطب و الدروس المسجدية و المحاضرات ، و من حق محفوظ نحناح بل من واجبه وواجب كل مواطن جزائري حر معارضة الميثاق الوطني لسنة 1976 في الجانب الإيديولوجي على الأقل و هو أهم فصل فيه ، لأنه يحدد فلسفة نظام الحكم و المرجعية الفكرية للدولة و المجتمع ، لكن طريقة محفوظ نحناح في معارضة الميثاق الوطني بصفة خاصة و نظام الحكم بصفة عامة ، تطورت من المعارضة الفكرية الى إستعمال العنف و التخطيط لإغتيال رموز النظام و منهم الرئيس هواري بومدين وتخريب بعض المنشآت الحساسة ، دون أن تفكر مجموعة محفوظ نحناح في عواقب العنف و أن حبله قصير جدا ، ودون أن يتساءلوا ذلك السؤال الفلسفي المنطقي الوجيه ماذا بعد العنف ؟ هل تستطيع مجموعة صغيرة بأسلحة خفيفة أن تسقط النظام في رمشة عين ؟يقول السيد بوجمعة عياد و هو من الرعيل الأول الذين رافقوا محفوظ نحناح في بداية نشاطه الدعوي ، في شهادته لجريدة الشروق ( ع 24 ديسمبر 2012 ) كنا نترصده ـ يقصد الرئيس هواري بومدين لأكثر من شهرو كانت لدي خطط بديلة للقضاء عليه لولا لطف الله بنا جميعا ، كنت أخترت إحدى المنحدرات إما لدفع سيارة ملغمة فوق الموكب ـ الرئاسي ـ من جوف يعلو الطريق ، أو الهجوم على الموكب بحزام ناسف ، ولذلك كان سؤالي للشيخ عبد اللطيف سلطاني هل أدخل الجنة إذا أرحتكم من بومين ؟ لكن الشيخ رحمه الله نجاني شخصيا و جماعتنا من الإنحراف الى العنف و التطرف ... و لذلك قمنا بترشيد تلك الحركة الإحتجاجية وفق مخطط رمزي إستهدفنا من خلاله تخريب أعمدة الهاتف التي كانت تربط أجهزة حساسة ... إنقسمنا الى مجموعتين الأولى تحت إشراف محفوظ نحناح ، الثانية تحت إشرافي مع السرية التامة و لا معرفة بالأماكن المحددة ولا عدد الأعمدة التي ستقطع ، ذهبنا الى بلدة سيدي موسى و كنا سبع ( 7) أشخاص و نفذنا العملية بنجاح ، و في الصباح سمعت أحد العمال يتحدث عن عملية كبيرة لتقطيع أعمدة الهاتف ، لكن وللأسف أكتشف أمرنا بسبب عودة عنصر من المجموعات في الصباح بسيارته لتفقد مكان العملية بعد تفتيشه من طرف الدرك الوطني وجدوا داخل سيارته الأدوات التي تم إستعمالها في تحطيم أعمدة الهاتف ) هذه العملية التي يقول عنها بوجمعة عياد كانت بسيطة و رمزية و بديلا عن العنف و إغتيال رموز النظام ، لم تكن في حقيقة الأمر جرد عملية رمزية ، و لكن كانت خطأ إستراتيجيا فادحا يعبر عن تدني مستوى التفكير و غياب العقل و الرأي السديد ، و من سوء حظ جماعة محفوظ نحناح أن تلك الأعمدة التي تم تحطيمها بصورة عشوائية كانت عبارة عن خطوط هاتفية تضمن الإتصالات السريعة بين وزارة الدفاع الوطني و الناحية العسكرية الأولى بالبليدة و رئاسة الجمهورية ، هذه العملية التخريبية التي كان هدفها فقط تسجيل حضور تمت في إحدى ليللي شهر ديسمبر سنة 1976 و أنتهت بإعتقال كل أفراد المجموعة وعلى رأسهم الشيخ محفوظ نحناح و محمد بوسليماني و حكم عبيهم ب 15 سنة سجنا ، وكيفت التهمة على أنها محاولة تخريب تمس بأمن الدولة و الشروع في محاولة لقلب نظام الحكم ، ومن حسن حظ نفس

المجموعة أن الرئيس هواري بومدين قد توفي في أواخر شهر ديسمبر سنة 1978 أي بعد سنتين ( 2) من تلك العلية التخريبية المجانية ، ومع بداية الثمانينيات وفي فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد و في إطار المصالحة مع الذات ، تم الإفراج عن كل المعتقلين السياسيين و سجناء الرأي ، فتم الإفراج عن محفوظ نحناح و مجموعته بعفو رئاسي فوجدو أن الساحة الثقافية و الدعوية و السياسية قد تغيرت نوعا ما ، حيث تخلص الرئيس بن جديد من غلاة اليساريين الذين كانوا متمركزين في مناصب حساسة و مؤثرة في الحزب و الحكومة و الإدارة ، و إقترب من رموز التيار الإسلامي الرسمي ، خرج الشيخ نحناح و مجموعته من السجن الذي ستنتهي مدتة في سنة 1991 لولا فضل الله و كرم الرئيس بن جديد ، ليبدؤوا حياتهم من الصفر ، و حسب شهادة السيد عبد الرزاق مقري التي نشرتها يومية الشروق بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن شيبان ، وزير الشؤون الدينية في فترة الرئيس الشاذلي بن جديد و الرئيس الثاني لجمعة العلماء المسلمين الجزائرين في طبعتها الجديدة ، فإن الشيخ شيبان أخبره أنه بعد خروج الشيخ محفوظ نحناح و رفيقه محمد بوسليماني من السجن و إرادا مواصلة نشاطهما الدعوي ( أرسلت في طلب حضورهما لمقر الوزارة وقمت بتوظيفهما بصفة رسمية في منصب مرشد متجول ، وزودتهما بسيارة و دفتر وصولات بنزين ، و قلت لهما إن أرض الجزائر كلها تحت تصرفكما لنشر العقيدة الصحيحة و الأفكار الإسلامية السليمة و دعوة الناس الى الإلتزام بالإسلام عبادة و سلوكا ) فكانت تلك الوظيفة فرصة ثمينة للشيخ نحناح ورفيقه بوسليماني للقيام بجولات دعوية في مختلف أرجاء الوطن .

## الشيخ نحناح رمز الوطنية و الإعتدال

من مدرسة مالك بن نبي ثم مدرسة الشيخ إبن باديس ، إستقر فكر الشيخ نحناح عند مدرسة الإخوان المسلين التي أسسها الشيخ حسن البنا أواخر عشرينيات القرن الماضي بمدينة الإسماعيلية المصرية ، و إنتشرت أفكارها و أدبياتها في فترة وجيزة لتعم مختلف أرجاء العالم ، بعد إنتفاضة 5 أكتوبر 198 التي غيرت مجرى التاريخ الجزائري ، و فرضت على النظام الجزائري إنفتاحا سياسيا و إقتصاديا و ثقافيا و إعلاميا غير مسبوق ، شارك الشيخ نحناح مع رفاقه من كل الفصائل الإسلامية ، في بلورة آلية للعمل الإسلامي تحت راية الشيخ أحمد سحنون الذي إقترح إطارا رسميا ينضوي تحت لوائه الإسلاميون الجزائريون بمختلف إتجاهاتهم ، في إنتظار أن يتبين الخيط الأبيض من الأسود ، و إختبار نوايا النظام و جديته في مشروع الديمقراطية ، و حتى بعد إفشال فكرة رابطة الدعوة الإسلامية من طرف الشيخ عباسي مدني و رفيقه علي بلحاج ، لم يتسرع الشيخ نحناح و لم يهرول في إتجاه العمل السياسي ، وقام رفقه الشيخ بوسليماني بتأسيس جمعية الإصلاح و الإرشاد الخيرية ألتي إبتكرت بعض الإنشطة الجديدة ، كالزواج الجماعي ، و مائدة رمضان ، قفة رمضان ، و كسوة العيد ، وكبش الفقراء ، و إستطاعت أن تسد فجوة كبيرة في المجتمع الجزائري ، حتى أن الحكومة الجزائرية أنشأت وزارة التضان الوطني لمحاصرة جمعية الإرشاد و منافستها و فرملة تغلغلها في مفاصل المجتمع ، و قد حققت جمعية الإرشاد و الإصلاح نجاحات معتبرة على الصعيدين الإجتماعي و الثقافي عندما إستهدف نشاطها الفئات الهشة و المحرومة .

## النشاط السياسي

بعد تردد و تفكير عميق قدم الشيخ نحناح و رفاقه الى وزارة الداخلية ملف إعتماد تنظيم سياسي إسلامي تحت تسمية ( حركة المجتمع الإسلامي ) و تحصل على الإعتماد في السنوات الأولى للتعددية السياسية ، و شارك بصفته رئيسا للحركة في أول إنتخابات رئاسية تعددية سنة

1995كمنافس رئيسي لمرشح النظام الجنرال ليامين زروال ، وتحصل الشيخ نحناح على أزيد من ثلاثة ملايين صوت حسب النتائج الرسمية ، ويقول أنصاره أن زعيمهم هو الفائز و بأصوات أكثر من تلك المعلنة بصفة رسمية ، لكن جهاز المخابرات الذي أشرف على العملية ، تدخل لتزوير الإنتخابات و تغيير النتيجة لصالح مترشح النظام ليامين زروال ، لكن إلتزام الشيخ نحناح الصمت ساعد حركته السياسية التي تغيرت تسميتها بموجب تعديل قانون الأحزاب و أصبحت تسمى ( حركة مجتمع السلم ) على التغلغل داخل أروقة النظام و أصبحت الحزب المعارض رقم واحد في الجزائر .

## الشيخ نحناح ... و الإرهاب

الى غاية اليوم 21 فيفري 2021 لا يعرف الكثير من المحللين المحايدين طبيعة الإرهاب الهمجي الذي ضرب الجزائر ، طيلة عشرية كاملة و لا يزال حتى اليوم ، رغم أنه لا يمكنً بأي حال من الأحوال تبرير العنف السياسي و الإرهاب ، حتى و لو تعسفت السلطة أو النظام أوالإدارة ، فسبل النضال السلمي الهادىء كثيرة ، وقديما قيل ما ضاع حق وراءه طالب ، الأزمة السياسية الأمنية التي إندلعت بعد توقيف الدور الثاني من الإنتخابات التشريعية التي جرت في 26 ديسبر 1991 و فازت بأغلبية مقاعدها في الدور الأول الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، حيث إستقال الرئيس الشاذلي بن جديد وسلم السلطة الى الجيش الذي قرر توقيف العملية الإنتخابية و إلغاء نتائج الدور الأول ، ثم أعقب ذلك بموجة من الإعتقالات العشوائية التي طالت إطارات الجبهة الإسلامية للإنقاذ و مناضلين بسطاء ، والزج بهم في معتقلات العار بأقصى الصحراء الجزائرية ، ثم تم حل االجبهة الإسلامية بقرار إداري ، وهذه الإجراءات و بإعتراف عراب الجنرالات الإنقلابيين الجنرال محمد تواتي كانت سببا رئيسيا في إندلاع أعمال العنف و الإرهاب ، إزاء هذه التطورات السلبية في المشهد السياسي الجزائري ، بلور الشيخ نحناح موقفا وسطيا معتدلا من الأزمة السياسية و الأمنية ، حيث رفض العنف السياسي بكل أشكاله و مهما كان مصدره ، و فسر الموضوع بقوله نرفض عنف الدولة و نرفض عنف الجماعات المسلحة ، و قد دفع الشيخ نحناح ثمنا باهظا لهذا الموقف المعتدل و المحايد ، حيث تم إختطاف رفيق دربه الشيخ محمد بوسليماني من منزله بمدينة البليدة من طرف جماعة جمال زيتوني الي تشير بعض المصادر أنهاجماعة إسلامية مسلحة مفبركة تخدم لصالح أطراف معينة ، و ليست لها أية علاقة بالإسلام السياسي و لا بجبهة الإنقاذ ، وتم إغتياله بطريقة بشعة حيث تم ذبحه من الوريد الى الوريد من طرف إرهابي خبيث يدعى البوشي ، تقول مصادر أن يدية التي مسك بها الخنجر و مرره على رقبة الرجل الصالح محمد بوسليماني قد شلت ، كما تعرض أكثر من 400 مناضل من حركة مجتمع السلم الى الإغتيال من طرف الإرهابيين .

## رئاسيات 1999و الخوف من تكرار تجربة 1995

عندما تقدم الشيخ محفوظ نحناح بملف ترشحه للإنتخابات الرئاسية سنة 1999، رفضت الإدارة قبول ملفه ، بحجة عدم وجود وثيقة المشاركة في الثورة ، فهضم بسرعة تلك الحجة الواهية و أدرك حجم تخوف النظام من تكرار تجربة رئاسيات 1995 ، و من الطبيعي أن يتخوف جنرالات علمانيين من صعود شخصية إسلامية الى سدة الحكم مهما كان مستوى إعتداله في الأراء و المواقف بحكم أن ملف العشرية الحمراء يكتنفه الكثير من الغموض و عدد كبير من الإغتيالات السياسية و العشوائية يحوم حولها الشك ، و لم يمنع ذلك الشيخ نحناح وحركته من التحالف مع نظام الرئيس بوتفليقة و دعم برنامجه ، لكن بقي ذلك التحالف أفقيا فقط و لم يصل الى مداه بحيث تصبح الحركة شريكا فعليا في الحكم ، تستفيد على الأقل من ثلث المناصب على

المستويين المركزي و المحلي .. لم يكتب لي الله اللقاء مع الشيخ نحناح أوالتعرف عليه عن قرب ، وكانت الفرصة في إحدى المناسبات الإنتخابية سنة 1997 على ما أظن ، و كان من المفروض أن ينظم مهرجانا شعبيا بقاعة المحاضرات بدار الثقافة محمد العيد آل خليفة بمدينة قسنطينة ، وكنت حاضرا لهذا السبب ، لكن اللقاء تأخر كثير و في النهاية لم يحضر الشيخ ، و قالت الأخبار أنه أصيب بوعكة صحية ونقل على جناح السرعة الى المستشفى.

## وفاتـــــــه

في 19 . جوان . 2003 توفي الشيخ محفوظ نحناح ، فبكته الأمة الجزائرية و المسلمون في مختلف أنحاء العالم ، و حسب ما روى عبد الرزاق مقري أحد إطارات الحركة . ليومية الحوار ، فقد كان يوم وفاته يوما مشهودا ، لم تعرفه الجزائر من قبل ، و فور سماع الخبر هبت جموع غفيرة من المواطنين الى منزله لتأدية واجب العزاء في فقيد الجزائر و العالم الإسلامي ، و هناك العديد من الشخصيات الوطنية المدنية و العسكرية حضرت الى منزله ، و قد رأت بعيني رجال نافذين في السلطة لم يتمالكوا أنفسهم من البكاء ، و منهم من قبل الشيخ و منهم من طلب السماح .

## الشيخ محمد بوسليماني

ولد يوم 5 ماي 1945 بحي الدردارة بمدينة البليدة ، من عائلة محافظة و مجاهدة ، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادى العلم و المعرفة بمدرسة الإرشاد التابعة لحزب الشعب الجزائري ، و في ساحتها إلتقى برفيق دربه فيما بعد التلميذ محفوظ نحناح ، جمع بين الدراسة و العمل مع والده في مجال التجارة و البناء ،مما ترك في نفسه شعورا بالمسؤولية الإجتماعية منذ الصغر .

## المشاركة في الثورة

بعد إندلاع ثورة أول نوفمبر 54 المباركة ، تأثر بها كغيره من الشباب و الأطفال و الشيوخ ، لكن حاجز السن و كان في عمره في ذلك الوقت 13 سنة ، حال دون مشاركته الفعلية في الثورة ، فأنتظر حتى بلغ السادسة عشر من عمره فإتصل بممثلي الثورة في المنطقة و أقترح عليهم التكفل بتكوين خلية مساندة الثورة ، فجمع حوله مجموعة من الرفاق تتكفل بجمع المواد الغذائية و الألبسة و الأدوية لصالح مجاهدي المنطقة .

## بعد الإستقلال

بعد إسترجاع السيادة الوطنية في جويلية 1962 ، تم تعيينه معلما بإحدى المدارس الإبتدائية ، ثم رقي الى مدير مدرسة ، وفي سنة 1968 سجل بكلية الأداب بجامعة الجزائر لمواصلة الدراسات العليا ، ليتوج سنة 1974 بشهادة اللسانس في الأدب العربي ، ليعود مرة ثانية الى مهنة التدريس و لكن بالتعليم الثانوي و بثانوية الفتح بمدينة البليدة .

## النشاط السياسي

بدأ نشاطه السياسي كمناضل في حزب جبهة التاحرير الوطني ، الحزب الوحيد الحاكم في الجزائر منذ الإستقلال ، و تم تعيينه كرئيس للجنة الثقافية بقسمة الحزب بالبليدة ، ولم يستر طويلا في تلك المسؤولية الشرفية التطوعية ، فت إبعاده بمبرر عدم إلتزامه بالخط السياسي للحزب الحاكم الذي تبنى في ذلك الوقت مفهوما هلاميا غامضا للإشتراكية ، وبمجرد فصله من الحزب تحول مباشرة الى المعارضة ، فكان رفقة الشيخ نحناح في طليعة النخبة الإسلامية

التي أعلنت صراحة معارضتها للنظام و أبرز مظاهر الإشتراكية كالتأميم و الثورة الزراعية ، كما عارض مشروع الميثاق الوطني و أعلن رفقة محفوظ نحناح عن إنشاء تنظيم سري سمي ب. حركة الموحدين نشر بيانا تضمن عشر ة ( 10 ) مطالب من بينها إعتماد الإسلام كمرجعية فكرية و سياسية للدولة و الحزب ، و مصدر أساسي للتشريع .

## الإعتقـال

تتضارب الأخبار و المعلومات حول أسباب و مبررات سجن الشيخ محمد بوسليماني سنوات السعينيات من القرن الماضي ، رغم أن السيد عياد يذكر فس شهادته ليومية الشروق أن بوسليماني لم يشارك في عملية تحطيم أعمدة الهاتف من قريب أو من بعيد ، و هناك بعض التساؤلات تحتاج الى أجوبة صحيحة ،خاصة إذا علمنا أن دخول الشيخ نحناح الى السجن كان بتهمة مادية وسياسية و هي عمل تخريبي لأملاك الدولة يدخل في إطار محاولة لقلب نظام الحكم ، أما السيد بوسليماني فتهمته تبدوواضحة و هي سياسية محضة ، حيث حكم عليه ب ثلاث ( 3 ) سنوات سجنا قضاها بين سجني البرواقية بولاية المدية ، وبوفاريك بولاية البليدة ، وأستغل فترة السجن للدعوة الإسلامية و الوعظ و الإرشاد بين المساجين .

## الإفراج ... الإرشاد ... ألإغتيال

في شهر جوان سنة 1979 و في مراجع أخرى سنة 1980 ، و في إطار عفو رئاسي شامل إستفاد منه كل المساجين السياسيين و مساجين الرأي ، والمنفيين و الفارين ، و فور خروجه من السجن رفقة الشيخ نحناح إستدعاهما الشيخ عبد الرحمن شيبان وقام بتوظيفهما في قطاع الشؤون الدينية كمرشدين متنقلين ، .بعد الإنفتاح السياسي بصدور دستور فيفري 1989 أسس رفقة صديقه محفوظ نحناح جمعية الإرشاد والإصلاح ، وبعد دخول الجزائر في أزمة سياسية و أمنية بداية من شهر جانفي 1992 و إندلاع عمليات عنف مشبوهة و ظهرت جماعات مسلحة غامضة تدعي دفاعها عن حق الشعب و خياراته السياسية ، لكنها أثبتت أنهاجماعات إرهابية إجرامية مأجورة تدافع عن مصالح أطراف في الداخل الخارج ، ولا علاقة لا بالإسلام و لا بالسياسة ، إلتزم الشيخ يوسليماني الصمت و الحياد الإيجابي ، فرفض العنف الذي مارسه العسكر و قوات الأمن ضد إطارات و مناضلي الجبهة الإسلامية للإنقاذ لمجرد أنهم مناضلين في حزب معتمد ذو مرجعية فكرية و سياسية إسلامية ، و رفض العنف و الإرهاب و الإغتيالات السياسية و قتل المخالفين في الرأي و الفكرة و المنهج ، هذا الموقف المعتدل لم يشفع له عند الإرهابيين المأجورين فقاموا بإختطافة و طلبوا منه إصدار فتوى تكفر السلطة الحاكمة في الجزائر في ذلك الوقت وتعلن الجهاد ضد الطاغوت ، لكن الشيخ رفض إصدار فتوى تحت الضغط تبيح للإرهابيين قتل المسلمين الجزائريين بصفة عشوائية وإعتصاب النساء و سرقة أموال الشعب من البنوك و مراكز البريد ، فتم إغتياله بطريقة وحشية حيث تم ذبحه من الوريد الى الوريد يوم الجمعة 28 جانفي 1994 و قد خلفت هذه العملية الجبانة إستياءا كبيرا داخل الوطن وخارجه ، حيث إستهدفت أحد رموز الوسطية و الإعتدال .

## سليم قلالشة الغبريني

من مواليد 14 جانفي 1945 ب خميس الخشنة ولاية بومرداس حاليا ، أستشهد والده عبد القادر قلالشة في 11 سبتمبر 1957 مما دفعه للبحث عن مصدر رزق للعائلة بإعتباره الإبن البكر، فإشتغل في الفلاحة بمختلف المزارع المتواجدة بتالمنطقة الى غاية الإعلام عن إستقلال الجزائر في 5 جويلية سنة 1962 ، حييث سجل بمدرسة حرة و تخرج منها بشهادة ممرن ، تحصل من

خلالها على وظيفة معلم في مدرسة إبتدائية ، ليعود الى مقاعد الدراسة في مركز تكوين في تقنيات الكتابة على الآلة الراقنة ، وبعد حصوله على الدبلوم إنتقل الى مدينة بوسعادة ، ليعود مجددا الى مقاعد الدراسة بزاوية الهامل ، و في سنة 1969 التحق بجامعة الجزائر لمواصلة رحلة التعليم العالي ، وبعد تخرجه من الجامعة إشتغل بقطاع التعليم ، ثم قرر الإنتقال الى القاهرة لمواصلة التعليم العالي على حسابه الخاص و دون التنسيق مع وزارة التعليم العالي ، وبعد توتر العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر و مصر على خلفية توقيع الرئيس المصري السادات إتفاقية كأمب ديفيد المشؤومة مع العدو الصهيوني ، عاد قلالشة الى الجزائر فتم تعيينه أستاذا للغة العربية بالمركز الجامعي ب تيزي وزو.

## نشاطه الدعوي و السياسي

شارك الأستاذ سليم قلالشة في تحريك المشهد الثقافي و الدعوي بخلفية إسلامية حديثة وأصيلة ، حيث قدم دروسا و محاضرات وخطب و مواعظ ، في مختلف المساجد ، وفتح أقسام لتعليم الناس اللغة العربية و مبادىء الدين الإسلامي في إطار المشروع الوطني الضخم لمحاربة الأمية ، كما شارك بحماس في مختلف فعاليات ملقيات التعرف على الفكر الإسلامي ، التي كانت بمثابة جامعة إسلامية صيفية متنقلة ، و أبلى بلاءا حسنا في الصراع الفكري و السياسي الذي شهدته الجزائر و مازالت بين التيار العلماني الفرنكوفوني و المعرب وبين التيار الإسلامي بمختلف فصائله ، حيث تم إعتقاله سنة 1976 في إطار موجة أعتقال المعارضين لمشروع الميثاق الوطني ، و أفرج عنه سنة 1979 في إطار عفو رئاسي ، وفي نوفمبر 1982كان من بين المشاركين في التجمع الإسلامي الذي نظم بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة ، و حضرته رموز إسلامية جزائرية من مختلف الأجيال و المدارس ، وقدموا للنظام عريضة تضمنت عدة مطالب سياسية و إجتماعية إستعجالية أهمها تطبيق الشريعة الإسلامية ، فكان من بين المعتقلين حيث قضى 18شهرا في السجن فظهرت عليه بعض أعراض مرض السكري ، ثم العجز الكلوي الحاد .

## شهادات و أقوال

أجمعت شهادات أصدقاء و زملاء الأستاذ قلالشة ، أنه كان رجل وسطية و إعتدال و حوار ، جمع بين الإسلام السمح و الوطنية الخالصة ، ساهم في إعادة إحياء الزاوية الغبرينية لتكون منارة للعلم و الفكر ، وتصدى بحكمة وذكاء لدعاة الفتنة من خصوم العروبة و الإسلام ، فحافظ على هدوئه و رزانته و إلتزم بالأخلاق الإسلامية في معاملة الخصوم ، الذين إستغلوا بعض المنابر الإعلامية الرسمية للنيل من الرموز الإسلامية .

## وفـاتـــــه

توفي رحمه الله متأثر بالقصور الكلوي يوم 14 سبتمبر سنة 1989 بمستشفى الرويبة بالجزائر العاصمة ، و دفن بزاوية الغبارنة ضواحي مدينة خيس الخشنة و لاية بومرداس .

## جماعة الشرق

تمركز الحراك الإسلامي الفكري و الدعوي منذ الإستقلال بالجزائر العاصمة و ضواحيها، بإعتبارها عاصمة البلاد ، لكن لا يعني ذلك أن يقية جهات الوطن كانت غائبة عن النشاط الإسلامي مهما كانت طبيعته ، فبناء مسجد في دشرة نائية أوقرية معزوبة وفتحه للمصلين الركع السجود ، و أقامة دروس و خطب الجمعة ، يعتبر مساهمة كبيرة في العمل الإسلامي ، إذا أخذنا

بعين الإعتبار أن تكلفة بناء مسجد صغير في أيامنا هذه ( أواخر فيفري 2021 ) و تجهيزه قد تفوق 2 مليار سنتيم . و كما كانت مدينة قسنطينة أثناء الإحتلال الفرنسي منطلق الحركة الإصلاحية الإسلامية . كانت بداية سبعينيات القرن الماضي محطة للعديد من الدعاة و الكتاب و النشطاء الإسلاميين . أذكر من بينهم الشيوخ الذين ذاع صيتهم : . شرفي الرفاعي . مصطفى العبودي أبو جرة سلطاني . عبد الله جاب الله . وهناك الكثير غيرهم . و منهم من واصل في نفس الطريق حتى اليوم . و منهم من توقف في منتصف الطريق .

## شرفي الرفاعي

هو أحمد شرفي الرفاعي من مواليد سنة 1932 بمدينة خنشلة . زاول دراسته الأولى بمسقط رأسه ثم إنتقل للدراسة بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة لمدة أربع ( 4 ) سنوات من 48 الى 1952 . و في سنة 1954 إنتقل الى تونس لمتابعة الدراسة بجامع الزيتونة و مكث به عامين . ثم ذهب سنة 1956 الى القاهرة حيث الأزهر الشريف حلم كل طالب او شاب مسلم . إلا أنه لم يدرس بالأزهر سوى سنة واحدة ليحول وجهته نحو بغداد عاصمة العباسيين و ملتقى الأفكارالإسلامية و الثقافات العالمية . فدرس بجامعة بغداد ثلاث (3 ) سنوات من 58 الى 1961. ثم عاد عاد الى قاهرة المعز مرة ثانية و سجل في كلية الآداب بجامعة القاهرة لمدة سنتين ( 2 ) و أنهى مشواره الدراسي المتشعب وغير المنتظم سنة 1962 . و في حوزته عدة شهادات منها الأهلية من جامع الزيتونة . و اللسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة . و شهادة النجاح للسنة التمهيدية ماجستير أدب عربي .

## المسارالمهني

إنتسب شرفي الرفاعي بعد الإستقلال الى سلك التعليم الثانوي لمدة عشر ( 10 ) سنوات كأستاذ لمادة الأدب العربي . من سنة 1962 الى سنة 1972 . ثم رقي الى أستاذ جامعي ( مساعد ) لنفس المادة بجامعة قسنطينة في الموسم الجامعي 72 / 1973 و في سنة 1979 نال شهادة الدكتوراه الطور الثالث ( 3 ) من جامعة الجزائر . ليرقي الى منصب أستاذ جامعي لنفس المادة الى غاية سنة 1987 حيث تم تعيينه رئيسا لمعهد الحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة من سنة 1987 الى سنة 1989 ثم رئيسا للجلس العلمي لكلية الآداب و اللغة العربية بجامعة قسنطينة . كما أنتدب كأستاذ مشارك لمادتي الحديث الشريف و السيرة النبوية بالمعهد العالي للشريعة بمدينة باتنة .

## المسار الدعوي و الفكري

شارك الأستاذ الرفاعي في الحراك الإسلامي الذي كان من أبرز مظاهره الصحوة الإسلامية الشبابية التي عمت مختلف أرجاء العالم الإسلامي و الغربي بداية من أواخر سبعينيات القرن الماضي . حيث إندمج فيها بكل قواه إماما و خطيبا و مدرسا و محاضرا و مفتيا و كاتبا . وشارك في مختلف الفعاليات الإسلامية التي تنظم هنا و هناك بصورة تلقائية من طرف الشباب المتدين . و ربما كان إهتمامه بالبحث الأكاديمي مانعا له من الظهورالإعلامي الميداني بالمقارنة مع شخصيات إسلامية أخرى . خاصة و أن الكتابة و التأليف تتطلب الكثير من الهدوء والعزلة أحيانا .

أعماله الفكرية

ألف الشيخ شرفي الرفاعي عدة كتب إسلامية ( 20 عنوانا ) أهمها :

التعريف بالقرآن الكريم.
جراحات التاريخ وعاهاته .

السيرة النبوية دلالات و عبر .

مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلي .

بعد تقاعده تفرغ لألقاء الدروس في مسجد أبي أيوي الأنصاري بمدينة قسنطينة

## وفاتـــــــه

توفي مساء الأربعاء 29 ماي سنة 2014

## مصطفى العبودي

عندما كنت أفكر في خطة و محتوى هذا الكتاب ، تذكرت الشيخ مصطفى لعبودي ، و هو أول داعية و ناشط إسلامي سمعت به عندما كنت شابا ، حيث كان ينشط بمدينة الخروب التي تابعت بها دراستي المتوسطة ، و في منتصف الثمانينيات كان ينشر من حين لآخر بعض المساهمات في يومية النصر التي تصدر من مدينة قسنطينة ن بحثت عن سيرة الشيخ العبودي في الأنترنت فلم أجد لها أثر ، و نشرت إعلانا في الفيسبوك لعلي أجد من يعرفه و يدلني عليه لأطلب منه بعض المعلومات المتعلقة بسيرته و حياته المهنية و الدعوية ، و كنت أظن أن الشيخ قد توفي ، خاصة و أنه إنخرط في الحياة السياسية مطلع التسعينيات ، و ترشح في صفوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن دائرة الخروب ، و فاز بمقعد في أول برلمان جزائري تعددي ، لكن صقور الجيش من العلمانيين المتطرفين ، تدخلوا و أوقفوا الدور الثاني من تلك الإنتخابات و أدخلوا البلاد في أزمة أمنية و سياسية نتحرع مرارتها حتى اليوم ، و قد تم إعتقال الشيخ لعبودي و ربما تم تعذيبه ، و سمعنا في ذلك الوقت أنه قتل رفقة شقيقه بضواحي ولاية الطارف ، لكن في شهر فيفري من سنة **2021** وجدت في الفيسبوك صفحة بإسم مصطفى لعبودي ، فاتصلت به و طلبت إضافتي و تحدثت معه بعض الوقت عبر الفيسبوك ، و علمت من إحدى تلميذاته أنه مريض بسرطان العظام و هو مقعد لا يتحرك و لا يستقبل الضيوف خوفا من العدوى بوباء كورونا ، ثم أرسلت له كتاب التصور الإسلامي لله و الحياة و الإنسان ، ثم كتاب مأزق الحداثة و ما بعد الحداثة و ما بعد الحداثة و موقف الإسلام منهما في طبعتهما الإلكترونية ، فأثنى عليهما و قال لي يبدو من عنوانيهما أنهما جديرين بالقراءة ، ثم عرضت عليه موضوع كتابي هذا و طلبت منه موجز لسيرته ، ففرح كثيرا و شكرني لأنني لم أنساه و فكرت في ضمه الى قائمة النشطاء الإسلاميين في الجزائر من فجر الإستقلال الى سنة **2012** ، بعد إلحاح و طلبات و تذكير عبر الفيسبوك ، أرسل لي الشيخ لعبودي موجز سيرة حياته التعليمية و المهنية و الدعوية ، أنشرها في هذا الكتاب كما هي

بسم الله الرحمن الرحيم

الخروب في 06/فيفري/2021م

نبذة مختصرة جدا عن حياة الداعية مصطفى الْعَبُّودِي

مصطفى الْعَبُودِي من مواليد بتاريخ: 1948/02/08م ب سطارة و لاية جيجل حاليا .

مسقط رأسه على ربوة من روابي جبال جيجل، بمحاذاة الطريق الرابط بين الميلية (جيجل) وسكيكدة. تابع لدوار أولاد دباب (الميلية)، بمشتة برقيدة تنطق هكذا بَرْقِيدَه

مع الملاحظة أنه لا يكاد يوجد إلى جيل والدي من (لعوابد) من لا يحفظ القرآن، أما العلم فنتيجة سياسة المستدمر فقد قل فيهم شأنهم شأن غيرهم،ممن يحذون هذا الطريق، فلم يبق لهم سوى التمسك بالقرآن حفظا عن ظهر قلب، حيث وإلى جيل والدي ( سيدي ) لا تكاد تجد واحدا من العائلة ليس من حملة القرآن الكريم، فكان الناس يجلونهم أيما إجلال، والذي كان من أعمامي لا يحفظ القرآن لا ينادى ( سيدي ) وإنما ينادى عمي فلان...

مصطفى/ الطاهر لم يعرف بحال في مشتته وإلى سنة الاستقلال باسم مصطفى، إلى أن سجل للدراسة في المدرسة المختلطة سطارة، فإذا به يجد نفسه/ مصطفى، ذاع صيته في الابتدائي بهذا الاسم، وعرف في مشواره الدعوي بهذا الاسم، فسبحان الله، انتشر اسمه بهذا الاسم وغاب تماما اسم الطاهر خارج سطارة أو الميلية. لقد أراد الله ذلك، حيث سبق في علمه أن ينتشر مصطفى الذي كان حين اطلق هذا الاسم في عالم العدم، والا ينتشر اسم الطاهر الذي ولد فعلا.

نجح لدراسة المتوسط ثم الثانوي ثم التكوين كأستاذ تعليم متوسط ( رياضيات ) ليكون تلميذا في مدرسة ترشيح المعلمين بقسنطينة ( ECOLE NORMALE DES INSTITITEUR DE QONSTANTINE) وبكل صراحة بمساعدة من عمه المجاهد المعروف في الثورة باسم (سي احمد بلعابد)، المعريفة من الاستقلال إلى الآن تسود الجزائر، لكني من جهة شرفته لأني كنت منضبطا جادا في دراستي، إذ لم أكن ( طايوان ) حيث كانت رتبتي ضمن الخمسة الأوائل، لا يكاد يوجد أستاذ من أساتذته لا يضع في كشفه الدراسي العبارة (جدي/ TRES SERIEUS) لكن شهرة سطارة ضاعت مني، ورغم جديتي لم أكن طموحا. فالطموح لم يكن من فطرتي. كان ذلك سنة 1965م. ونجحت بامتياز لأواصل دراستي الثانوية من غير مشورة من أخي الذي كان يعيلنا ، ذلك أن أبي قد ساهم في ثورة التحرير، وقبض عليه ليدفن تحت تراب البيلدوزور في الميلية ، فأنا ابن شهيد ولولا ذلك لربما حرمت من الدراسة الثانوية للعمر المزيف.

ساعة الحسم: من غير تفصيل. من الله علي من غير واسطة أن ينتهي إلى سمعي ما عرف بـ ( ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي ) الذي يرجع فضله للأستاذ المفكر مالك بن نبي طبعا عن طريق طلبته بجامعة الجزائر. إذ بمجرد سماعي بقيت أرقب الإعلان، والثانويون في تلك المرحلة مقبولون بلا نقاش، فكان أول خطوة في مشواري الدعوي هو المشاركة في الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي الذي أشرف عليه آنذاك بشكل رسمي الأستاذ/ بلقاسم نايت بلقاسم الذي كان شعلة في النشاط والديناميكية، فسمعت لاول مرة ما عرف لدى مالك بن نبي معادلة الحضارة: الحضارة = إنسان + تراب + وقت. ورن في أذني عن طريقه وعن طريق الأستاذ آنذاك رشيد بن عيسى ما عرف بالصراع الفكري ، فماذا يفقه تلميذ ثانوي في المعادلة سوى المعلم الديكارتي ، حيث كنت أدرس في شعبة علمية في ثانويتي. لكن تبسيط الأستاذ رشيد بن عيسى للمصطلح عن طريق ضرب الأمثلة ، منها رسم ثلاث صلبان في ورقة خمسمائة آنذاك دخلت الفكرة، فكات الـ 10 أيام كافية لأتحول داعية في سطارة (كطينة) فكانت أول ثمرة شقيقي (إدريس/ السعيد)، واصلت المشاركة في الملتقيات ولم يحدث أن غبت عن محاضرة ، وقد كان معظم الشباب يذهب للملتقى سياحة. حضرت الرابع والخامس والسادس والسابع والتاسع ، فاتني

الثامن لحدوث إرهاق في بداية مشواري المهني كأستاذ رياضيات في المتوسطة القديمة وذاع صيتي كأستاذ رياضيات.

شرعت في الدعوة على مستوى قسنطينة من خلال القسم الذي أدرس فيه بعد سطارة طبعا، وانكشف أمري لدى بعض الأساتذة الذين نلت منهم شيء من التهديد، وعند التخرج لست أدري إلى الان لماذا حرمت من وثيقة التأهل لمواصلة الدراسة الجامعية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة وقد كنت مؤهلا، هي الأقدار...؟. عينت أستاذا بثانوية حيحي المكي وإذا به في آخر الأمر يخبرني الناظر بأن المنصب بالعربية في الرياضيات غير موجود ، فانزعجت بطبيعة الحال وكان نصيبي متوسطة الخروب الوحيدة في التعليم العام وإلى جانبها متوسطة مهنية ، فوضعت بين كماشتي الشيوعية والطرقية إلى جانب الجانب الأمني للدولة وجهل المجتمع، يوجد بالخروب مسجد واحد: أم الناس فيه: الشيخ عمار مهري ، ثم الشيخ الطاهر قربوع ، ثم الشيخ أحمد بسطامي ، وقد كان الأمير خالد يتردد في زمنه على الخروب ، ثم جاء هذا الفتى ليقلب الوضع رأسا على عقب عن طريق المتوسطة، وقد منحني المدير قاعة للصلاة فكان الشيوعيون بمحاذاة القاعة يقولون: أبو جهل يصلي بقريش ، ثم في سنة 1981 أو 1982 لا أذكر يسوق الله من كان سببا فيخ افتكاك براكة السوناتيبة الذي انطلقت منها شرارة نور الهدى على يد الفتى الذي ظهر اسمه في صفحة النصر الدينية لتكون مسجدا يسمى الآن مسجد ابو ذر الغفاري.

قرأت خبرا أن أبا زنى بابنته وقتل المولود فلم أهضم المسألة وبعثت بانزعاجي إلى ما كان يعرف بـ (بريد القراء) فنشرت ، وأعجب بها الخروبي حمايزية خليفة ، زميل الدراسة بمدرسة ترشيح المعلمين ، وشجعني على النشر فطرت فرحا حيث كان ذلك في سنة 1973 أو 1974م، وقد صار لي قراء يتابعون مقالاتي ، وعن طريق تلك المقالات لم أجد صعوبة في إلقاء الجمعة في برَّاكة (بركة) الـ 450 سكنا، لأن المفتش آنذاك وهو أستاذ في الاجتماعيات كان من المتتبعين المعجبين بمقالاتي ، وقد فوت لي زميلي مواضيع خطيرة ففي مقال ذكرت الاشتراكية بسوء، فجزمت أن تلك الليلة سيحضر الأمن لأخذي فستر الله ، كتبت ما شاء الله من المقالات مشوبة بأسلوب سيد قطب، فتعجب من تعجب من الجامعيين كيف تنشر مثل هذا المقالات فلما تعرفوا علي أجبتهم أن الفضل يرجع إلى زميلي حيث كان رجلا شهما شجاعا ليس لاقتناعه بالخط الدعوي وأي خط دعوي آنذاك إلا على مستوى الجامعات؟ وإنما مروءة الشاوية كما يقال. أول من تعرفت عليهم من كانت لهم صلة بصلاة الجمعة وندوة الاثنين الأخ حسين مشومة الباتني ، ثم الأخ عبد الله جاب الله ، وفي تقديري لم يسق الله من ينصفني في بداية مشواري الدعوي مع ما عرف وربما إلى الآن (جماعة الشرق أو جماعة عبد الله جاب الله). ذلك أني لما صرت أتردد على جمعة الجامعة ثم جمعة القصبة التي ساهمت فيها مع غيري مثل شقيقي السعيد ومراح مختار رحمهما الله ، إلى جانب الدكتور حسن كاتب، والدكتور الطيب برغوث، والطالب آنذاك عبد الهادي اعثامنية... حيث يكثر الاستعانة بنا نحن أبناء قسنطينة في العطل المدرسية ، فقد نلت شرف المساهمة في جمعة القصبة التي كانت تستقطب الأماكن البعيدة للخطاب الدعوي الجديد بمن فيها من أعيان قسنطينة حتى إخوتنا الميزابيين. ودفعا للأنا المبغوضة والمنهي عنها في كتاب ربنا (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) لم أتابع مسألة هل أنا من مؤسسي جماعة الشرق أم لا وما انتهى إلي أن من يسأل عن العبد الفقير إلى رحمة ربه يقولون: ليس من المؤسسين فقد جاء من بعد، ولم يحددوا للأسف من بعد هذه، والأخ جاب الله لا زال حيا فلقد كنت سادس ستة إلى جانب الأخ جاب الله، حسين مشومة، عبد الحميد عبد اللاوي (الخنشلي)، اعراب الحواس، عبد القادر بوخمخم، الذي يبدو من غير جزم أنه هو الذي اقترحني ، فكيف أكون سادس ستة في رأس التنظيم السري الذي تأكدت أنه نشأ كنواة أولية – هذا تعبيري – ولا أعتبر مؤسسا لأني لم

أحضر ما هو خلاف حققته في نشأة جماعة الشرق، إذ لم تبق لي إلا مقابلة الأخ جاب الله لحصول على روايته.

من فضل الله علي على حد علمي أني أسبق واحد أسس للحجاب الدعوي على مستوى الشرق الجزائري، ربما تعاصر معي الأخ السوري خالد أستاذ الفلسفة بورقلة، حيث لما مررت على ورقلة وجدت نشاطا له يكاد يكون مطابقا لما فعلته في الخروب وقسنطينة، ومما هو تابع لها آنذاك كسكيكدة، فتلميذتي نصيرة بوزيد هي التي أحدثت الانفجار الدعوي للحجاب في ثانوية مريم وفضيلة سعدان بكدية قسنطينة لما نجحت بمعدل: 16.2 في الرياضيات، ثم انتقلت لحي نحاس نبيل الذي وجدت فيه الأخت المتحجبة الوحيدة على مستوى جامعة قسنطينة السطايفية فتعاونتا على ذلك ، لكن الأخت صرحت في مقابلة مباشرة أن حياة النشاط كان من نصيب نصيرة، سبقتها في التستر زوجة الأخ سليمان زراطة، ثم مجيء الأخت مريم زوجة الأخ عبادة عبد الحميد رئيس بلدية قسنطينة عن طريق الفيس ، أخذت عنه شهادة الأخوات الأربعة اللائي عرفت عن طريقهن معاينة لا محادثة ما سمته أو سماه الدكتور بن شيكو كما صرح زوجها اللباس المحتشم للعمل، بالفرنسية TENUE DE TRAVAIL، أكد لي هذا الأستاذ الدكتور السعيد مولاي ألقى بالفكرة الدكتور بن شيكو الذي سرعان ما تصوف ، جيء بالفكرة من الولايات المتحدة وقد أكمل دراسته كدكتور الأستاذ بوجلخة في الرياضيات ومما يشاع عنه أنه صاحب نظرية في الرياضيات.

منذ تعرفي عليهن في ثانوية الحرية وفكرة الستر تسير في عروقي فوفقني الله لتخرج جيل أو أجيال من المتحجبات من المتوسطة حتى تخرجهن من الجامعة ، ولا أدعي عدم قيام غيري ، أنا أذكر ما له صلة بنفسي وله صلة بالسبق ، هؤلاء الأخوات أجزم أن فيهن من صفات الصحابيات ما فيهن، وكذا الإخوة آنذاك ، فمن ثبت فقد ثبت ومن تراجع فقد تراجع ، والأمر لله من قبل ومن بعد، ولولا قناعتي أن الكتابة عن هذه الفترة فرض عين عمن عاشها ما أجبت الأخ الذي طلب مني ما طلب ، طبعا بعد مبادرة نصيرة بوزيد ساهم وبقوة كل من الشقيق السعيد ومراح مختار زميل الدراسة في الثانوي ثم التخرج كأساتذة في الرياضيات، ثم من ساهم فيما بعد من وفقه الله إلى ذلك منهم أستاذ تعليم متوسط امتنع عن إجراء مقابلة معه تورعا، ورغم الإلحاح لم أستطع إقناعه. حيث أوصلني إليه تلميذ شاهد على ما قدم لدى التلاميذ خصوصا ما فعله مع التلميذات.

واصلت العمل مع جماعة الشرق بعيد تأسيسها (1974 ) إلى بداية التسعينات، ثم انسحبت، وجاءت قصة التعددية ليبادر ممن بادر إلى تأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وقصتي معها حيث صرت من أعضائها أتجاوزها لما فيها من الحساسية ، وقد فزت كنائب عن منطقة الخروب في الانتخابات التشريعية .أذكر فقط امتعاضي من طريق الانتشار، وأما التسعينات فلا أذكر منها شيء وقد امتحنت زمنها امتحان علي بن أبي طالب مع الخوارج، تشبيه مشاكلة لا قياس، ومن أكون حتى أرتقي لمن ذكرت من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؟

بعد أن درست 12 عاما في الرياضيات التي كنت صارما جادا فيها لا أترك بحال جزءا من زمنها للدعوة، أزيد أربع ساعات للرياضيات فما خنت مديري ولا الرياضيات، أدرس الرياضيات ثم اترك ½ ساعة أو ساعة للدعوة إلى الله ويشهد إلى الآن التلامذة ومنهم من هو أستاذ رياضيات جامعي، ومن التلميذات باحثة في علم من علوم الحرارايات في جامعة إيكس في فرنسا ( مرسيليا ) كما شهد لي بعض الأساتذة الجامعيين في اقتداري في المادة وهم أحياء إلى الآن، التحقت بجامعة الأمير عبد القادر منتدبا (أي أدرس وآخذ الراتب)، وأصررت على عدم تفويت الفرصة إلى الدفعة الثانية، حيث أعطوني الانتداب في الرياضيات، فأعانني على التحويل زميل دراسة في المتوسط

بحكم تدريسه في العاصمة، فالفضل بعد الله يعود إليه، فكنت أول من يأخذ أول جائزة في جامعة الأمير بحكم المرتبة الأولى من خلال نقاط السداسي الأول، فلما جاءت نتائج السداسي الثاني وجدت نفسي الثاني أو الثالث لأني لا أعلم إلى الآن من نزع مني 05 نقاط فقه حيث كانت ورقتي المنكرة تحمل 20/20 قرأ إجابتي أمام جميع الطلبة، فلما نشرت النقاط كانت علامتي 20/15، إلى الأن لا أعرف من جبد بي الزربية، ولم أراجع الإدارة حيث كما قلت لست طموحا ولا شكاء وهي في هذا الموطن غفلة. تخرجت الأول في دفعتي التي تأخرت إلى الدفعة الثانية بسبب إرهاق أصابني كدت أشرف على الموت.

نزعت مني منحة الخارج بسبب الإضراب الذي أدركت فيما بعد أنه إضراب مجحف في حق الدكتور عمار طالبي وإدارته ، الذي لم أعتذر له بعد عن مشاركتي في الإضراب ، فهل ستأتيك وزارة التعليم العالي بصحابي مدير؟ مع الملاحظة ما صرحت وأنا طالب أني كنت أستاذا وأني ابن الملتقيات الإسلامية، وأني... آخذ علاماتي بعرق جبيني، ما تخلفت عمدا عن تطبيق ولا محاضرة، طوال السنوات الأربعة، ربما لظروف النقل وغير ذلك تخلفت ما لا يزيد عن ثلاث حصص.

الحاصل:

دخلت عالم الدعوة فضلا من الله لا أحد معه في عالم الأسباب.

ساهمت كتابة في نصرة هذا الدين - الذي لولا وجود أمة الإسلام رغم محنها التي تمر بها لا أدري ماذا كان سيحدث للعالم -؟ وكتابتي تجمع بين الأسلوب العلمي والأدبي، من خلال جريدة النصر ثم العقيدة ، ولم أشرف يوما على ركن أو باب من أبواب جريدة.

تركت الملتقيات لأمر صدر عن الوزارة نتيجة التشويش على تعقيب للشيخ أبو زهرة الذي أعطاه استثناء الأستاذ نايت بلقاسم أنه لا يحاسب على الوقت ولو بقي في تعقيبه ساعات، فلما بلغت الساعة العاشرة ليلا ملّ الملتقون فصفق الطائشون وفهم نوع التصفيق السيد الوزير فعاقبنا ألا نتعشى ولا نفطر، في ملتقى تلمسان، فراسلوا من راسلوا بحرمانه من المشاركة وقد كان اسمي ضمن هؤلاء فطاش عقلي، وكتبت لهم رسالة حادة، إلى أن عدت إلى ملتقيات 14، 15، 16، 17، حيث أخذوا القائمة بشكل عشوائي وأنا الذي لم أغب يوما عن محاضرة، وقد توقف كما هو معلوم لمن يتابع سنة 1990م. بقرار من السلطة طبعا. وهكذا من الله علي بأن آخذ عن فطاحل الشريعة مثل: الشيخ أبو زهرة، الشيخ صبحي الصالح ، الشيخ مصطفى الزرقاء، الشيخ أبو الحسن الندوي، شيخ المؤرخين الكعاك، الخ، وغيرهم من الأساتذة الكبار، ومن فطاحل الفكر أمثال المستشرقة زغريد هونكة، ثم روجيه غارودي، وربما موريس بوكاي، وأسد الله الذي كان اسمه ليوبولد فايس... وأخذت ما له صلة بالسنة ( السلفية ) عن الشيخ الألباني لكن في غير تعصب ولا تلمذة، كنت سلفيا بالفطرة لا كما هو معروف، لم أقدم درسا ولا جمعة بلا تحضير، آخذ عن مالك بن وفاتـــــــــــه

توفي الشيخ مصطفى لعبودي بمدينة الخروب ولاية قسنطينة ، بعد معاناة طويلة من مرض سرطان العظام ، يوم 26 فيفري 2021 .

## أبو جرة سلطاني

من مواليد سنة 1954 بمدينة الشريعة ولاية تبسة ، بدأ مشواره الدراسي في المدرسة القرآنية بمسقط رأسه ، و درس بقية المراحل التعليمية ( الإبتدائي ، المتوسط ، الثانوي ) بمدينة تبسة ، بعد حصوله على شهادة الباكالوريا إنتقل الى جامعة قسنطينة لمزاولة التعليم العالي في كلية ألآداب و الغة العربية ، و صادف وجوده بمدينة قسنطينة مطلع سبعينيات القرن الماضي ، وصول الصراع بين التيار الإسلامي المتحفز و التيار العلماني بمختلف فصائله ، الى ذروته في الثانويات و المعاهد و إشتد في ساحات الجامعات... تحصل الأستاذ سلطاني على شهادة الليسانس في الأدب العربي ، ثم شهادة الماجستير و كانت رسالته حول الشعر الجاهلي ، أما الدكتوراه ، فكان موضوعها حول الأدب ألإسلامي .

## المسار المهني

عين أستاذا مساعدا في كلية الآداب بجامعة قسنطينة من سنة 1980 الى سنة 1990 ، و أستاذا مساعدا في قسم الدعوة و الإعلام بجامعة الأمير عبد القادر لعلوم الإسلامية من سنة 1990 الى سنة 1994، أما في قطاع الشؤون الدينية فقد إشتغل إماما متدربا من سنة 1971 الى سنة 1976 ، و من سنة 1977 الى سنة 1994اماما خطيبا متطوعا ، وفي مجال الصحافة كتب مقالات منتظمة في جريدة النصر ثم في العديد من الجرائد المستقلة ، و أصدر رفقة الأستاذ نذير مصمودي ( رحمه الله ) مجلة التضامن الشهرية التي لم تعمر طويلا .

## المسار الفكري و الدعوي

عرفت الأستاذ أبا جرة سلطاني من خلال كتاباته في جريدة النصر اليومية سنوات الثمانينيات من القرن الماضي ، ثم عبر سلسلة أوراق إسلامية التي طبعتها و نشرتها دار البعث بقسنطينة في نفس الفترة ، و هي عبارة عن كراسات صغيرة الحجم و قليلة الصفحات تناول فيها الأستاذ سلطاني في كل مرة موضوعا إسلاميا من مواضيع الساعة في ذلك الوقت ، كما شارك في النشاط الإسلامي من خلال الدروس و المحاضرات ، و الندوات ، وكان يلقي خطبة الجمعة بإحدى مساجد حي سيدي مبروك بمدينة قسنطينة ، حيث إعتمد خطابا إسلاميا راديكاليا قوي لا يهادن السلطة التي إبتعدت بمئات الأميال عن شريعة الله ، و أصبح المجتمع غارقا في الملذات و المحرمات ، فإستطاع أن يجذب إليه ألاف الشباب و الشيوخ من كل أنحاء الشرق الجزائري حيث يكتض المسجد و ما حول المسجد بالمصلين صباح الجمعة و قبل الخطبتين و الصلاة بعدة ساعات ، و أشتهر بإرتداء الكوفية الفلسطينية و القميص و في الشتاء البرنوس البربري و اللحية الطويلة و الكثيفة ، وكان متشددا في آرائه و مواقفه ، لكن سرعان ما تحول تدريجيا نحو الإعتدال و الوسطية مع تدرجه في العمر و التجربة .

## خلفيته الفكرية

الشيخ أبو جرة سلطاني أظهر منذ خرجاته الدعوية و الأعلامية الأولى في جامعة و مساجد قسنطية ، تأثره بأفكار و أدبيات جماعة الإخوان المسلمين بصفة عامة ، و كتابات الشهيد سيد قطب بصفة خاصة بإعتباره منظر الجماعة الذي أثر في ملايين المسلمين نخبا و عامة ، وقد بدا ذلك التأثر واضحا من خلال كتاباته الأولى التي نشرها بمدينة قسنطينة و خطبه و دروسه ، لكنه إنتبه في منتصف الطريق الى مدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس التي أرست منهجا خاصا في الدعوة و التربية التكوين ، جاء في ظروف خاصة أهم ما ميزها هو الإحتلال الفرنسي البغيض ، و

حتى جمعية العلماء التي تبنت الرؤية السلفية المعتدلة ، تحولت بعد إستقرار رئيسها الثاني الشيخ البشير الإبراهيمي الى تبني الفكرة الإخوانية منهجا و سلوكا، وقد تجلى تأثر الشيخ أبو جرة سلطاني بمنهج الشيخ عبد الحميد بن باديس في كتابه ( خطوات في العمل الإسلامي كما رسمها إبن باديس ) وهوأول محاولة تقريبا لجزأرة الحراك الإسلامي في الجزائر ، حيث قال في هذا الكتاب ( إن الخطوات التي قطعها الإمام إبن باديس سبع و عشرين سنة ، كانت في صميم المنهج القرآني ، الذي آمن به إبن باديس حلا حتميا ووحيدا وفريدا لما نحن فيه من إنحطاط ، لقد آمن أن الإسلام هو الحل لواقع المجتمع الجزائري المنهار ، و الإسلام هو الحل لواقع الأمة الإسلامية الزائف ، و الإسلام هو الحل لجميع مشكلات البشرية على وجه الأرض )

## مع الشيخ محفوظ نحناح

إلتقى أبوجرة سلطاني مع الشيخ محفوظ نحناح الذي كان يشتغل مرشدا متجولا برتبة إمام خطيب في وزارة الشؤون الدينية ، مباشرة بعد خروجه من السجن في إطار عفو رئاسي أقره الرئيس الشاذلي بن جديد ، وتوطدت العلاقة بينهما ، ولبما تأسست حركة المجتمع الإسلامي أصبح ألشيخ سلطاني عضوا بارزا فيها ، وبعد وفاة الشيخ محفوظ نحناح صيف 2003 أنتخب أبو جرة رئيسا للحركة التي تحولت الى تسمية ( حركة مجتمع السلم ) و قد تبنى خلال رئاسته للحركة خطا تشاركيا ، و تحالف مع نظام الرئيس بوتفليقة الفاسد مما أثر على شعبية الحركة و مردوديتها السياسية .

## ذكريات مع الشيخ محمد الغزالي

الشيخ محمد الغزالي داعية و مفكر وكاتب إسلامي عرفه الجزائريون عن قرب بداية من الموسم الجامعي 84 / 1985 حيث عينه الرئيس الشاذلي بن جديد رئيسا للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، و عن ذكرياته مع الشيخ الغزالي قال الشيخ أبو جرة ( كانت أيام صحبة الشيخ الغزالي مليئة بالتنافس ، لأننا كنا نعيش من أجل رسالة واضحة ، و نكافح من أجل التمكين لها بشرف ، إني أستطيع اليوم أن أؤلف كتاب حول علاقتي العلمية و الدعتوية بالشيخ الغزالي رحمه الله ، الذي ملك قلبي عند أول لقاء جمعني به في إحدى ملتقيات الفكر الإسلامي ، و قبل أن يستقدمه الرئيس ، وقتها كنت طالبا بالمدرسة العليا لضباط الإحتياط بالبليدة و أسعفني الحظ رفقة أحد الأصدقاء أن نزورمعا خلال أشغال ملتقى الفكر الإسلامي الشيوخ الأجلاء : الغزالي و القرضاوي ، البوطي ، ولما جلسنا الى الشيخ محمدالغزالي في غرفته بالفندق و قدمنا له أنفسنا ، وجدت الرجل يعرف الكثير عني و عن مسيرتي في الجامعة وعن نشاطي الدعوي ، و عن سلسلة أوراق التي كنت أصدرها في شكل كتيبات مع الأخ نذير مصمودي بين سنتي ( 1979 1989 ) وبعد كلمات الترحيب و التعارف سألني عن التأليف و الطبع و التوزيع في الجزائر ، ولماذا لا توجد مراجع للإسلام الصحيح في المكتبات الجزائرية؟ ولماذا ملتقيات الفكر الإسلامي كانت عبارة عن ملتقيات لترديد أخبار تاريخ قديم لا صلة له بالواقع ، وقال إننا مستبشرون خير بمسار الصحوة في الجزائر، و أن ملتقيات الفكر الإسلامي دخلت مرحلة جديدة تناقش فيها موضوعات جادة و مفيدة ( يقصد مصادر التشريع الأربعة التي درستها أربعة ملتقيات ) و بعد حديث طويل فاجأنا بقوله إذا كنتم قادرين على طبع و توزيع كتبي ، فأنا مستعد أن أتنازل عن حقوقي في طباعة جميع كتبي لأبناء الجزائر على أن لا تصدر الى الخارج ، وأعطانا توكيلا بذلك و أهداني كتابه ( سر تأخر العرب و المسلمين ) و شرفني بكتابة مقدمة الطبعة الجزائرية ، و لما فرغت منها في تلك الليلة و عاودت زيارته صباحا لأطلعه عليها للمراجعة ، حدثني بما كان يعتقد أنه أهم من مراجعة المقدمات ، وبعد الفراغ من حديثه العميق قال لي

مازحا : المغاربة لا يكتبون كثيرا و لكن كتاباتهم إذا كتبوا عميقة .فأمض عل بركة الله ، فتطوع عدد من المحسنين لطبع تلك الكتب ، وأبدت مطابع الخواص إستعدادها للتعاون ، وحرصا منا على إخراج هذا الكنز الثمين للناس كاملا و بأمانة تامة وزعناها على ثلاث ( 3 ) مطابع ، فطبع الكتاب ألأول ، ثم توالت بقية الكتب للشيوخ الثلاثة ، الغزالي القرضاوي البوطي ، ونشرت تباعا بكميات تراوحت بين 3000 و 5000 نسخة ، فنشرنا أزيد من عشرين ( 20 ) كتابا للعلماء الثلاثة ، كان له أبلغ الأثر في ترشيد الصحوة و إمتصاص موجة التطرف . الشروق اليومي 23 . فيفري . 2013 )

## المسار السياسي

عضوا و إطارا في حركة مجتمع السلم منذ تأسيسها.

نائبا عن الحركة مثلا لولاية تبسة .

رئيس حركة مجتمع السلم لعهدتين من سنة 2003 الى سنة 2013 .

كاتبا للدولة مكلفا بالصيد البحري من سنة 1996 الى سنة 1998 .

وزيرا لمؤسسات الصغيرة و المتوسطة من سنة 1998 الى سنة 2000.

وزير العمل و الحماية الإجتماعية من سنة 2000 الى سنة 2001 .

إستفاد الشيخ أبوجرة من دون شك من العمل السياسي العلني و المكشوف و من تجربته الوزارية التي دامت عدة سنوات ، من أبسط الأهداف التي ينشدها الإسلاميون المعتدلون من المشاركة في الحكومة رغم الإقرار و الأعتراف بعلمانيتها و بعدها عن .بادى وأسس الشريعة الإسلامية:

الإحتكاك للتعرف على طبيعة النظام من الداخل . و الإطلاع على مراكز صنع القرار و الموقف ، الظاهرة منها و الخفية . إدراك لعبة التوازنات بين مختلف مراكز القوة المؤثرة .

إكتساب تجربة في العمل الميداني و داخل الكواليس .

عدم ترك الكرسي شاغرا فيملؤه أبناء النظام من العلمانيين .لأن سياسة الكرسي الشاعر التي أتبعها حسين آيت أحمد و الشيخ جاب الله لم تحقق أي هدف و لم تصل الى أية نتيجة ، فسياسة الكل أو لا شيء لم تعد صالحة فيهذا الزمان .

و من دون شك أن الشيخ أبا جرة قد أكتشف خلال ممارسة وظيفته كعضو في حكومة علمانية ، أن هناك فرق كبير بين التنظير و الخطابة و الكتابة و الواقع السياسي من الداخل ، وربما أكتشف القليل من أسرار الحكم و أطلع عن قرب على مفاتيح و مفاصل النظام ، ومراكز القوة التي تتحكم فيه ، وعن تجربة حركة مجتمع السلم في التحالف الرئاسي و المشاركة في مختلف الحكومات العلمانية البوتفليقية قال الشيخ أبو جرة لموقع إخوان نت سنة 2009: ( التجربة عمرها الآن عشر ( 10 ) سنوات ، وما هو مؤكد حتى الآن أن الإيجابيات أكثر من السلبيات ، و لعل تجربة الخلطة مع كل التيارات الفاعلة في الجزائر ، جبهة التحرير الوطني ، التجمع الوطني الديمقراطي ، قد كشفت عن حاجة الجزائر الى جهود جميع أبنائها ، ومهما كانت سلبيات المشاركة فإيجابياتها كثيرة ، و تبقى سلبيات المقاطعة أو المعارضة السلبية ، في هذه المرحلة أخطر و عواقبها أشنع .

## مؤلفاته

قصة قصيرة بعنوان بقرة اليتامى .

سلسلة أوراق إسلامية بالإشتراك مع النذير مصمودي.

خطوات في العمل الإسلامي كا رسمها إبن باديس .

أحفاد محمد ﷺ .

جذور الصراع في الجزائر .

الجزائر الجديدة ، الزحف نحو الديمقر اطية .

سيف الحجاج ( ديوان شعر )

تفسير للقرآن الكريم بأسلوب عصري ( قيد النشر )

## عبد اللّه جاب اللّه

إسمه الكامل سعد عبد الله جاب الله ، من مواليد 02 ماي 1956 بإحدى قرى ولاية سكيدة ، من أسرة جزائرية فقيرة ، تابع دراسته الإبتدائية و التوسطة و الثانوية بالمؤسسات التربوية المتواجدة بولاية سكيكدة ، و بعد حصوله على شهادة الباكالوريا في حدود سنة 1974 ، إلتحق بكلية الحقوق جامعة قسنطينة و تخرج منها سنة 1978 .

. المسار الفكري و الدعوي تأثر الشاب عبد الله جاب الله في بداية حياته بكتابات الشيخ عبد الحميد بن باديس و تراث جمعية العلماء المسلمين الجزائرين ، و منتظري الحركة الإسلامية في العصر الحديث المودودي ، سيد قطب و غيرهما ، إنظم مبكرا الى مجموعة صلاح عابد الإسلامية التي حاولت وضع لبنات أساسية في العمل الإسلامي ، إنطلاقا من مدينة قسنطينة ، و في سنة 1978 أسس رفقة العديد من الشباب المتعلم من بينهم عبد القادر بوخمخم و حسن مشومة ، عبد الحميد عبد اللاوي من خنشلة ، عبد الحميد ريميتة من ميلة ، حواس أعراب من باتنة ، لحبيب آدمي من خنشلة الذي كان له دور رئيسي في مرحلة ما بعد التأسيس ، من حيث الإنتشار ، فتولى الترويح لأفكار و أراء الجماعة في فرنسا و عدد من الدول الأوروبية ، و الدكتور عبد المالك بوغازي الاذي التحق بالجماعة عندما كان في مرحلة التعليم الثانوي وقام بدور كبير في عملية التنظيم و الهيكلة ، الأستاذ على جدي و هو من ولاية تبسة ، كان يقيم بولاية تيبازة و تم تعيينه كمسؤول عن منطقة الوسط ، إبراهيم عاشوري والدكتور شريف درارية من ولاية بسكرة غيرهم ، تنظيما إسلاميا سريا سموه ( الجماعة الإسلامية ) إقتداء بالجماعة الإسلامية التي أسسها الشيخ المودودي في باكستان .

## البيعـــة

حسب شهادة الأستاذ عزالدين جرافة المنشورة في يومية الشروق ( 13 فيفري 2013 ) فقد تمت البيعة الجماعية سنة 1980 في بيت أحد الإخوان بمدينة جيجل ، فأسست لمرحلة وثائق المنهج و الخطة التربوية ،ورغم أن الشاهد لم يذكر في سياق شهادته لمن تمت البيعة الولى ، فالطاهر أنها تمت لواحد من الؤسسسين وهو الشيخ عبد الله جاب الذي أصبح منذ ذلك الوقت أميرا للجماعة

الإسلامية الجزائرية ، و حسب نفس المصدر( فإن التنظيم الإسلامي السري الذي تأسس في سنة 1974لم يتمكن من التحرك ميدانيا بحرية لإستقطاب الشباب و الإنتشار داخل المجتمع و لذلك يمكن أننطلق على المرحلة الأولى التي إمتدت من سنة 1974 الى أواخر سنة 1978 بمرحلة العمل السري أو المرحلة المكية ، لكن و من سنة 1979 الى غاية سنة 1988 و هي الفترة التي شهدت تغير النظام الجزائري ، بعد وفاة الرئيس هواري بومدين و مجيء الرئيس الشاذلي بن جديد في شهر فيفري سنة 1979 ، و هونفس الشهر الذي إنتصرت فيه الثورة الإسلامية في إيران و أعطت دفعا قويا للصحوة الإسلامية العالمية ، في هذه الفترة التي يمكن أن نسميها مرحلة الجهر بالدعوة او الفترة المدنية ، تمكنت الجماعة الإسلامية من التمدد نوعا ما داخل المجتمع )

## طبيعة العمل

عن المنهجية التي إعتمدتها الجماعة الإسلامية الجزائرية للإنتشار داخل المجتمتع والتوعية و التعبئة ، يقول نفس الشاهد في نفس المصدر ( كانت العملية تتم عبر الحلقات اتجميعية المفتوحة ،ث الإنتقاء في الحلقة الإعدادية ،ثم الحلقات التربوية التي كانت تتناول قضايا فكرية و إستراتيجية ، و بعدهايحق لهؤلاء الإلتحاق بالجماعة ) أما عن الهيكل التنظيمي يضيف الشاهد ، فيتكون من مجلس شوري وطني ، يعتبر أعلى هيئة بين مؤتمرين يرأسه رئيس الجماعة، و مكتب قيادي ، ثم مجالس شورية ولائية ، ويقام في كل ولاية نشاط عام و متنوع ، دعوي خيري ، ثقافي وترفيهي ، و تم تنظيم أول مؤتمر للجماعة سنة 1987 وكان المقر الرئيسي السرس للجماعة ب حي المنشار في مدينة قسنطينة ، وظل التنظيم الإسلامي السري ينشط في الميدان و يقوم بنشاط الدعوةو تأطير المجتمع مستعملا بعض الوسائل البسيطة كالكتب و المجلات و الأشرطة السمعية و الدروس المسجدية والمحاضرات و الندوات و ربما يخطىء من يعتقد أن النظام لم يتفطن لتلك النشاطات العلنية و من يقف وراءها ، لأن كل خطوات التنظيم السري كانت تحت أعين رجال الأن ، غير أن النظام تغافل عن ذلك ، طالما أن انشطة التنظيم السري لم يتجاوز الإطار الثقافي أو الخطوط الحمراء ، خاصة ، أن نظام بن جديد كان ينوي الإنفتاح منذ سنة 1986 تاريخ إثراء الميثاق الوطني ، لكن تغافل النظام لم يدم طويلا ، و بعد الهجوم الذي نفذه بويعلي و رفيقيه ( 2 ) على ثكنة الشرطة بمدينة الصومعة ولاية البليدة ، إنقض النظام على الجماعة الإسلامية الجزائرية .

## تعليق

تؤكد شهادة الاستاذ جرافة ، وهوأحد الفاعلين في مرحلة التأسيس للحراك الإسلامي منتصف سبعينيات القرن الماضي ، أن الفضل في وضع اللمسات الأولى أوحجرة التأسيس للعمل الإسلامي الشعبي ، الذي يعتبر حلقة في سلسلة ممتدة الى بداية الرسالة المحمدية في مكة المكرمة ،يعود لثلة من رجال النخبة الجزائرية الإسلامية ، الذين فكرروا وخططوا و أسسوا تنظيما إسلاميا سريا سموه الجماعة الإسلامية ، والجهد بطبيعة الحال كان جماعيا ، و ليس فرديا ، فالشخص الواحد لا يستطيع بداهة أن يقوم بعمل جماعة حتى و إن أراد ذلك فجهوده ستتوقف عند منتصف الطريق ، لأن إعادة إحياء تالفكرة الإسلامية و توصيلها الى الناس بأسلوب عصري و طريقة جديدة في ظروف أصبحت فيه المساجد في بعض القرى و المدن الصغيرة خالية من المصلين ، و لا تقام فيها الجمعات لإنعدام النصاب الكافي ، أي إثنى عشر ( 12 ) مصل على الأقل ، يحتاج الى جهد جماعة أو مجموعة من النشطاء على قدر كبير من الثقافة الإسلامية ، و قد يستطيع الداعية أوالناشط الإسلامي العمل منفردا لكن يكون نشاطه محدودا جدا وفي حدود حيه أو قريته

أومدينته أو على أكثر تقدير داخل ولايته ، أما تأسيس تنظيم سري ذو طابع و أهداف وطنية فيحتاج تنظيميا ولضمان الإنتشار أعضاء ومؤسسين في كل الولايات . و ما يلاحظ على الشيخ جاب الله في هذا المجال أنه لا يذكر رفاقه المؤسسين إطلاقا عند الحديث عن بدايات نشاطه الدعوي ، فهويعتبر نفسه هو الجماعة الإسلامية وأكثر من ذلك فكثيرا ما يفهم من تصريحاته أنه هو المؤسس الأول و ألأوحد للعمل الإسلامي في الجزائر .

## تجمع الجزائر العاصمة

شارك الشيخ جاب الله في التجمع الإسلامي الذي نظمته مجموعة من انشطاء الإسلاميين بالقرب من الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة ، مطلع الموسم الجامعي 82 / 1983 ، وهوأول ظهور علني للإسلاميين الجزائريين بمختلف فصائلهم ، و كان الهدف الأول منه هو اضغط على النظام لتطبيق الشريعة الإسلامية ، حيث كان المحرك الرئيسي لهذا التجمع هو الشيخ عباسي مدني ، حيث لم تستفد الحركة الإسلامية شيئا من هذا التجمع الإستعراضي العلني ، و أكثر من ذلك فقد كشفت كل أوراقها و أظهرت رجالاتها ، كان نصيب عباسي مدني و عبد الله جاب و كل الذين شاركوا في تنظيم هذا التجمع هو السجن لمدة ثلاث ( 3 ) سنوات و نصف ، حيث صادف خروجه من السجن منتصف سنة 1986 مشروع إثراء الميثاق الوطني و هوخطوة في مشروع إصلاح سياسي و إقتصادي لم تكتمل و تأخرت الى غاية سنة 1988 حيث فرض النظام إصلاحات سياسية وإقفتصادية وثقافية جريئة بقوة الشارع ، و حسب العديد من التحليلات الهادئة فإن النخبة الإسلامية تسرعت وسابقت الزمن في إخراج كل أوراقها دفعة واحدة ، و كانت تنتظر من النظام القيام بدلا عنها بفريضة تطبيق الشريعة الإسلامية ، في الوقت الذي كان المجتمع الجزائري بحاجة ماسة الى التوعية و التكوين لتنطلق مطالب العودة الى الشريعة الإسلامية من القاعدة و ليس من القمة .

## بعد الإنفتاح السياسي

جاء دستور فيفري سنة 1989 ، بعد أحداث 5 اكتوبر التي إستغلها الجناح الإصلاحي في النظام لتمرير إنفتاح سياسي و إقتصادي و ثقافي كان مؤجلا منذ سنة 1986 تاريخ إثراء الميثاق الوطني و التراجع غير المعلن عن الإشتراكية كإيديولوجة و الإبقاء عليها كخيار إقتصادي مؤقت وقبل للزوال في الوقت المناسب ، كان الأستاذ جاب الله حاضرا في كل المناسبات التي جمعت مختلف فصائل الحركة الإسلامية الجزائرية ، تحت رئاسة الشيخ أحمد سحنون الذي إقترح إنشاء رابطة الدعوة الإسلامية كمظلة تجمع مختلف الفصائل الإسلامية ، تكون مهمتها الأولى هي الدعوة الى الله ، إعادة القطيع الضائع الى الطريق المستقيم ، و تهيئة المجتمع ليكون قاعدة بناء الجمهورية الديمقراطية ذات السيادة في إطار المبادىء الإسلامية ، ثم ينبثق عن هذه الرابطة تنظيم سياسي واحد و موحد يعبر عن كل الإتجاهات الإسلامية الموجودة في الجزائر ، و يمثل كل المدارس الإسلامية الجزائرية ، من جمعية العلماء الى تلامذة مالك بن نبي الى إخوان الى سلفيين ، من أجل الدخول بقوة محسوبة و مدروسة و متأنية في المعترك السياسي ، ومجابهة التيار العلماني بكل فصائله ، لكن مع الأسف الشديد مشروع رابطة الدعوة الإسلامية لم يكتب له أن ي رى النور ، لأن عباسي مدني و على بلحاج وهما محسوبين على التيار الإسلامي ، تسرعا و أعلنا عن قيام حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، الذي لم يثبت في الواقع سوى سنتين ( 2) و دخل في صراع مع النظام و الحكومة ثم مع الجيش و كانت نهايته سريعة ، كما كان جزءا من الأزمة السياسية و الأمنية التي شهدتها البلاد بداية من شهر جانفي 1992 .

# النهضة ، الإصلاح ، جبهة العدالة

رغم أن الشيخ عبدالله جاب الله الذي تبنى المشروع الإسلامي منذ الصغر ، يعتبر من المثقفين الذين أنجبتهم الصحوة الإسلامية ، فإنه كان جد متردد وهذا من حقه ، في تبني الديمقراطية و الدخول في المعترك السياسي منافسا للعلمانيين ، فموضوع ك ( الديمقراطية ) ما يزال حتى يومنا هذا محل أخذ و رد من طرف النخب الإسلامية ، و لا يوجد رأي أو فتوى صريحة بقبول الديمقراطية كآلية للتنافس السياسي بين جميع التيارات الإسلامية في البلد المسلم ، و توسيعا لمبدأ الشورى نظمت جماعة الشيخ جاب الله ملتقى دوليا حضرته نخبة من العلماء و الدعاة و المنظرين الإسلاميين الذين أجمعوا على أن المشاركة السياسية في إطار ما هو متاح من مناخ ديمقراطي وحرية سياسية ، يعتبر الأفضل في الوقت الراهن ، و الحالة المثالية هي إعتماد الشورى و التنافس السياسي بين فصائل سياسية تتبنى نفس المرجعية الفكرية مع إختلافات بسيطة في الفروع و التطبيقات و الوسائل ، لكن واقع العالم الإسلامي اليوم ليس مثاليا و كل الإنظمة تعتمد نظاما علمانيا إن إعترف للإسلاميين بحقهم في المشاركة السياسية فهو ( مثاليا ) و أغلب الأنظمة تمارس إقصاء لا مبرر له للتيسار الإسلامي و تشدد الخناق عليه ، و في المقابل تفتح المجال واسعا أمام العلمانيين من اليمين و اليسار و الوسط ، و لكي يجمع الشيخ جاب الله بين العمل الدعوي و الثقافي و الخيري و العمل السياسي ، أسس مع رفاقه جمعية النهضة للإصلاح الإجتماعي و الثقافي التي قامت بعدة أنشطة داخل ولاية قسنطينة و في الدن المجاورة ،غير أنها لم تعمر طويلا ، وت حلها تعسفيا من طرف النظام كعربون للغرب ، و من هنا ... من هذه الخطوة بدأت رحلة الشيخ جاب الله الشاقة مع عالم السياسة المليء بالفخاخ و المطبات و الحواجز المزيفة ، و خرج من الإطار السري الى الإطار العلني الواضح .. فالسياسة كما يعرف الجميع هي فن الممكن ... و هي أيضا مبادىء و مصالح ، إمتيازات و غنائم و نفوذ ، و يمكن القول ان مرحلة العمل الإسلامي السري كانت أفضل و أنظف و أطهر من مرحلة العمل الإسلامي العلني ، و بعد حل جمعية النهضة ، إتجه الشيخ جاب الله و رفاقه مباشرة الى العمل السياسي من خلال تأسيس حركة النهضة الإسلامية التي حاولت أن تتخندق في الوسط الإسلامي بين الجبهة الإسلامية و حركة المجتمع الإسلامي ، فشاركت حركة النهضة في كل الإستحقاقات الإنتخابية و حققت نتائج محترمة سواء في إنتخابات المجلس الشعبي الوطني أو المجالس المحلية الولائية و البلدية ، كما إستمات نوابها في البرلمان في الدفاع عن القيم و الفضائل و المبادىء الإسلامية ،كما كانت حركة النهضة ضحية تزوير فاحش خلال الإنتخابات التشريعية و المحلية لسنة 1997 ، حيث تم تحويل أصوات ناخبيها الى الحزب الجديد للسلطة ، التجمع الوطني الديمقراطي ( الأرندي ) ولم تدم حالة الإستقرار وشهر العسل داخل بيت النهضة طويلا بعد تلك النجاحات النسبية التي حققتها سواء على صعيد الرصيد الشعبي و الإلتفاف الجماهيري ، أو من خلال تموقعها الجيد داخل مؤسسات الدولة المنتخبة ، بحيث أصبحت قوة سياسية هادئة و ناعمة يحسب لها ألف حساب ، حيث كانت النتائج الإيجابية المحققة ثمرة لخطاب سياسي متوازن و معتدل ، وبرنامج سياسي واقعي يقترح العديد من الحلول المبتكرة لمختلف المشاكلب السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية ، و لا يكتفي بالتحليل و النقد ، كما لشخصية الأستاذ جاب الله الهادئة و كاريزماتيته الصاعدة دور كبير في تحقيق تلك النتائج ، لم يستمر شهر العسل بين الشيخ جاب الله و هيئة أركانه و دبت بينهم خلافات كبيرة ناتجة في أغلب الظن من تصادم المصالح وعدم القدرة على الموائمة بين المبادىء و المصالح .

# عزل الشيخ جاب اللّه

و قد أدت تلك الخلافات التي تحولت بفعل تدخل أطراف أخرى من خارج الحركة لأصب الزيت على النار ، حيث إستغل نواب الحركة في البرلمان سلطتهم المعنوية التي منحها لهم الشعب ، فتغولوا و إستأسدوا و قاموا دون حياء بعزل الشيخ جاب الله ، وسرقة الحركة منه ، فبالنسبة للشيخ جاب الله فإن ما حدث من خلافات داخل الحركة كان مصدرها أطراف من النظام تعتقد أن مهمتها هي التخلاط داخل الأحزاب وتفتيتها و تشتيتها و كل ما وقع هو عبارة عن مؤامرة لتحجيم دور الشيخ جاب الله و فرملة طموحاته و التضييق عليه و الحيلولة دون وصوله الى الهدف المنشود ، لكن معارضيه لديهم أراء أخرى ، وسنحاول إستعراض أهم أسباب الخلاف بين الشيخ جاب الله و رفاقه في حركة النهضة ، بكل حياد وموضوعية مستأنسين بشهادة عزالدين جرافة أحد قدماء الحراك الإسلامي و مؤسس لحركة النهضة ، النشورة في جريدة الشروق اليومي يوم 20. فيفري . 2013 و التي تشير الى أن أسباب الخلاف مع الشيخ جاب الله هي تمسكه بكل المناصب القيادية و هي رئاسة الحركة ، وفي نفس الوقت رئاسة مجلس الشورى ، وحسب الشاهد فإن ديكتاتورية جاب الله هي التي فجرت حركة النهضة ، و أتهمه برفض الإحتكام الى الصندوق ، حيث كان المطلب الأكثر إلحاحا يقول الشاهد هو ضرورة تخلي جاب الله عن رئاسة مجلس الشورى الوطني ضمن رؤية تقوم على الفصل بين السلطات ، أي المداولة و التنفيذ ، لكن تمسك جاب الله بتلك السلطات رغم إلحاح الطلب ، بذريعة أنه كان يومها منتخبا من طرف مجلس الشورى الوطني ، وكان كثيرا ما كان يركز على مبدأ وحدة التنظيم ووحدة القيادة ـ وهي نفسها سياسة الحزب الواحد سابقا التي عرضها جاب الله و الكثير من الإسلاميين ـ من المحرر ـ في الفترة من سنة 1994 الى سنة 1998 حصلت خلافات حادة بين أعضاء المكتب التنفيذي الوطني وجاب الله .وصلت الى حد إستقالة جميع أعضائه ، و هناك محضر بالمكتب التنفيذي الوطني مؤرخ في 4 أوت 1996 يتحدث عن الأزمة الداخلية التي كان من إفرازاتها الإستقالة الجماعية لأعضاء المكتب الوطني في 12 جوان 1996 و المحضر يحدد جوهر الأزمة في:

عدم إحترام الإختصاصات و تجاوز الصلاحيات والسياسة المالية .

و عن الإقتراحات التي قدمها المكتب التنفيذي لتجاوز الأزمة ، قال نفس الشاهد"

أولا رد الإعتبار للمكتب التنفيذي حتى يتسنى له ممارسة جميع صلاحياته.

ثانيا: التحكم في السياسة المالية جباية و صرفا.

ثالثا: إلتزام رئيس الحركة في تصريحاته بالخط السياسي والمواقف الرسمية للحركة

رابعا: تجميد رئيس الحركة لصلاحياته لمسؤولياته الى مابعد الإنتخابات التشريعية 1997.

شاركت حركة النهضة و هي مثقلة بأتعاب وتداعيات الأزمة الداخلية ، في الإنتخابات التشريعية لسنة 1997 ، ورغم التزوير الفاضح الذي مارسته الإدارة ، تحصلت الحركة على 32 مقعد ، و في سنة 1998 عقدت مؤتر التكيف مع القانون الجديد للأحزاب ، و الذي كان الهدف الأول منه هو نزع اللافتة الإسلامية من الأحزاب ذات التوجه الإسلامي ليس إلا .

# فتنة البرلمان و التغول

إستغل عدد من نواب البرلمان المعارضين لتوجهات الشيخ جاب الله و هم لحبيب آدمي ، محمد الغازي ، عبد الوهاب دربال ، عزالدين جرافة ، وجودهم في البرلمان و قربهم من النظام و الحكومة للضغط على الشيخ جاب الله و تحقيق بعض المطالب السابقة و منها تقليص صلاحيات رئيس الحركة ، و إنتخاب مجلش شوري و رئيس جديد له ، و تحويل منصب رئيس الحركة الى مسؤولية شرفية من دون صلاحيات ، و تحويل أغلب صلاحيات رئيس الحركة الى الأمين العام للحركة ليصبح عمليا المنافس الأول لرئيس الحركة ، وتمكنت قيادات من الحركة من إحتواء تلك الخلافات التي برزت أثناء و بعد المؤتمر ، و تقبل الشيخ جاب الله على مضض تقليص صلاحياته الى الحد الأدنى وتقاسم مسؤولية تسيير الحركة مع الأمين العام ، لكن حصلت تغييرات مفاجئة في الساحة السياسية أهمها قرار الرئيس الجنرال ليامين زروال بتقليص عهدته الرئاسية و إجراء إنتخابات رئاسية مسبقة لن يشارك فيها ، أعادت أزمة حركة النهضة الى المربع الأول ، وفي هذا السياق قال الشاهد السيد جرافة ( ان إستقالة رئيس الجمهورية اليامين زروال أخلطت الأوراق من جديد ، و ساهمت ولو بشكل غير مباشر في إعادة إحجياء جزء من ذلك الصراع الخفي الذي لم يهدأ بعد ، حيث وجد جاب الله أن هذه الإنتخابات قد تكون مدخله الرئيسي لعودته من جديد الى الساحة و من الباب الواسع و إسترجاع كامل صلاحياته من خلال ترشحه للإنتخابات الرئاسية ، و هو ما صنع أجواء متوترة الى حد ما ، حيث إجتمع مجلس الشورى للنظر في كيفية مشاركة الحركة في رئاسيات 1999 ، بمرشحها أو ضمن تحالف يدعم شخصية ذات إجاع وطني ، فتح النقاش في مجلس الشورى و بحضور رئيس الحركة في جلسة 09 نوفمبر 1998 ، وأعطيت له الكلمة ليطرح رأيهثم شكلت لجنة لصياغة المقترحات وفق الخيارين فعرضناهما للتصويت في دورة لاحقة للمجلس ، فكانت النتيجة 34 صوت لصالح مرشح التحالف ( هكذا دون شروط أي حتى ولو كان علمانيا فرنكوفونيا مواليا لفرنسا كالمترشح عبد العزيز بوتفليقة ) مقابل 7 أصوات لصالح مرشح الحركة الشيخ جاب الله ، وبذلك صدر قرار مجلس الشورى الوطني بتاريخ 27 ديسمبر 1998) لكن الشيخ جاب الله لم يستسغ قرار مجلس الشورى ، وأن يجره زملاؤه الى دعم مرشح علماني يختاره العسكر ، فلم يقبل الشيخ جاب الله سياسة الأمر الواقع و رفض الإنسياق وراء قيادات الحركة الذين تخلوا عن المبدأ و لهثوا وراء المصالح و غرهم بريق السلطة و إمتيازاتها و منافعها و نفوذها بمجرد ا شموا رائحتها داخل أروقة البرلمان ، أما قيادات النهضة و بالضبط مجموعة الأربعة ( 4 ) آدمي ، بوغازي ، دربال ، جرافة و من معهم فقدكان لها رأي آخر حاولت تغليفه بالمصلحة العليا للمشروع الإسلامي ، حيث رأت أن الوقت غير مناسب للتيار الإسلامي ليحكم البلاد ، لكنها نسيت أنها بقرراها دعم مرشح الجيش ، وهو مهما كان سيكون علمانيا فرنكوفونيا غيرمتحمس للإسلام و الإسلاميين ، و من جيل الثورة و من حزب جبهة التحرير الوطني ، و قد صدقت رؤية الشيخ جاب الله و خاب تفكير رفاقه الذين أطاحوا به من رئاسةحركة النهضة ، فكان الموقف من الإنتخابات الرئاسية المسبقة التي جرت في شهر لأفريل سنة 1999 هوبداية الطلاق البائن بين الشيخ جاب الله ومعارضيه ، حيث ترشح الشيخ كمستقل وتمكن من جر قاعدة حركة النهضة و المتعاطفين معها ، رغم علمه ان جماعة الظل ( المقررون ) قد حسموا أمرهم لصالح مرشحهم عبد العزيز بوتفليقة ، و عن الأزمة الداخلية التي ضربت حركة النهضة وإشتدت قبيل الإنتخابات الرئاسية المسبقة التي جرت في شهر أفريل 1999 وشهدت تزويرا فاحشا لصالح مترشح العسكر عبد العزيز بوتفليقة ، قالت السيدة حرم الشيخ جاب الله ، المنشورة في يومية الشروق عدد 14 أوت 2014 (... عندما جاءت الأزمة التي وقعت في النهضة أحسسنا بمرارة ما أحسسنا بها من قبل ..لأنها جاءت من إخواننا ، الضربة جاءت من الداخل ، نحن نعلم أنها كانت بأياد خارجية و من طرف أشخاص في السلطة .. هؤلاء

الأشخاص تورطوا في اللعبة التي حيكت لهم جد مؤلم أن تكوني مع أشخاص حاملين لمشروع ، أنت ترين أنه خلفك و يسندك فإذا به هو الذي يطعنكمن الظهر . كلنا نعلم أن السبب الأول يبدو داخليا ولكن الذي أثر هو اضعف و الغفلة اتي كانت في الأفراد، و الكثير منهم أدركوا فيما بعد أنهم إستغفلوا و أن الأمر كان محبوكا بطريقة جيدة حيث يبدو كأنه أمر داخلي و هو في الحقيقة ليس بالداخلي ) و قد يبدو في كلام السيدة حرم الشيخ جاب الله بعض المصداقية . حيث تعتبر كل ما حدث مؤامرة نسجت خيوطها من طرف السلطة . بدليل أن العناصر الثلاثة الذين تزعموا معارضة الشيخ و هم الحبيب آدمي و محمد علي بوغازي . و دربال . قد تلقوا ثمن التمرد على شيخهم بتعيين الحبيب آدمي سفيرا أو قنصلا للجزائر بالمملكة العربية السعودية . و و بوغازي أصبح مستشارا للرئيس بوتفليقة . ودربال سفير للجزائر في بلجيكا . واضح جدا أن جهات نافذة في السلطة قد لعبت بعقول هؤلاء المتعطشين للسلطة و أغرتهم بمناصب و إمتيازات فانية لكن التاريخ دائما سيقول كلمته ... و مع ذلك فإن مبررات المتردين تبقى قائمة فالشيخ جاب الله الذي ينادي و يطالب النظام بالفصل الجاد بين السلطات . و التداول السلمي على السلطة . يجب أن يتبنى الديمقر اطية و الشفافية و يخضع للصندوق في إدارة و تسيير التنظيم السياسي . فليس من المعقول أن يكون جاب رئيسا مدى الحياة للحزب أوالحركة و هذه القضية ... قضية التداول على المسؤولية داخل الحزب كما يعلم الشيخ هي التي فجرت حركة إنتصار الحريات الديمقراطية و شتت إطاراته و مناضليه .

## حركة الإصلاح الوطني

الشيخ عبد الله جاب الله يعتبر ما حصل له في حركة النهضة مؤارة خارجية نفذت بأيد داخلية . وهويتهم نظام بوتفليقة صراحة في عزله من حركة النهضة . لكن الأمر الغريب هو سرعة حصول الشيخ جاب الله على إعتماد حركة الإصلاح . ثم جبهة العدالة في زمن الرئيس بوتفليقة . مع العلم أن الكثير من الشخصيات و من أبناء النظام السابقين قد قدموا ملفات تأسيس أحزاب وطنية ولم يتحصلوا حتى على مجرد وصل الإيداع . أذكر من بينهم كمثال . الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي و سيد أحمد غزالي . و لو كان النظام أو الحكومة تريد غزل و إقصاء الشيخ جاب الله من الساحة السياسية بإعتباره يشكل خطرا عليها . لتعاملت معه بنفس الطريقة التي تعاملت بها مع شخصيات سياسية من أبناء النظام و حرمته من وثيقة رسمية تسمح له بالنشاط السياسي العلني . و الأمر يتعجب من نظام أوحكومة تنسج مؤامرة للإطاحة بالشيخ جاب الله من حركة النهضة ثم تمنحه بسهولة و في وقت قياسي إعتماد حركة الإصلاح الوطني . التي أسسها الشيخ جاب مع ثلة من المناضلين الأوفياء لخطه و هم عبد الغفور سعدي ( توفي في أكتوبر 2016 ) و لخضر بن خلاف . محمد بولحية . جهيد يونسي . ورجل الأعمال السوقهراسي لعريبي . و أسندت رئاسة الحركة بإجماع المؤسسين الى الشيخ جاب الله . و شاركت الحركة في الإنتخابات التشريعية التي جرت سنة 2002 و فازت ب 43 مقعدا، وجاءت في المرتبة الثانية . و ترشح الشيخ جاب الله في رئاسيات 2004 التي شابها الكثير من التزوير لصالح مرشح الجيش الرئيس بوتفليقة . وتكرر نفس سيناريو الخلاف و إنطلق من أسوار البرلمان . بقيادة جهيد يونسي و محمد بولحية ومهما من الجيل الجديد و الأسماء المغمورة في الساحة السياسية و الدعوية . و سبب الخلاف هذه المرة هو طريقة اتحضير للمؤتمر الذي كان من المفروض أن يعقد أواخر سنة 2004 وطبيعة التعديلات و الإصلاحات . و كالمرة السابقة إستفاد بعض نواب الحركة في البرلمان من قربهم من النظام و من الحصانة و بعض النفوذ و العلاقات التي يمنحها الوظيفة البرلمانية . فتغولوا و إستأسدوا على شيخهم و حاولوا فرض إرادتهم و بدت بصمات النظام هذه المرة أكثر وضوحا و فاقت جرأة المنشقين عن الشيخ كل الحدود . وكانت

المؤامرة محبوكة بشكل جيد حيث أنحاز أغلبية نواب الحركة في البرلمان لخيار عزل الشيخ جاب الله و التضحية به قربانا لنظام بوتفليقة عسى أن يمنحهم بعض الفتاة و فضلات السلطة فيعينهم سفراء أو قناصلة أو وزراء و حتى ولاة أو رؤساء دوائر ، تسعة عشر ( 19 ) نائبا في البرلمان ممثلين للحركة من أصل 43 نائبا تمردوا على شيخهم و صوتوا لعزله و مع أنهم لهم يحققوا الأغلبية فقد وجدوا تسهيلات جمة لدى وزير داخلية بوتفليقة يزيد زرهوني ، وقفاموا بتنظيم مؤتمر مصغر و مفبرك لم تتوفر فيه أدنى المقاييس القانونية ، وإفتكوا حركة الإصلاح من الشيخ جاب الله ، و لو كانت نواياهم صادقة ولديهم الحد الأدنى من الأخلاق الإسلامية لإختاروا الإنسحاب و تأسيس تنظيم سياسي آخر ، لكن خدمة النظام و التزلف له و إنتظار الحصول على بعض المسؤوليات والمصلحة الخاصة كانت أقوى من كل القيم و المبادىء ، لكن قضية النزاع داخل حركة الإصلاح الوطني أخذت بعدا آخر ، حيث دخلت أروقة العدالة و أستمر النزاع القضائي حتى سنة 2007 و حكمت المحكمة بطبيعة الحال لصالح الأعضاء المتمردين ومنحتهم شرعية قيادة حركة الإصلاح ، ومع الخروج الإضطراري للشيخ جاب الله من الحركة تراجعت شعبيتها و نتائجها في مختلف الإستحقاقات الإنتخابية ولم تعد شيئا مذكورا ، و هكذا لدغ الشيخ جاب الله من نفس الجحر مرتين ، و من طرف رفاقه ، لكنه ظل صامدا محتسبا و صابرا بعيدا عن الساحة السياسية الى غاية سنة 2011 التي شهدت إندلاع ثورات الربيع العربي التي أسقطت ديكتاتوريات بن علي في تونس ، ومبارك في مصر و القذافي في ليبيا ، و أجبرت نظام بوتفليقة على فتح الأبواب امغلقة منذ سنة 1999 ، فإستغل الشيخ جاب الله الفرصة و تقدم بملف تأسيس حزب سياسي بخلفية إسلامية هو جبهة العدالة و التنمية ، التي شاركت في الإنتخابات التشريعية سنة 2012 و أقحمت الحركة الكثير من الحرائر إستجابة للقانون الذي يفرض تخصيص نسبة 30 في المائة من كل قائمة للنساء، لكن جبهة العدالة لم تحقق هذه المرة أية نتيجة بالمقارنة مع الإنتخابات التشريعية السابقة التي جرت في فترة الرئيس زروال ، رغم التزوير الفاحش في كلتا الحالتين . و بعد سقوط نظام بوتفليقة إثر حراك شعبي سلمي قي شهر آفريل 2019 ، و مجيء نظام عبد المجيد تبون ، خرج تنظيم الشيخ جاب الله من الساحة السياسية بإنهزامه في الإنتخابات التشريعية التي جرت في شهر جوان 2021 ، و التي جرت تحت إشراف هيئة وطنية مستقلة ، فكان من المفروض حسب أخلاقيات السياسة و الرجولة أن ينسحب الشيخ جاب الله من الواجهة و يترك مكانه لغيره من الشباب عسى و لعلى .

# الفهـــــــــــرس

المقدمة: ..... ص: 3

**الفصل الأول ( 1 ) المؤسسات الإسلامية الرسمية و الشعبية ..... ص: 4**

التعليم الأصلي ، الزوايا

**الفصل الثاني ( 2 ) جمعية القيم ، من التأسيس الى الحل ..... ص:20**

الهاشمي التيجاني ، صاحب الفكرة ن أهم إنجازات الجمعية ، القطرة التي أفاضت الكأس .

**الفصل الثالث ( 3 ) البشير الإبراهيمي ، رائد الحراك الإسلامي في الجزائر ..... ص:31**

اللقاء مع الأستاذ لإبن باديس ، نشاطه العلمي و التربوي ، الإبراهيمي و الثورة الجزائرية ، من القاهرة الى باكستان ، الإبراهيمي في الجزائر ، القطيعة مع نظام بن بلة .

**الفصل الرابع ( 4 ) مالك بن نبي فسلسوف الحضارة و منظر الإسلام الحديث ..... ص: 50**

الى مدينة تبسة ، في قلب باريس ، بداية الوعي ، التخرج ، باكورة أعماله ، مع الثورة الجزائرية ، خصومه في الداخل و الخارج .

**الفصل الخامس ( 5 ) الإسلام الرسمي و رموزه ..... ص: 65**

أحمد توفيق المدني ، أحمد حماني ، عبد الرحمن شيبان ، مولود قاسم ، طالب الإبراهيمي ، محمد شارف ، عبد الرحمن الجيلالي ، محمد الصالح الصديق .

**الفصل السادس ( 6 ) دعاة و نشطاء من المذهب الإباضي ..... ص:93**

**الفصل السابع ( 7 ) رموز جماعة الدعوة و التبليغ ..... ص:97**

**الفصل الثامن ( 8 ) شيوج الصحوة الإسلامية ..... ص: 101**

عبد اللطيف سلطاني ، أحمد سحنون ، عمر العرباوي .

**الفصل التاسع ( 9 ) شباب الصحوة الإسلامية ..... ص:110**

عباسي مدني ، محفوظ نحناح ، محمد بوسليماني ، سليم قلالشة ، شرفي الرفاعي ، أبو جرة سلطاني مصطفى العبودي ، عبد الله جاب الله .

محمد رباعة من مواليد 21 ـ أكتوبر ـ 1963 ب القراح ( القرزي ) بلدية أولاد رحمون ، ولاية قسنطينة ، صحفي و كاتب عصامي مستقل ، بدأ نشاطه المهني كمراسل لمجلة الوحدة الأسبوعية من ولاية أم البواقي سنة 1986، و كتب في عدة جرائد عمومية و خاصة ، في سنة 1990 أسس وكالة القبس للأعلام ، ثم دار مصغرة للنشر ، و أصدر سلسلة المطبوعات الشعبية ، في شهر أكتوبر 2004 إنتقل الى ولاية بومرداس ، ليزاول نشاط مهني آخر ، و في سنة 2017 عاد الى مجال النشر من البوابة الألكترونية و أصدر موسوعة النظام الجزائري ، قراءة في أهم الأحداث و القرارات و المواقف و التي تضم ستة ( 6 ) أجزاء ، و من أهم مؤلفاته ، النصور الإسلامي للّه و الحياة و الإنسان ، مأزق الحداثة و ما بعد الحداثة و موقف الإسلام منهما ، الحراك الإسلامي في الجزائر من 1962 الى 2012 ، يدير حاليا دار القبس للنشر الإلكتروني التي تصدر مجلة القبس الشهرية السياسية الثقافية الإلكترونية .